

من الأدب الهندى الحديث والقصص
الأم والنصيب وقصص أخرى



مكتبة
الكتاب
الهندى

تأليف
عبد الحميد



المشروع القومي للترجمة

من الأدب الهندي الحديث والمعاصر

(الأم والنصيب وقصص أخرى)

ترجمة ودراسة

سمير عبد الحميد إبراهيم



٢٠٠١

المحتويات

رقم الصفحة

5	بين يدي الكتاب بقلم المترجم
9	القصة القصيرة في شبة القارة الهندية
	بريم تشند
41	١ - الطفل البـريء
59	٢ - الأم والنصيب
91	٣ - النور
	كرشن تشندر
107	١ - شارع بطول فرسخين
119	٢ - رجل كالمجنون
133	٣ - شجرة الماء
	ذكية بكرامى
159	١ - اعتراف
203	٢ - الصدمة الثانية

تصدير

هذه المجموعة القصصية المترجمة عن النص الأصلي تصدر لأول مرة بالعربية ، مع دراسة مختصرة عن فن القصة القصيرة في الهند ، وقد عمد المترجم إلى اختيار هذه المجموعة القصصية المختارة لثلاثة أبناء هنود : أوبيان لهما مكانتهما في الأدب الحديث ، هما " بریم تشند ، وكوشن تشندر « اللذان يعدان في نظر النقاد من عمالقة هذا الفن في الأدب الهندي والأردى ، كتبوا باللغة الأرية والهندية ، فلبدا في فن القصة ، وأدبية معاصرة ، هي " نكية بلكرامى " التي لا تزال تشرى فن القصة في الهند بما تكتبه وتشره في المجلات الأدبية المعاصرة .

ظهر الأديب الأول في النصف الأول من القرن العشرين ، بينما الأديب الثانى ظهر في النصف الثانى من القرن نفسه ، أما الأديبة نكية بلكرامى فهي تعيش اليوم بيننا ، ولهذا فإن ما يقدم مترجما إلى العربية من قصص في هذا الكتاب يعد فرصة عظيمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات المقارنة ، وبخاصة في أبنائنا العربى الذى مرت القصة القصيرة فيه بظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التى مر بها هذا الفن الأدبى في الهند ، سواء من ناحية العوامل الخارجية المتمثلة في الظروف الاجتماعية أو العوامل الداخلية المتمثلة في طبيعة الأبناء أنفسهم .

فروح الحزن والرومانسية تسود القصة في الهند مثلما سادت القصة في مصر ، ومعظم البلدان العربية ، وأبطال القصص في الهند مثلهم مثل أبطال القصص العربية ، من أبناء الطبقة المتوسطة ، ومثلما تطور فن القصة في العالم العربى وظهر الاتجاه الواقعى في فن

القصة ، حدث الأمر نفسه في الهند ، وكما لعبت القصة دورها في الدعوة إلى التحرر من الاستعمار ، ومن العادات السيئة في عالمنا العربي لعبت القصة في الهند نفس الدور ، وظهرت مجلات وصحف أدبية في الهند تزامنت تماما مع عدد من المجلات والصحف الأدبية التي ظهرت في عالمنا العربي حوالى سنة ١٩٢٥م وما بعدها أو حتى قبلها .

عاش بریم تشند في الفترة التي عاش فيها أبناء من أمثال محمود تيمور وحسين فوزي ومحمود طاهر لاشين وعبد الحميد حمدي ويوسف السباعي ، وعاش أيضا كرشن تشندر في الفترة التي عاش فيها أبناء القصة القصيرة العربية أمثال محمود تيمور والمازني ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف إدريس وغيرهم ، وإذا كان محمود تيمور الأرسنقراطي يعطن أنه خالط الفلاحين وعاش الطبقة الوسطى ، كما يتضح من عبارته التالية :

" إني من طبقة متوسطة عاشت بين الفلاحين .. لقد كنت أعيش مع الفلاحين في حياتهم كاملة حتى الجوانب السلبية منها ... على أن اهتمامي بالفلاح والأرض مرده إلى سبب أعمق هو أنهما أكثر تجسيدا للروح المصرية .. "

فإن كرشن تشندر يقول الشيء نفسه :

" إن أجمل ذكريات طفولتي ، وأعظم لمحات شبابي ، مرتبطة بكشمير ، تجوات كثيرا في الوادي ، وسكنت شهورا وشهورا في بيوت الفلاحين ، شاهدت من خلال إقامتي معهم أفراح الناس وأتراحهم ، ومسراتهم وأحزانهم ، ولست عن قرب فقرهم وجهلهم ... وهنا يجب أن أعترف أنني لو لم أشاهد كل هذا عن قرب لما كتبت أبدا قصة واحدة مما كتبت " .

أما الأدبية نكية بلكرامى فهي امرأة شرقية تعبر مثلها مثل معظم أدبيات العالم العربى عن روح الشرق وتقاليده ، وعن الأسيرة الشرقية بكل ما فيها ، وعن تطلعات المرأة فى الحياة المعاصرة .. ولا أريد أن أعقد مقارانات أدبية ، ولكنى أقدم هذه النماذج المترجمة فرصة للدارسين العرب ، ليطلعوا على نماذج من أدب القصة القصيرة الحديثة والمعاصرة فى الهند ، وقد وضعت مقدمة مختصرة لتطور فن القصة القصيرة فى الهند مركزا على ما يتعلق بمن ترجمت لهم ، على أن تتضمن مجموعات قصصية أخرى دراسة أخرى تلقى المزيد من الضوء على فن القصة فى شبه القارة .

وأتوجه بالشكر إلى القائمين على شئون المجلس الأعلى للثقافة على اهتمامهم بنشر ترجمات من الآداب الشرقية ، فهم بذلك يؤكدون حرص وزارة الثقافة واهتمامها بإثراء المكتبة العربية فى مصر والعالم العربى بإبداعات أدباء الشرق جنبا إلى جنب مع إبداعات أدباء الغرب ، وذلك ضمن المشروع القومى للترجمة .

سمير عبد الحميد إبراهيم

القاهرة ٢ يناير ٢٠٠٠ م

مقدمة

القصة القصيرة في شبه القارة

كانت اللغة الفارسية في الأزمنة الوسطى هي اللغة الرسمية ولغة الثقافة في شبه القارة ، وظلت هكذا حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، وبالتدريج بدأت اللغة الهندوستانية أو الهندية التي أطلق عليها فيما بعد اللغة الأرية تتال هذه المكانة ، ويرى علماء اللغة أنه مع مطلع عام ١٨٠٠م كانت اللغة الأرية التي احتلت مكانة لغة الثقافة والأدب من البنجاب حتى البنغال ، ومن كشمير حتى الدكن ، كانت منبع الوحدة التي جمعت أهالي الهند وسط الاختلافات اللغوية^(١) ، ولم تكن الأرية منذ عام ١٨٣٥م هي اللغة التي تربط أهل الهند فقط بل كانت لغة المحاكم ، وصنفت بها المناهج التعليمية لكلية دهل ، كما أنشئت مراكز هامة تهتم بتطوير اللغة في مجالاتها العلمية والأدبية ، ثم ظهرت حركة تتادى بنشر الهندية والبنغالية وغيرهما ، وكانت تلك الحركة بسبب خباثة نفوس بعض الناس وبسبب أمور سياسية محضه .

رأى علماء الهند ممن وقفوا في صف الأرية أن حركة اللغة الهندية هي مهدى للسنسكريتية ، وحاول الزعيم المسلم سيد أحمد خان مواجهة هذه الحركة ، عن طريق التوفيق بين القادة الهنايكة والقادة المسلمين^(٢) ، إلا أن الاضطرابات الطائفية في الهند ، ساعدت على تلجيج قضايا اللغة ، في وقت حاول فيه بعض المصلحين القضاء على الاختلاف اللغوي بين أهل الهند ، وحين أسست الجامعة المليية الإسلامية

فى دهلى سنة ١٩٢٠م ، كان هدفها تدريس اللغة الهندوستانية التى تروج فيها الكلمات الأردية والهندية ، وفى عام ١٩٢٧م أسست فى مدينة إله آباد الأكاديمية الهندوستانية التى اعتبرت الهندوستانية ميراثًا مشتركًا لكل من الهندية والأردية كآكل من الهندية والأردية ، وراحت تعمل على نشرها بين الناس ، ودعا إلى ذلك الدكتور تاراتشند ، والدكتور بهكوان داس ، وعمل المهاتما غاندى على نشر الهندوستانية بين الناس ، مما جعل اللجنة العليا لحزب المؤتمر لعموم الهند تعترف بالهندوستانية لغة قومية للبلاد ، واقتрحت أن تصدر جميع اقتراحات وقرارات حزب المؤتمر بالهندوستانية قدر الإمكان ، وأيد هذا الاتجاه أيضا جواهر لال نهرو ، لكن هذه الحركة مضت ببطء فلم يكتب لها النجاح .

وفى عام ١٩٣٥م نادى بعض أعضاء حزب المؤتمر الهندى باعتبار الأردية لغة المسلمين ؛ لأنها تكتب بحروف اللغة العربية لغة القرآن ، وحاول البعض التوفيق فى قضية الهندية والأردية ، عن طريق إيجاد صورة ما تكتب بها اللغة الهندوستانية يتفق عليها الجانبان : المسلمون والهندوس^(٣) ، وتحولت قضية اللغة إلى قضية سياسية ، يستغلها البعض لتحقيق أغراضهم .

وحاول بعض الأدباء ومن بينهم الأديب بريم تشند الذى ترجمنا بعض قصصه هنا التوفيق بين الأردية والهندية ، وظل يقدم مشورته للأدباء ، ونجح إلى حد ما ، لكن عددا كبيرا من القادة ، رأوا أنه من الصعب تعلم الكتابة بالخط الهندى (ناكرى) والخط الأردى (العربى) فى وقت واحد ، ولم يصلوا إلى حل ، فراحوا يبحثون عن حروف لكتابة الهندية والأردية معا ، ورأوا أن الحروف اللاتينية هى الحل ، إلا أن أحدا من الطرفين لم يقبل بهذا الحل ، وهكذا ظلت الهندية تكتب بالناكرية وظلت الأردية تكتب بالحروف العربية .

وهكذا ظهر أدب هندي يكتب بلغة تكاد تكون واحدة نطقاً ومعنى ، لكنها تكتب مرة بحروف ناكريّة ومرة بحروف عربيّة ، وتسمى هذه هنديّة وتسمى الأخرى أردية ، وبمرور الوقت راحت كل لغة تأخذ طابعاً مميزاً وهذا ما سنلاحظه فيما كتبه بريم تشند ، فقد كتب قصصه بالأردية (الحروف العربيّة) ثم عاد وكتبها بالهنديّة (بالحروف الناكريّة) .

ظهور القصة القصيرة في الأدب الهندي وتطورها

رغم أن البعض يؤرخ لبداية القصة القصيرة في الأدب الهندي (الهندوستاني - الأردّي) مع بداية القرن العشرين الميلادي ، إلا أن إرهاصات هذا الفن ظهرت في الأدب الأردّي منذ فترة سابقة ، وكانت المحاولات الأولى ناقصة ، وتطور فن القصة القصيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين الميلادي بسرعة ؛ إذ شهدت هذه الفترة يقظة جديدة في إحساس أهالي شبه القارة ، بالإضافة إلى الإحساس بالحرز لضياح الحرية وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم في البلاد ، وظهرت عاطفة جياشة في قلوب الجميع من أجل الحصول على الحرية ، وظهرت حركات اليقظة السياسية في عموم الهند وبخاصة بين المسلمين ...

تأثرت القصة الهنديّة - بدايةً - بالقصة في الغرب ، وأخذت من عناصرها الكثير ، ورغم هذا فقد حافظ الأدباء على ملامح الحياة الشرقيّة في قصصهم ؛ حتى إن بعض الأدباء استفادوا مباشرة من تراث الأجداد ، فمزجوا بين أسلوب الغرب والشرق موجدين أسلوباً جديداً لهم ، فرغم أن الأدباء في الهند اتخذوا من الأدب الغربي معياراً لهم ، إلا أنهم غاصوا في تراثهم الشرقي ، فجعلوا القصة الهنديّة تحفة فنيّة ^(٤) .

لعب النقد - مثلما لعبت المجلات الأدبية - دورا هاما في تمهيد الطريق لكتاب القصة في الربع الثاني من القرن العشرين ، فصدرت كتابات عديدة عن الجوانب الفنية لفن القصة ، إلا أن فن القصة تأثر كثيرا بل استفاد من القصص التي ترجمت إلى الأدب الهندي من لغات عديدة ، وخاصة بعد عام ١٩٣٠م ، فقد ترجمت قصص قصيرة لا حصر لها من الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية والنمساوية والبلجيكية والروسية والتركية والعربية والصينية واليابانية وغيرها ، إلى اللغة الأرية ، وتأثر أدباء القصة في الهند بتلك الترجمات سواء من الناحية الفنية أو من ناحية المضمون والموضوع ، وظهرت أسماء عديدة بالإضافة إلى المشهورين أمثال : بریم تشند ، على عباس حسين ، نیاز فتحپوری ، ومجنون كورك بوری ، كما ظهر أيضا أحمد أكبر آبادی ، وراشد الخیری ، وعظیم بیك تشفتائی ، وغيرهم ، واكتمل شكل القصة القصيرة كفن أدبي في الهند أواخر عام ١٩٣٥م (٥) .

وتعد سنة ١٩٣٦م منعطفا هاما في تاريخ القصة القصيرة في الهند ، فقد تأسست جمعية من الأدباء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأبناء التقدميين ، وشكلوا اتجاها أدبيا أو مدرسة أدبية عرفت باسم : « ترقى بسند تحريك » ؛ أي حركة الأبناء التقدميين ، وأصدر هؤلاء مجموعة قصصية ، كانت بالنسبة لعامة القراء غير مقبولة ، نظرا لما فيها من فحش وهجوم على الحضارة الهندوسية من جهة ، والحضارة الإسلامية من جهة أخرى ، مما جعل الحكومة الهندية تلجأ إلى مصادرة هذه المجموعة القصصية ، حفاظا على الأمن العام ، ولهذا نالت هذه المجموعة القصصية أهمية تاريخية ، رغم أنها كانت في معظمها ضعيفة من الناحية الفنية .

كان هؤلاء الشبان الذين شكلوا الحركة الأدبية سابقة الذكر قد درسوا في إنجلترا ، وبعد عودتهم هالهم ما وجدوا عليه بلادهم من فساد وسوء خلق ، وتردى القيم ، وهكذا جاءت قصصهم غريبة على المجتمع ، فكانت مثل قنبلة مدوية في دنيا القصة القصيرة الساكنة ، وقد كتب أحد أبناء هذه الجماعة معبرا عن رأى الجماعة :

« لا يزال أدبنا يحمل تلك الاتجاهات التي تمنع مسيرة المجتمع التقدمية أو لا تحثه على التقدم ، وأدباؤنا النائمون في نشوة الغفلة لا يتطلعون حتى إلى ما هو حولهم ، وقد اضطر هذا بعض الشباب إلى أن يعبروا عما في داخل المجتمع من صور كريهة ، وهكذا صدرت المجموعة القصصية ... » .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان كانوا يصرخون ، ولا يدرون أحيانا ما يقولون ، ولهذا لجأوا إلى أسلوب السخرية ، ولجأوا أحيانا إلى الابتذال ، ولم تكن اللغة الأربية ، ولم يكن القراء ليسمحوا لهم بذلك ، وخاصة بعد أن تعدوا حدود الجسارة إلى الوقاحة ، وإذا كان الناقد وقار عظيم قد نعت قصصهم بالابتذال فإن سجاد ظهير - زعيم الحركة - اعترف نفسه بذلك مؤكدا أيضا على أن معظم قصص هذه المجموعة يفتقد إلى الاتزان والمقولة ، لكنها صرخة وصيحة ضد « الرجعية الاجتماعية » وضد « الدقيانوسية » على حد تعبيره ، ويرى الأديب الناقد عزيز أحمد أن أكبر عيب في المجموعة القصصية كان فقدان الاحتياط الواجب في الخطاب القصصى ، وعدم الالتزام بالأصول المتوارثة المتعارف عليها بين الناس ، بالإضافة إلى ما هو أخطر من ذلك ، وهو الهجوم على الدين بطريقة لاتقرها حتى العقليّة الاشتراكية (الشيوعية) التي سيطرت على الشباب في الهند آنذاك ؛ مما دفع الناس إلى إعلان الاحتجاج ، ودفع الحكومة إلى مصادرة المجموعة القصصية لهذه الحركة (١)

موقف الأدباء الكبار من الحركة

فى الجلسة الأولى لجمعية الأدباء التقميين التى عقدت فى لكةنو فى إبريل سنة ١٩٣٦م شارك أدباء الأردية أدباء البنفالية والكجراتية والمراتية والتألمية وأدباء التلكو ، وألقى كل منهم - بلفته - مقالاته التى تضمنت قضايا أدبية ، وترأس الجلسة الأديب بریم تشند الذى قال :

« ستظل هذه الجلسة حادثة يروها تاريخنا الأدبى ... » .

ثم عرض لأهمية إصلاح لغة الأدب الأردى والهندى ، وركز على بيان رسالة الأدب ؛ لأن الأدب ليس مجرد لهو أو لعب ، وأهاب بالأدباء ألا يهبطوا بأدبهم إلى المستويات المتدنية فقال :

« الأدب ليس الحقيقة التى تمضى خلف شعار الوطنية أو خلف السياسة ، بل هو الحقيقة التى تمضى لتحمل المشعل أمام الجميع ، فالأدب الصحيح هو الأدب الذى يتضمن فكرا ساميا وعاطفة تجاه الحرية ، وهو الذى يتضمن جواهر الحسن ، وروح التعمير لا التخريب ، ونور حقائق الحياة التى تبث فىنا الحركة والحماس ، ولا تخدرنا أو تصيبنا بالنوم والنعاس ؛ لأن نومنا الآن - ولو لفترة بسيطة - يعنى الموت » (٧) .

وفى مؤتمر الجمعية الذى عقد عام ١٩٣٧م فى إله آباد ، رُشح مولوى عبد الحق (عميد الأدب الأردى) لرئاسة المؤتمر ، إلا أنه لم يتمكن من الحضور ، فأرسل خطابا إلى المؤتمر ، فشجع المؤتمرين ، وقدم لهم المشورة :

« مهما كانت آراؤنا وأفكارنا على مستوى رفيع ، ومهما كانت حبيبة إلى قلوبنا عزيزة علينا ، إلا أننا إذا لم نبعث فيها الجدة والتجديد ؛ فسيأتى عليها يوم تكون مثل الماء الراكد فى بحيرة مغلقة ، ستتكون فيها جراثيم سامة تكون سببا فى هلاكنا » .

« وعلى كل أديب من أدباء الجماعة أن يطالع الأدب القديم ، وأن يرى مدى صلاحية التطوير في أدبنا ، ما هي الأمور الواجب تركها ؟ وما هي الوسائل اللازمة للوصول بالأدب إلى مكانته العالية ؛ إنكيف يتم إصلاح ما ورثتموه إذ لم تعرفوا مواطن الحسن والقبح فيه ؟ » (٨) .

وهكذا كان مولوى عبد الحق مع حركة الأدباء التقدميين ، لكنه يقدم المشورة للأدباء ناصحا قائلا بأن التفكير في الماضي ، ودراسة التراث لايعنى التقليد ، ولايعنى الرجعية ؛ فإن ميراثنا الأدبي ليس كله غث ، بل فيه الكثير من الأدب القيم ، أما الآخر فيمكن الاتجاه إلى إصلاحه ليكون أدبا ساميا .

وفي مؤتمر الجمعية الذي عقد في إله آباد مارس سنة ١٩٣٨م قدم كل من جواهر لال نهرو ، والأديب البنغالي رابندرناث طاغور رسالة إلى الأدباء المجتمعين ، فطلب نهرو من الأدباء أن يكونوا عوناً للمجتمع ، وأن يعبروا بكتاباتهم عن مجتمعهم ، حتى يكون لأدبهم تأثيره على أفراد المجتمع ، وهكذا عبر طاغور :

« إن العزلة في سبيل الإبداع الأدبي مفيدة وضارة في نفس الوقت .. فالحقيقة أن الأديب إذا انفصل عن المجتمع لا يمكنه أن يتعرف على بني البشر ، وهكذا يحرم من يعيش في عزلة من التجارب التي ينالها باختلاطه بمجتمعه .. لقد بقيت منعزلا عن المجتمع لمدة طويلة أمارس رياضتي الخاصة ، وكان هذا خطأ كبيرا عرفت الآن فقط » (٩) .

وكان لرعاية هذه الشخصيات أثرها على الحرمة الأدبية المذكورة ، وساعدت على دعمها وتقويتها إلى حين ؛ إذ بدأ بعض الأدباء يعارض الحركة ، وانطلقت الشرارة الأولى بعد المقال الذي كتبه نواب جعفر على خان أثر لکهنوی بعنوان :

« الأدب الجديد إلى أين المسير ؟ » (١٠) .

ثم كتب البروفيسر رشيد أحمد صديقي مقالاً في مجلة " أفتاب " الصادرة من " على كره " تناقلته عدة مجلات أخرى ، عارض فيه البروفيسر الأديب رشيد أحمد صديقي ماشاع بين الأدباء من أدب خاص يتعارض مع العقائد الدينية ، ومع النوق السليم ، وعقد بعدما الأديب ماهر القادري مؤتمراً يهدف إلى إصلاح الأدب الأردى ، وأعلن أن ما يقوم به الأدباء التقدميون يعنى الموت للغة الأردية ، فهم يستخدمون ألفاظاً مهملّة ، وبطريقة خاطئة تماماً ، ولا يفعلون سوى تخريب أساس اللغة لا إصلاحها أو تطويرها ..

وحين أصدر فرقت كاكورى مجموعة من الشعر الحر لبعض الشعراء التقدميين رد عليه أدباء الأردية : عندليب شادانى ، ومسعود حسن رضوى ، ونياز فتحپورى ، وعارضوا تماماً الشعر الحر قائلين بأنه يتعارض كلية مع مزاج وروح الشعر الأردى ، وكتب حسن عسكرى عدة مقالات فى نقد هذه المجموعة الشعرية ، وظهرت معارضة شديدة بين أدباء الأردية لحركة الأدباء التقدميين ، ولأسلوبها الهادف إلى تشويه اللغة الأردية أساساً ، وفى أكتوبر عام ١٩٤٥م عقدت جماعة الأدباء التقدميين مؤتمراً فى حيدر آباد ، أعلن فيه الأدباء عن معارضتهم لأدب الفحش ، ونكروا أن ما يصدر الآن من أدب فاحش باللغة الأردية لا علاقة له أبداً بحركة الأدباء التقدميين ولا بنظرياتهما ، فالأدباء التقدميون ضد الفحش والابتذال ، ويرون التعبير عنه فى الأدب ظاهرة غير صحيحة ، وغير مفيدة ، بل ضارة بالأدب ، إلا أن بعض الأدباء التقدميين عارضوا إصدار هذا البيان ، وعلى كل حال كان للأدباء الكبار تأثيرهم فى دفع عجلة تطوير فن القصّة القصيرة فى الهند ، بينما لم يكن للفث من الأدب أى مكان بين الناس .

﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(١٧)

صدق الله العظيم

وهكذا يمكن القول باختصار بأن هدف جماعة الأنبياء المتقدمين كان مخالفة كل ما من شأنه أن يحول دون التطور والرقى ، وتتقية طريق الحياة مما ظنوه أشواكا في الطريق ، إلا أن هؤلاء جاوزوا الحد ، مما أوجد مقابلهم فريقا آخر يدعو إلى التمسك بالقديم ، والمحافظة على التراث ، مما دفع بعض آباء حركة التطور هذه إلى محاولة فهم الدين فهما صحيحا بدلا من تأويله ، فوجدوا مفهوما جديدا للتطور يمكن أن نطلق عليه « الإحياء » ، وهنا يتضح تماما الفرق بين الكتاب المجيدين والكتاب غير المجيدين .

تطور فن القصة في الهند ودور الأدب النسائي :

من الجدير بالذكر أن المرأة شاركت الرجل منذ البداية كتابة فن القصة ، وكان سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية قد دعا إلى ضرورة إعطاء المرأة قسطا من التعليم يتناسب مع إمكانياتها ، ولا يتعارض مع ظروفها كأمراة مسلمة ، وظهرت عدة مجلات أدبية مثل : " تهذيب نسوان " و " شريف بي بي " ؛ مما أوجد فرصة لدى بعض النساء الموهوبات لكتابة القصص ثم كان للمجلات التي ظهرت في الفترة التالية لحركة سيد أحمد خان أثرها الإيجابي على تطور القصة الأربية ؛ فقد بدأت نماذج القصة الأربية تنشر في مجله " مخزن " و " زمانه " وغيرهما .

تطور فن القصة القصيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين ، وعبر الأنبياء عن مشاعرهم وأحاسيسهم الحزينة ، نظرا لضيق الحرية وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم في البلاد ، وظهرت عاطفة جياشة

فى قلوب الجميع من أجل الحصول على الحرية ، وظهرت حركات اليقظة السياسية فى عموم البلاد وبخاصة بين المسلمين .. وأبدع بعض الأدباء فى قصصهم ورواياتهم التى جعلوا لها هدفا واضحا لخدمة الأمة الهندية ، وتطور فن القصة القصير وانتشرت وزاد عدد قرائها .

وقد شهدت فترة أوائل القرن العشرين نهضة نسائية ، تزامنت مع حركة تهدف إلى ترك العادات البالية ، وقام الأديب راشد الخيرى بعصده شيخ عبد القادر وشيخ محمد إكرام بتشجيع تعليم المرأة والحفاظ على حقوقها داخل المجتمع ، وصدرت فى " دهلئ " سنة ١٩٠٨م مجلة " عصمت " ، ومن العجيب أن يقوم راشد الخيرى بكتابة عدة مقالات وبعض القصص القصيرة بأسماء وهمية لبعض النساء ؛ مما أدى بدوره إلى تشجيع المرأة على الدخول إلى ميدان كتابة القصة القصيرة ؛ فظهرت على صفحات مجلة " عصمت " أسماء حقيقية لأديبات هنديات جنبا إلى جنب مع أسماء الأدباء المشهورين .

وهكذا دخلت المرأة هذا الفن ، وكانت الكتابات النسائية ذات طابع إصلاحى تبلىفى ، ومن بين الأديبات اللاتى كتبن فى هذا الفن : محمدى بيغم ، وعباسى بيغم ، ونذر سجاد حيدر ، وطيبة بيغم ، وبيغم شاه نواز ، وصفرى همايون مرزا ، واتجهن إلى كتابة الرواية بدلا من القصة القصيرة ، بهدف تعليم المرأة ونيل حقوقها .

لم يكن الأديب راشد الخيرى هو الوحيد الذى كتب بأسماء نسائية مستعارة ليشجع المرأة على دخول ميدان الأدب ؛ فقد كتب فضل حق قریشى قصصا قصيرة بتوقيع طاهرة بيغم شيرازى ، وكتب نیاز فتحپورى قصصا باسم مريم زمانى بيغم ، واتسمت قصص الأيبين بروح الدعابة والشقاوة .. إلا أن الأديبات : عباسى بيغم وخاتون أكرم وأمة الوحى وراحت أرا بيغم وشانسته اختر سهرورى أخذن مكانتهن

فى مصاف الأباء ، وكانت أفكارهن فى قصصهن أفكارا نيرة ؛ فقد انتمى إلى أسر فاضلة من الأسر التى تهتم بالعلم والعلماء والأدب والأباء ، وقد اتخذن من قضايا المرأة موضوعا رئيسا فى كتاباتهن وأبدعن قصصا هائلة ، وكانت خاتون أكرم من أشهر الأدبيات اللاتى كتبن القصة القصيرة فى مجلة " عصمت " ما بين سنة ١٩١٨م وسنة ١٩٢٤م ، ومن أهم قصصها " انقلاب زمانه " ثورة المصر " و " بيكر وفا " مجسم الوفاء ، و " بجهري بيتى " أى الابنة التى فارقتنى ، ونالت الأدبية شهرة واسعة ونشرت مجموعة قصصها تحت عنوان " كلستان خاتون " ، وكانت خاتون أكرم أول أديبة تقال شرف الأدبية صاحبة أول كتاب ينشر ، ويتضمن مجموعة قصصها القصيرة .

وصدرت عدة مجلات فيما بعد .. من لهنو مجلة نكار ، ومن لاهور مجلة همايون ونيرنك خيال وأدبى دنيا ، ومن دهلى ساقى وغيرها ، حيث كان لها دور عظيم فى تطور القصة القصيرة .

ثم كان عصر الترجمة ..

زادت حركة ترجمة القصص القصيرة من اللغات الأجنبية إلى الأردية ، وكان لهذه الحركة أثرها فى اطلاع كتاب القصة القصيرة على المستوى الفنى الذى وصلت إليه القصة على المستوى العالمى ، كما عرضت نماذج مختلفة من القصص .

وإذا كان النقاد يرون أن سنة ١٩٣٦م تعد منعطفًا هامًا فى تاريخ القصة القصيرة فى الأدب الأردى بعد تأسيس حركة الأباء التقدميين - كما ذكرنا من قبل - فإنهم يعتبرون الفترة التى تلت عام ١٩٣٦م هى الفترة الذهبية للقصة القصيرة فى الأدب الأردى ، نظرا لتأثير حركة الأباء التقدميين ، فقد ظهرت جماعة أخرى تسمى " حلقه أرباب نوق " ،

وظهرت جماعة ثالثة روجت لفكرة الأدب من أجل المتعة أو الفن للفن ومن هؤلاء عظيم بيك تشفتائي وشوكت تهانوي ، كما اتجه فرحت الله بيك ورشيد أحمد صديقي وشفيق الرحمن وبطرس بخاري لأسلوب الدعاية والمزاح .

وكما كان لعصر الترجمة أثره على الأدباء الهنود فقد كان له أيضا أثره على الأسيات الهنديات ، نظرا لأن الاتجاه الرومانسي في القصة جذب المرأة أكثر ، فذاع صيت حجاب إسماعيل التي عرفت فيما بعد باسم حجاب امتياز على ، التي كتبت قصصا تتميز بالإبداع والرومانسية ، كما ذاع صيت مسز عبد القادر التي أعطت القصة الأردنية مكانة مرموقة ، وحددت لها اتجاهات واضحة ، ويشير النقاد عادة إلى تأثرها بروايات " انجر آلن بو " الرومانسية وعنصر الخوف والرعب ظاهر في قصصها ؛ ومن عناوينها مثلا " لاشون كا شهر " مدينة الجثث و " صداد جرس " صلصلة الجرس و " راهبه " أي الراهبة ، وقد برعت الأدبية في استخلاص نتائج ميتافيزيقية رومانسية من الأحداث الواقعية ، وأبدعت هذا الفن في الأردنية ، كما كان لكتابات رشيد جهان أثرها على قصص وروايات أسيات الأردنية : عصمت تشفتائي ، وهاجرة مسرور ، وخديجة مستور ، وواحدة تبسم ، وقد اشتهرت من بين هؤلاء الأسيات عصمت تشفتائي التي تناولت في أدبها موضوع الجنس لتعبر عما يدور في المجتمع ، وقد حملت ما يدور داخل الحجب إلى خارج الحجب ، وعرضته بلذة فكرية وجدت قبولا أحيانا ؛ ورفضاً أحيانا فالناقد عزيز أحمد يرى أن عصمت تشفتائي أدبية ذات اتجاهات مريضة ، ويعود فيقول : لكن أحدا لا يمكنه أن ينكر قدرتها على البيان .

أما خديجة مستور وهاجرة مسرور فقد نحيا منحى الأدباء

التقدميين ، وحاولتا رؤية الحياة من خلال التعبير عن إحساس المرأة الرقيقة وعواطفها ، ووصلتا إلى درجة عالية من التعبير الفني من خلال عرض الصراع بين الخير والشر لإخراج صورة مؤثرة لعلاقات الصداقة الإنسانية .. أما الكاتبة صديقة بيغم فقد عبرت في قصصها عن ملامح الحياة الاجتماعية للأسرة المسلمة ، بينما كتبت زينب سجاد قصصا رائعة صورت فيها بيئة إمارة حيدر آباد الدكن بكل ملامحها الاجتماعية والسياسية ، وعن طريق القصة قامت بتشريح المجتمع ، ونجحت في ذلك إلى حد كبير ، ويرى النقاد أن عصمت تشفتاى هي الأدبية التي احتلت مكانة ثابتة بين الأدباء التقدميين ، بينما كانت بقية الأدبيات كاليراعات يحلق .. ويبرقن .. ثم ينتهين .

اتجه الأدباء قبل تقسيم شبه القارة الهندية إلى تصوير المجتمع بكل تعقيداته وبكل مشاكله ، وإذا كان أديبا مثل رام لعل قام بتصوير المناطق المحيطة بميانوالى (فى باكستان حاليا) فقد راح بعد التقسيم يصور مناطق دهللى ولكهنو ..

ومن الأدباء الذين ذاعت شهرتهم قبل التقسيم وبعده أيضا نذكر : شوكت صديقى ، وقرّة العين حيدر ، وخديجة مستور ، وهاجرة مسرور ، وقدرت الله شهاب ، وپروین سرور ، وای حمید ، وسید أنور ، وممتاز شیرین ، ومحمد أحسن فاروقی ، وقاضی عبد الستار ، وتسنیم سلیم تشهتاری ، ويذكر أنه بعد التقسيم برز أدباء إلى الصف الأول منهم : إشفاق أحمد ، انتظار حسين ، غلام الثقلين نقوى ، بانو قدسية ، الطاف فاطمة ، نثار فاطمة ، خليل أحمد ، وغيرهم .. اتجه إشفاق أحمد إلى تصوير الواقعة الصغيرة فى قصة ليركز بها على هدف معين ، وقد نالت قصته " كيريا " أى " الراعى " شهرة كبيرة ، ومن قصصه " توبه " أى التوبة و " تلاش " أى البحث " و " شبر خون " أى الفارة ليلا ، أما

انتظار حسين فقد ركز على الماضي ليصل إلى الحاضر ثم يعود مرة أخرى إلى الماضي ، وهو يستخدم الرمز وأسلوب الرواية الأسطورية ، وقد وفق من الناحية الفنية في العرض القصصى ، ومن الأدبيات نذكر فرخنده لودهى التى ركزت على الريف ؛ فهى من الريف وأقدامها متصلة بالأرض والفلاحة .. وقد قدمت إلى المدينة فجمعت بداخلها ألوان الحيرة والدهشة ؛ ومن قصصها " شرابى " أى السكيرو " معجزه " أى المعجزة ، بينما ركزت الأدبية الطاف فاطمة على الجانب النفسى فى شخصيات قصصها .

أما الأدبية القديرة قرة العين حيدر فلا تزال تعطى الأدب الأردى من مداد قلمها ثروة أدبية عظيمة ، وقد نالت شهرتها قبل التقسيم وبعده ، وهاجرت إلى باكستان ثم عادت مؤخرًا إلى الهند ، وقد نالت أكبر الجوائز الأدبية فى عموم الهند فى نوفمبر ١٩٩٤م ، وقد نشأت فى بيت أدب وعلم ؛ فوالدتها هى الأدبية نذر سجاد حيدر ووالدها هو سجاد حيدر يلدرم ، وكلاهما من كتاب القصة كما أشرنا .

بالإضافة إلى قرة العين حيدر ، وممتاز شيرين نذكر سحاب قزلباش ، وتسليم سليم جهتارى ، وعائشة درانى ، وشانسته اختر ، وصالحه عابد حسين ، وبروين سرور ، وحמידة سلطانى ، وزهره جبين ، وشفيق بانو ، وسيدة أشرف وغيرهن ، ورغم أنهن لم يزلن اهتمام النقاد ، إلا أنهن نلن اهتمام القراء ؛ فقد ظلت مثلاً قصص سحاب قزلباش لفترة تثير التساؤلات وتقال الاهتمام على صفحات صحيفة " جمنستان " فى دهلى ، ولا يزال صدى قصتها " أك جل رهى تهى " كانت النار مستعرة - يسمع حتى اليوم كما نشرت بعض قصصها فى مجلة " آج كل " ، ومن قصصها " بهوكا هـ بنكال " أى البنفال الجائع و " توت كيا ايك تاره " نجمة تحطمت . هذا وكتبت صالحة عابد روايات وقصص

اجتماعية إنسانية ، وعبرت بروين مسرور عن البريرية التي حدثت أثناء تقسيم شبه القارة ، كما عبرت أيضا عن سقوط دهاكه ، ولا تزال هذه الموضوعات ومثلها هي عصب قصصها .

ومنذ سنة ١٩٨٠م وما بعدها بدأ عصر الإبداع في فن القصة القصيرة في الأدب الأردني على يد ألباء كبار ورد ذكر بعضهم ، ومنهم : ممتاز مفتي ، ميرزا أديب ، أحمد نديم قاسمي ، وكذلك أنوار أحمد ، ومرزا أظهر بيك ، ومحمود أحمد قاضي ، وعقيلة كاظمي ، وكلزار جاويد .. كما حققت بعض الأدبيات شهرة واسعة ، ونذكر منهن : نيلوفر إقبال ، ونكهت سيما ، وعطيه سيد ، وشمع خالد ، وفريده حفيظ ، وشكيله رفيق ، ورفعت مرتضى ، وخالده شفيق ، ونسرين قريشي ، وبروين عاطف ، وسلمى أعوان ، وأمنة أبو الحسن ، وغزالي محمود ، وطاهره مسرور ، وشبانة صديقي ، وسلمى ياسمين نجمي ، وشمع خالد ، وفرزانه رباب ، وسلمى صديقي ، وأديتنا ذكية بلكرامي التي ترجمنا لها هنا قصتها ، وغيرهن كثيرات ..

بريم تشند وفن القصة القصيرة

ولد الأديب الهندي بريم تشند في قرية قريبة من مدينة بنارس في شمال الهند ، وذاعت شهرته في عموم الهند ، وترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم ؛ فقد أبدع فن الرواية والقصة القصيرة ، وكتب معظم أعماله بالهندية والأردية معا ، مات في أكتوبر عام ١٩٣٦ م .
كان للأديب بريم تشند وجهة نظر تتعلق بالنظرية اللغوية في الهند ، تختلف عن نظرية رجال السياسة :

« في رأي أن الأردية والهندية لغة واحدة ... الفعل والفاعل وغيرهما ، وكل ما حدث كان من « كرامات » فورت وايم ^(١١) الذي أعطى للغة الواحدة شكلين محاولاً تمييزهما عن بعضهما .. وأنا أقول إن من يحاولون تقسيم اللغة في البلاد إلى « قطعتين » إنما يقسمون حياتنا القومية بالتالي إلى « قطعتين » .. إن كلمة هندی كلمة قالها المسلمون ، أطلقوها على اللغة التي كان يتكلم بها الناس قبل خمسين سنة ، واللغة التي نسميها اليوم اللغة الأردية كان المسلمون يطلقون عليها أيضاً اسم « هندی » ^(١٢) .

ولكن بقيت مسألة كتابة اللغة ؛ فقد شعر هو بصعوبة الأمر ، إلا أنه رأى أن تكتب اللغة القومية بالحروف الناكارية ؛ لأنها هي الحروف القومية للهند ، وعليه يجب نشر اللغات الأخرى بها على أن يتم ذلك بالتدريج .. إلا أن الأيام أوضحت أن الهندوستانية التي دعا إليها البعض لم تصل إلى منصب اللغة القومية ، فقد كانت لغة الحديث الرائجة على ألسنة الناس ، ولا تزال حتى اليوم ، لكن وجودها في الأدب معدوم ، والهندية والأردية لا زالتا كما كانتا من قبل ، ترقى كل منها وتتطور على نريها الخاص لكن في اتجاهين متفايرين .

كتب الأديب بريم تشند - ويُعد من عمالقة الأدب الهندي الأردى
ومن رواد فن القصة - بالأردية ، ثم راح يكتب بالهندية ماسبق وكتبه
بالأردية ، أو كتب قصصاً جديدة بالهندية ثم أعاد صياغتها بالأردية ،
وهناك خلاف على بداية تأليفه بالهندية (عام ١٩٠٦م ، أو عام
١٩١٣م ، أو ١٩١٦م ، أو ١٩٢١م) .

وحين كتب بالهندية عارضته شريحة كبيرة من الناس ؛ ممن ظنوا
أن أفكاره سم قاتل للغة ولأسلوب الأدب الهندي ، ومن هنا عارضوه
واعتبروه أديب الأردية لا الهندية ، ولهذا لم ينل بريم تشند اعتراف
الهيئات الأدبية ، ولم يحتل أى مكانة فى الأدب الهندي ، ولم ينل أى
جائزة أدبية ؛ إذ اعتبروا أسلوبه فى الكتابة غير هندي !!

على كل حال ظهرت دراسات مقارنة عن أدبه بقسميه الأردى
والهندي ، توضح الفروق فى القصة الواحدة التى صاغها باللغتين ،
وكان الأديب يغير أحيانا فى عناوين قصصه ، وفى بعض الأسماء
الواردة فى القصة الواحدة ؛ فهو يخاطب أصحاب عقيدتين مختلفتين .

نشر عام ١٩٣٤م قصة بالأردية بعنوان (عصمت) ثم نشرها بعد
ذلك بالهندية بعنوان (شانتى) أى الأمن والسلام ، وإذا ما طبعت قصة
بالأردية والهندية يلاحظ أن الطبعة الثانية للقصة الأردية هى ترجمة عن
الهندية ، وتكون لغة القصة بالمقارنة بالطبعة الأولى لغة صعبة غير
مألوسة ، وهناك اختلاف ، بلاشك ، فى العبارة وفى الأسلوب ، نظراً
لطبيعة كل من الأردية والهندية واستخدامهما لبعض الألفاظ (١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن الأديب الناقد الدكتور جعفر رضا فى
كتابه عن بريم تشند وأدبه يشك فى أن يكون بريم تشند نفسه قد
ترجم بعض قصصه من الأردية إلى الهندية ؛ إذ يقول عن قصة « الكفن »
التي نشرت بالأردية عام ١٩٣٥م فى مجلة ماهنامه جامعة :

« متى ومن قام بترجمتها إلى الهندية ؟ الإجابة عن هذا السؤال أمر صعب ... ففي الطبعة الأردية توجد تفاصيل لأحداث لا تؤثر على النواحي الفنية ، بينما في الطبعة الهندية أجرى المترجم إضافات رائعة زادت من تشويق القارئ ، لكنها تختلف عن منهج وأسلوب بریم تشند » (١٥).

كتب بریم تشند في مرحلة حياته الأدبية الأولى قصصا رومانسية وتاريخية تعبر عن حبه للوطن ، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة القصة الاجتماعية الواقعية ، وركز على موضوعات خاصة بالطبقة المتوسطة ؛ فنقد عادات المجتمع الهندي الفاسدة ، فشملت قصصه قضايا خاصة بالبيئة الهندوسية والبيئة المسلمة على حد سواء ، مثل قضية زواج الأرامل ، والزواج المبكر في الصغر ، والعلاقات بين الزوجة وحمايتها ، والعلاقة بين السادة ومخدوميهم ، وقام بریم تشند بالدفاع عن طبقة المنبوذين داخل المجتمع الهندي ، ودعا إلى العمل وعدم الركون إلى البطالة ؛ فالمنبوذ يعمل ويسمى والبرهمن يركن إلى الكسل ، ثم انتقل بریم تشند بعد ذلك إلى المشاركة بفنه وأدبه القصصى في الكفاح السياسى من أجل التحرر من سيطرة الإنجليز ، واهتم في الوقت نفسه بمعالجة قضايا الريف الهندي الذي يمثل ٩٠ ٪ من سكان الهند .

والحقيقة أن العقيدة الهندوسية كانت تسيطر على فكر الأديب وتحرك قلمه ؛ فهو يدعو إلى التمسك بالتقاليد الهندوسية وتأصيلها والاستفادة منها ، وهو كهندوسى كان من أكثر الناس معرفة بطبائع الهندوس ومشاكلهم ، فاختر منهم معظم الشخصيات القصصية البارزة والرئيسية ، ونلاحظ تعصبه الواضح ، فإذا اختار شخصيات إسلامية فهي شخصيات خارجة على القانون أو ممن دنسوا شرفهم كقطاع الطرق والمرتشين ، وأصحاب نور الدعارة والمجون ، . (١٦)

وهو في هذا يعبر عن كراهية طائفة الهندوس العمياء للمسلمين ،
ومن هنا نلاحظ أن الأديب لم يقترب من المجتمع المسلم ، كما لم تكن
لديه نظرة بالعقيدة الإسلامية السامية .

على كل حال يعد بریم تشند من الأبناء الذين اهتموا بقضايا
المجتمع ، وبخاصة الطبقات الدنيا في المجتمع الهندوسي ، وتعاطف
تماما مع كل من أقبل على العمل بكل أنواعه حتى اضطرتهم الظروف
إلى ارتكاب الأخطاء ، فهو يدعو إلى التسامح معهم ، ونلاحظ هذا في
قصته « الطفل البريء » التي عرض فيها للعلاقة بين السيد والخادم ،
وأوضح كيف أعلن السيد أن البراعة الحقيقية في قلوب المساكين من
الناس ، الذين يتسامحون ويعفون عن الأخطاء التي يرتكبها الآخرون في
حقهم ، وفي قصة « الأم والنصيب » يقدم حكاية أسرة تنتمي إلى طبقة
رجال الدين الهندوسي ، قرب العائلة راهب هندوسي له مكانته ، والأم
تواجه أبنائها بعد موته ، فيسلبها الأبناء الذين تحولوا إلى وحوش
كأسرة تحطم كل شيء حتى حياتها ، واستخدموا في ذلك قانونهم
الهندوسي بعد تلويكه بطريقة جعلت الأم تقول لهم : « اقذفوا بهذا
القانون عرض الجبل ، احرقوه حرقوه أو ألقيوه في البحر » .

كرشن تشندر وفن القصة القصيرة

ولد الأديب الهندي كرشن تشندر عام ١٩١٢م ، ومات عام ١٩٧٧م .
قال عنه الأديب الناقد وقار عظيم :

« كرشن تشندر هو أكثر كتاب القصة القصيرة في زماننا شهرة ،
وأكثرهم قبولا في قلوب القراء ، ينتظر قراء الأردية في كل مكان كل
قصة جديدة له بلهفة وشوق ، فقد سيطر بفنّه على قراء القصة حتى
اعترف الجميع بأنه أفضل كتاب القصة بلا منازع ، فجلسوه في أعلى
مكان في قلوبهم ، هذا الرجل الذي مر بمراحل عديدة على طريقه الفني
الأدبي حتى وصل إلى مكانته المرموقة ... » (١٧) .

صنع كرشن تشندر دائرة الفكر والمشاعر من خلال مزج الخيال
بالواقعية أو الحلم بالحقيقة ، والحلم حلم عن دنيا حول جمالها الطبيعي
، ومناظرها الخلابة وادي كشمير إلى جنة الله في الأرض ، وقد ذكر
كرشن تشندر أثر كشمير عليه هكذا : « إن أجمل ذكريات طفولتي ،
وأعظم لمحات شبابي مرتبطة بكشمير ، تجولت كثيرا في وادي كشمير ،
وسكنت شهورا وشهورا في بيوت الفلاحين ، وشاهدت من خلال إقامتي
معهم أفراح الناس وأتراحهم ، مسراتهم وأحزانهم ، ولست عن قرب
فقرهم وجهلهم ، وتحملت عنهم أحيانا عبء أوهامهم ، وأحسست برحابة
قلوبهم وعطفهم ، وصل حبهم الشاعرى للطبيعة وما فيها من شفافية إلى
أعماق روحي ، وهنا يجب أن أعترف أيضا بلثني لو لم أشاهد كل هذا
عن قرب ، لبقيت لفترة طويلة أجهل عظمة الإنسان وطو مكانته ، وربما
لم أكتب أبدا قصة واحدة مما كتبت » (١٨) .

وهكذا بدأ كرشن تشنر حياته القصصية من كشمير فتضمنت مجموعات الأولى حياته التي عاشها هناك ، يقول :

« لاشك أنني تأثرت كثيراً بالطبيعة في كشمير ، وجمال أهل كشمير ، وحاولت أن أنقل هذا في قصصي الأولى ، لكنني داخل المناظر الخلابة صادفتني أيضاً مناظر قبيحة ، صادفتني ظلم وأذى ، لكن هذا لم يظهر في قصصي بشكل واضح .. » (١٩) .

وفن كرشن تشنر مثله مثل فن بریم تشند عبارة عن رسم صورة واضحة بل ومقارنة بين ما في الحياة من تضاد ، بين الحسن والقبح ، لكن كرشن تشنر يخطو خطوة للأمام ، فهو في قصصه ، يعبر عن الرومانسية والواقعية معاً بطريقة تتضمن بيان الحقائق بجرأة في التعبير ، وظل الأديب على الأقل في مراحل هذه الأولى يعبر في قصصه عن حقائق متضاربة :

« من ألبس الإنسان الذي خلقه الله حراً طوق العبودية ؟ لماذا المرأة التي خلقها الله في أحسن تقويم وزينها بالجمال ؛ لماذا هي مظلومة في كل مكان ؟ هل الظلم الواقع عليه ظلم أبدي ، أم هو ضرورة ، أم نتيجة للوضع البيئي ؟ » .

ورغم أنه لم يُجب على تساؤلاته في قصصه الأولى ، إلا أنه من خلال حياته في كشمير بجمالها الطبيعي الذي شأنه قلة من الناس ، أعماهم حب الحياة وحب المال ؛ فاندفعوا إلى ظلم الآخرين ، سطر في قصصه حقائق الحياة التي تراعت له .

واستمر إحساسه بمشاعر الناس يمضي معه في قصصه التي كتبها فيما بعد ، وخاصة عن الحياة في المدينة ؛ حيث يدعى البعض المدنية والحضارة ، لكن المدينة تعج بالجوعى والمرضى والعاطلين ،

كما أن التخلف وتردى الوضع الاجتماعى فيها لا يقل عن التخلف وتردى الوضع الاجتماعى فى الريف ، بل ساء الوضع فى المدينة ؛ إذ فسدت الأخلاق ، وانتشرت الأثانية ، وهذا نلمحه بوضوح فى عدد من قصصه ، ومنها القصة التى اخترناها هنا « شارع بطول فرسخين » ؛ حيث استخدم الأديب أسلوب الطنز والسخرية والتهكم .

ويركز كرشن تشندر - بالإضافة إلى المساوئ الاجتماعية والسياسية على نقاط ضعف الإنسان الأزلية والأبدية التى تأتى أحياناً فى شكل الوهم الذى يؤدي إلى التعصب ، أو القيم التى تتغير ، أو التقاليد البالية ، والبدع التى تسيطر على الناس ؛ فهو يحارب فكرة المتاجرة بالدين ، مهما كان أصحاب الدين ، وقد نقد أرياب المعابد الهندوسية نقداً لاذعاً ، وكشف عن سلوكياتهم المشينة واستغلالهم لعقائد الناس وخاصة البسطاء .

وعبرت قصصه أيضاً عن مرحلة الجهاد فى سبيل تحرير الهند ، وبعد تحرير الهند راح يتسائل عما جرى فى البلاد ، ويصرخ مما أصاب الناس من عطش الامتصاص للدماء ، ويبكى حظ الإنسانية فى بلاده ، وذلك بأسلوب فنى رفيع المستوى ، ويعود الأديب ثانية إلى الاتجاه الذى سيطر عليه وهو الاتجاه الرومانسى ، ولا شك أن تطورا حدث على ألبه مما يعطيه خاصية تميزه ، فهو دائماً يعترف بالحقائق المتغيرة والضروريات الاجتماعية مما يوجد فى ألبه مساحة رحبة ويوجد تنوعاً داخل فنه القصصى شمل دائماً موضوعات وقضايا جديدة ، ومواد وشخصيات متنوعة (٢٠) .

ويلاحظ القارئ كل هذا فى القصص المترجمة هنا ، ففي قصته « رجل كالمجنون » يعرض لاستغلال الإنسان لطيبة أخيه الإنسان ، وما يواجهه الناس الطيبون من مكر الخبيثاء ، وفي قصة « شجرة الماء »

يعرض لشريحة عريضة من الناس داخل القرية : العمدة ، وشيخ البلد ،
ومأمور المركز ، والفلاح الكادح ، والعامل الذى يقضى حياته كلها داخل
مناجم الملح ، وأكثر من هذا استغلال من يملك السلطة والمال لأهم
عنصر فى حياة البشر : الماء ؛ فقد سلب هؤلاء القرية كلها من مصدر
المياه ، فراح المساكين يحلمون بالماء كالجوعان يحلم بالخبز .

والأديب كرشن تشندر يحاول أحياناً أن يرى الفرد فى ضوء
المجتمع ، بينما يرى الاثنين معاً يتجانبان أحياناً أخرى ، وهذا هو
المنظر الأخير من قصته « موت نفمة » الذى يعبر عن هذه الحقيقة .

- « هل أعجبك ؟ » .

ظلت واقفة فى الماء لفترة ثم قالت بلهجة رزينة :

- « لقد سألتنى عما فى أعماق قلبى ، سوف أقول لك الصديق ،
إنك تُعجبني كثيراً ، لكن لاتعجبني لدرجة تجعلنى أهرب منك ، ثم إن
الزواج فى يد الأم والأب ، وأعتقد أن زواجك بى لايمكن أن يتم أبداً ،
والسبب الأول هو مسألة أمك ، ثم إنه - لاتؤاخذنى - يعنى ليس عندك
أطيان ، ولاثروة ، ولا دار ، لا شيء - لاتؤاخذنى - فقد سألتنى عما
فى قلبى » .

فالأسلوب الذى اختاره الأديب للتعبير عن الحقائق المرة ، وجعلها
مقبولة لدى الناس ، يتناسب تماماً وينسجم مع الضرورات العصرية ؛
فهو يظلفها بالمناظر الجميلة وبالأسلوب الشاعرى ، وكأنه يضع السكر
فى الدواء المر حتى يتمكن القارئ من تقبل الواقع المرير .

وتمبر قصة « شجرة الماء » عن كل هذا ؛ فبطل القصة يفقد
حبيبته التى تمنى أن يتزوجها ، يفقد لها لضيق ذات اليد مثلما

فقدت القرية النهر : لأنها لا تملك القوة التي تمكثها من مواجهة شيخ
الخطر وأمور المركز .

ولما كان الماء هو الفكرة الأساسية في القصة ، فقد ربط الأديب كل
شيء بالماء حتى حبّ البطل ليانو « كان صامتا كالماء الذي سيتفجر من
تحت الأرض » ، ويلتقى البطل مع محبوبته عند النبع لتخبره أنها ذاهبة
تاركة القرية .. « فتوقفت دقائق قلبي ، وشعرت كأن النبع المتدفق
توقف فجأة .. » .

وبعد وقوفه على الحقيقة المرة ، وهي إعلان زواجها من ابن عمها
يصف اللقاء الأخير : جلست « بانو » صامتة على حافة النبع ، وكنت
أستطيع رؤية حلم المحبة داخل عيونها وسط هذه الظلمة الحالكة .. لم
تكن المحبة المنظوية داخل الجسم الذي تنبعث منه رائحة العرق الكريهة ،
والخرق المملوئة بالقمل والبراغيث ، بل كانت المحبة التي ينبعث منها
عبير الجسم الذي طهرته المياه ، والملابس التي نظفتها المياه مع الملابس
الجديدة .. فوجئت نفسي بلا حول ولا قوة ... فانتحيت جانباً ... ،
وراحت « بانو » الجالسة على حافة النبع تملأ ببطء شديد جرتها ،
وراحت المياه تتساب ببطيئة كسولة إلى الجرة ، بينما أخذت بانو تنطق
ببعض الكلمات ، توجهها تارة إلى الجرة وتارة إلى .. فكلام الماء هو
أحلى كلام الإنسان ... » .

كان الأديب كرشن تشندر يضع ما يعترية من آلام قلبية على كل
ما يشاهده ، ويودعه قصصه ، لكن القصة بهذا الشكل لم تكن حكاية
مسلسلة ، بل كانت عرضاً لأموال الحياة صغيرها وكبيرها .. أشياء
متفرقة تمثل حلقات داخل سلسلة القصة ، كل حلقة منفصلة ، لها لونها
لخاص وشكلها الخاص الذي يميزها عن الحلقة التي تصلها ، ورغم هذا
فالحلقات تمثل سلسلة متكاملة ، تترك تأثيراً مجملًا على القارئ ،

وتعرض للجراح والدمامل الظاهرة على وجه الحياة الجميل ، وكان
كرشن تشنر أول من أوجد فى القصة الأربية المشاهد المتنوعة كحكاية ،
عن طريق الربط بينها ، وكان أسلوبه هذا فتحاً على فن القصة الأربية .
وهذا نلاحظه بوضوح فى قصته « شجرة الماء » و « شارع بطول
فرسفين » .

وقد لخص الناقد " وقار عظيم " ملامح الإبداع فى كتابات كرشن
تشنر هكذا :

« أهم ما يميز كتاباته أنه لا يتعب ولا يتعب ، فلهذه طريقة خاصة
ومختلفة للتعبير عن كل ما عنده ، تترك تأثيرها على القلب مباشرة ،
وحسن بيانه يبت الحياة فى كل ما يعرضه الأريب ، فهو نفسه كان
شديد الإحساس بالناس ، وكان قلبه مفعماً بالحزن على الإنسانية ،
وهذا الحزن الكائن فى قلبه حرك بشدة عواطفه الداخلية ؛ فراح يرى كل
صغيرة وكبيرة بطريقته الخاصة : حسناتها وقبحها ، خيرها وشرها ،
مُفرحها وحزنها ، كان يربط هذا كله بطريقة تجعل القارئ يتبعه ، لا يمكن
أن يشعر بسهولة فى أى دنيا هو ... » (٢١) .

وقد عبرت زوجته الأبية « سلمى صديقى » عن هذه الحالة قائلة :

« إن أحاديث كرشن تشنر فانت كل حدود الفرابية ، ولا يمكن
لأحد تصورهما ، لقد تعودت من خلال إقامتى معه على هذه الأحاديث ،
لكننى نتيجة لسماعى لأحاديث متفرقة غير مفهومة ، خشيت أن يأتى
على يوم أتمنى ألا أكون أديبة عادية مثل كرشن تشنر ... » (٢٢) .

على كل حال ، كانت لمشاعر الأريب المزهفة أثرها على أديبه ، كان
بداخله تعاطف وأحاسيس جعلته يبدع فى بيان الأمور المختلفة فى هذه

الدنيا ، كان يجيد الإحساس بالطبيعة والتعبير عنها ، ومزج كل ذلك
بالأحاسيس الرومانسية التي تلقى قبولاً لدى القراء ، فقد كان يعبر عنها
بأسلوب نثري يقترب من لغة الشعر ..

وهذا ما يلمسه القارئ بعد مطالعته للقصص الثلاث التي قدمنا
ترجمتها هنا .

ذكية بلكرامى وفن القصة القصيرة

تُعبّر الأدبية الهندية ذكية بلكرامى بصديق عن روح الأدب النسائى ، وهو أدب فى معظمه أدب هادف ، يعالج قضايا هامة داخل المجتمع النسائى بصفة خاصة ، ورغم أنها كانت تكتب القصة القصيرة هواية وتفضيلا ، كما يبدو ، وتشرها فى المجلات الأدبية ، إلا أنها كانت تلتزم بقواعد القصة وأصولها ، وهى تكتب نوعا من القصة القصيرة المطولة ، وربما فرضت مادة القصة عليها هذا الشكل الذى تميل إليه الأدبية ، وهى لا تستطرد أو تعتمد إلى التزيد بل تزأج بين التكثيف والبساطة ، والوضوح والرمز ، كما أن لفتها مركزة وعباراتها محكمة .

ويتضح هذا فى القصتين المترجمتين هنا ، وبخاصة قصة "اعتراف" ؛ فالحدث فيها مكثف ، والوصف موجز ، والأدبية تمر على الشخصية بسرعة ، وهى تترك الموضوعات التى تناسبها ، فقد اختارت بطله قصتها فتاة (أنجم) نشأت فى أسرة متوسطة ، تخرجت فى قسم الصحافة ، والدها مريض ، مضطرة إلى البحث عن عمل ، وجدت عملا فى صحيفة ، وتمضى خيوط القصة لتعبر حياة الطبقة المتوسطة وكفاح المرأة المثقفة فى الهند ، وكيفية الموازنة بين العقيدة والتقاليد والظروف الاجتماعية ، إلى أن تصل إلى مرحلة التقيد ، ثم ما يطلق عليه نقطة التتوير فى النهاية .

وبطله قصتها " الصدمة الثانية " تدعى " فائلا " ، فتاة أيضا ، والقصة فيها عبرة لكل فتاة وامرأة يغرها جمالها ودلالها ، فقد تعرضت بطله القصة لصدمتين ، كانت الأولى - بلا شك - أشد ؛ فقد فقدت فيها

أمها وأباها وإحدى رجليها ، ومع هذا فقد تحملتها ، إلا أن الصدمة الثانية كانت من الشدة بحيث لم تستطع أن تحملها ، فبدأت تكلم نفسها :

" .. أخذت هذه الأسئلة وعديد من الأسئلة الأخرى تدور وتدور في ذهني ، لكنني لم أجد جواباً لأي منها ، فقد اضطرب عقلي وأحاطتني الظلمة من كل جانب ، ورحلت أغرق في بحر من الظلمات سحق !! "

ويبدو أن أبييتنا نكية بلكرامى مثلها مثل معظم الأبيات العربية قصرت فنها القصصى على تصوير واقع المرأة الهندية في البيت أو العمل ، بالإضافة إلى تصوير المشاعر العاطفية ، ويمكن للمهتمين بالدراسات الأدبية المقارنة ، وضع قصص الأدبية نكية بلكرامى أمام ما كتبه بالعربية المرحومة البكتورة بنت الشاطئ في "صور من حياتهن" أو ما كتبه وداد السكاكيني في "مرايا الناس" ، أو غيرهما من الكاتبات العربيات ، وسوف يجد الدارسون مادة نسيمة للتعرف على طريقة معالجة القصة الهندية والقصة العربية لقضايا المرأة ، وتحررها في المجتمع ، أو تحررها العاطفى على الأقل ، وقد يرجع الفرق في تصوير التحرر عند المرأة في الهند والبلاد العربية إلى طبيعة المجتمع في كل من المنطقتين من ناحية ، وطبيعة الأدب الأردى نفسه ، وطريقة معالجته لقضايا المرأة المسلمة من ناحية أخرى ، وخاصة إذا كانت هناك معالجة للعلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة .

وهذا ما يبدو واضحاً في قصة "اعتراف" : حيث يعلن "معظم" لأنجم "عن حبه فقط ليلة الزفاف قائلاً :

" أنا لم أقل لك قبلاً .. ولولا زواجى بك الآن لما أخبرتك بهذه الحقيقة ...

ظل معظم يتكلم ... ويتكلم ، وغرق صوته في نوامات من العواطف ، فصار كالهمس ، وشعرت أنجم أنه تحبه منذ ميلادها .. " .

وهكذا ظل معظم يكتّم مشاعر حبه ، لا يستطيع أن يبوح بها إلا ليلة زفافه ، أما أنجم فقد كان بداخلها إحساس ما تجاه معظم ، لكنها ترى أنه ليس من حقها أن تبوح بهذا الإحساس لأحد ، وقد عبرت الكاتبة عن مشاعر بطلتها المتضاربة بأسلوب جميل يعبر عن نفسية الفتاة الهندية الملتزمة ، تجاه عقيدتها ، وتجاه أسرتها ، وتجاه عملها ، وتجاه مجتمعها .

الحواشي والتعليقات

- (١) انظر د. مسعود حسين خان : اردو كا الميه ص ٨٨ ط دهلى .
- (٢) د. جعفر رضا : بریم تشند فن اور تعمير فن ، ص ٤٤ ، ط ٢ ، إله آباد ١٩٨٠ م .
- (٣) مقال الدكتور عبد الحق عميد الادب الأردی ، فى مجلة اردو ، عدد إبريل سنة ١٩٣٦ م بعنوان : حقيقة بهارتیه ساتیه .
- (٤) وقار عظیم : نیا افسانہ الصفحات الاولى ، ط على كره ١٩٧٧ م .
- (٥) عزيز فاطمة : اردو افسانہ ص ٢٠-٢٣ ط لكهنؤ .
- (٦) نفسه ص ٢٥ .
- (٧) مجلة نیا ادب ، عدد يناير / فبراير ١٩٤١ م .
- (٨) نفسه .
- (٩) عزيز فاطمة : اردو افسانہ ص ٣٥ .
- (١٠) نشر فى مجلة نیا ادب عدد يناير فبراير ١٩٤١ م .
- (١١) أسس كلية فورت ولیم مع بداية ق ٢٠ الميلادی ، واهتم بالفصل بين الاردية والهندية ، ومن داخل هذه الكلية ظهرت مؤلفات وترجمات بالهندية والاردية ، انظر : د . سمير عبد الحميد إبراهيم : الادب الأردی الإسلامی ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الصفحات المتعلقة ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .
- (١٢) نقلا عن د. جعفر رضا : بریم تشند فن اور تعمير ص ٥٩ إله آباد ١٩٨٠ م .
- (١٣) المصدر السابق ص ٩٢-١٢٤ .
- (١٤) المصدر السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
- (١٥) المصدر السابق ص ٢٣٣ .
- (١٦) د. عبد السلام فهمی : القصة فى الادب الأردی ، ص ٦٢ ، سنة ١٩٩١ م .
- (١٧) وقار عظیم : نیا افسانہ ص ٨٢ على كره ١٩٧٧ م .
- (١٨) مقدمته لحكايات من کشمير ، نقلا عن د. عظیم الشأن صديقى فى كتابه : « افسانوى ادب » تحقيق وتجزیه ، ص ١٣٧ ط ١٩٨٣ م .
- (١٩) المصدر السابق ص ١٣٨ .
- (٢٠) المصدر السابق ص ١٥١ .
- (٢١) وقار عظیم : نیا افسانہ ص ٨٨ .
- (٢٢) اردو بك دائجست (مرتب ستار طاهر) لمبر ٦ عدد خاص بالاديب كرشن تشنر ، ط لاهور ، انظر ص ٢٢٨ .

الطفل البرئ

بريم تشند

الطفل البرئ

(١)

يقول الناس إن « جنجو »^(١) راهب ، وهو نفسه يظن أيضاً أنه راهب ، وبينما يقوم الخدم فى بيتى بتقديم فروض الطاعة والولاء ، لا يأبه « جنجو » حتى بتقديم التحية لى ، ولعله يتوقع أن أقوم أنا بالركوع عند قدميه وتقديم التحية له ، وهو حتى لا يمد يده لى بكوب الماء الصغير ، كما لم تكن لدى الجراءة على أن أطلب منه أن يحرك « المروحة » أمامى ، يخفف من حرارة الجو ، وحين يبللنى العرق ، ولا يكون هناك من أحد سواه ، يحمل « جنجو » المروحة من تلقاء نفسه ، وملامح وجهه تعلن لى أنه يتفضل علىّ ، ويحسن إلىّ ، ومن ناحيتى لا أدرى لماذا ألتقط المروحة من يده . . . رجل حاد المزاج ، لا يحتمل كلام أحمد ، قلّ أن يوجد أمثاله ، ويرى أن جلوسه مع من تجمعهم به روابط الصداقة من الخدم والعاملين بالبیت ، تحقير لمكانته ، وتوهين لعزته ، لم أره أبداً يتصرف مع أحد على سجيته ، كما لم أره يذهب إلى الموالد والأفراح والمهرجانات ، والأكثر عجباً أنه ليس لديه رغبة فى استعمال « القات » وماشابه ذلك من منشيات ومسكرات تروج بصفة خاصة بين أهل

(١) تتلق الجيم هنا مثل نطق الجيم القاهرية .

طبقته .. وهو لا يؤدي طقوس العبادة أبداً ، كما أنه بعيد عما ابتلى به الآخرون ، من الإكثار من الاستحمام فى النهر (المقدس) ، وهو رجل لا يعرف الألف من « كور الذرة » ، ومع هذا فهو « راهب » ، ويريد من الدنيا كلها أن تحترمه وتقدره ، بل وتقدم له كل الخدمات ، ولم لا ؟ فهو يظن أن الناس لا يزالون حتى اليوم يستولون على ممتلكاته التى تركها الأجداد ، ويديرونها بطريقة يبدو منها أنهم هم الذين امتلكوها بجهدهم وعرقهم ، فلماذا يتنازل هو عن هذه المكانة التى أوجدها له أجداده ؟! فهذا هو كل ميراثه منهم ..

كان من طبعى ألا أكثر الكلام مع خدمنى ، لم أكن أرغب أن يأتينى أحدهم مالم أستدعيه بنفسى ، لم أكن أرى من اللائق أن أنادى على أحدهم لمجرد شيء بسيط ، وهكذا كنت أصيب بنفسى الماء فى « القلة » ، وأضئ بنفسى المصباح ، وأضع الحذاء فى قدمى ، وكنت حتى أخرج ما أحتاج من كتب من الخزانة ، وأشعر أن فى هذا راحة لى أكثر مما لونا ديت على هذا أو ذاك من الخدم ، فقد كان فى تصرفى هذا شعور بالحرية ، والاعتماد على النفس ، وهكذا قل أن يأتى إلى خادم .. ولهذا حين جاء « جنجو » ووجدته واقفاً أمامى فى الصباح الباكر ، ساورنى شعور بالامتناع ، فحين يأتى هؤلاء يكون مجيئهم ، إما لطلب جزء من راتبهم مقدماً ، وإما للشكوى من خادم آخر ، وكلا الأمرين كريهان جداً على نفسى ، فانا أعطى كل خادم راتبه كاملاً دون نقص مع بداية كل شهر ، لهذا أغضب إذا ما طلب أحدهم شيئاً أثناء الشهر ، فمن الذى يمضى يورع هنا روبيتين وهنا أربع روبيات .. ثم إذا كان أحدهم قد تسلم راتبه كاملاً عن خدمته

فبأى حق ينفقه فى خمس عشرة يوما ، ثم يتحول إلى الاقتراض
أو طلب راتبه مقدماً .. كما أننى أمقت تماماً تقديم شكوى ضد أحد ،
وأعتبر الشكوى دليلاً على الضعف ، أو محاولةً للتملق ،
أو محاولة خبيثة لطلب المساعدة .

قطبت جينى وقلت : ما الأمر ؟ . أنا لم أستدعك هنا .

لاحظت على وجه « جنجو » الحاد الصارم علامات تدل على
اللجاجة .. والالتجاء .. وإخفاء بعض الأمور جعلنى أتعجب ،
شعرت بأنه يرغب فى الرد على سؤالى ، لكن الألفاظ لم تجد طريقها
إليه ؛ فقلت له بلهجة فيها قليل من الشدة : « إيه .. ما الأمر .. ؟
لماذا لا تتكلم ؟ أنت تعرف أن هذا وقت خروجى للترهة ، وقد
تأخرت » .

فقال « جنجو » بلهجة يائسة : « أنت ذاهب للترهة ، إذن سوف
أعود ثانية فيما بعد » .

فزادنى ردهً قلقاً على قلق ، فتسامحه هذا جعله يسمعى قصته
فى دقيقة ، فهو يعرف أن وقتى ضيق ، وفى المرة الثانية سيظل هذا
التعيس ييكى لساعات .. لعله يظن بأن عملى هو مجرد الكتابة
والقراءة ، وحين أكون غارقاً فى التفكير والتأمل يظن أننى فى وقت
الراحة ، وفى ذلك الوقت بالذات يأتى إلى فيركب رأسى ..
قلت له مؤنباً : « أجئت تطلب مقدماً من راتبك .. أنا لا
أعطى أى روية مقدماً .. » .

- سيدى .. لم يحدث أن طلبت منك أى شيء من راتبى قبل
بداية الشهر ..

- ماذا إذن .. هل تريد أن تشكو أحداً ؟ أنا أكره مثل هذا الأمر .
- لا يا سيدى ، أنا لم يحدث أن شكوت من أحد قط ..
- فلماذا إذن ركبت رأسى هكذا ؟
تماسك « جنجو » وسيطر على نفسه ، وبدا من ملامح وجهه أنه
يستجمع قواه لقفزة عالية ..

ثم قال :

- أريد أن تعفينى من الخدمة ، أنا لا أستطيع أن أعمل عندك
بعد اليوم .. كان هذا أول رجاء منه تسمعه أذنائى ، لقد أصابنى فى
كبريائى ، أنا الذى اعتبر نفسى نصير الإنسانية وحاميها ، لم يحدث
أن عنفت أحداً من خدمنى ، أو حتى كلمتهم بصوت عالٍ ، وأحاول
دائماً - بقدر الإمكان - أن أضع كبريائى فى جرابها .. فلماذا
لاتصينى الحيرة من مثل هذا الطلب .. فسأله بلهجة متماسكة :
- لماذا .. مم تشكو ؟

- ياسيدى لا يوجد من هو بمثل طبيبتك فى هذه الدنيا ، لكن
ماحدث هو أننى لأستطيع أن أبقى هنا ، ولا يوجد أى سبب وراء
هذا الأمر ، لو حدث شئ ، فسوف تسوء سمعتك ، أنا لا أريد
هذا .. لا أريد أن يؤثر وجودى هنا على سمعتك ومكانتك وعلى
عزتك وشرفك .

بدأ القلق يساورنى ، وزادت لهفتى لمعرفة حقيقة مايرمى إليه ،
فتلاشت رغبتى فى الخروج للسترة ، وألقيت بنفسى على الكرسي
الموجود فى الشرفة وقلت له :

- إنك تقدم لى الغازا وأحاجى ، لماذا لا تتكلم بوضوح ..
ما الأمر ؟

فتحول « جنجو » إلى صورة مجسمة من الاعتذار وهو يقول :
- الأمر ياسيدى .. أن المرأة التى من (معبد بدهوا) تلك
المسماة (كهومتى ديو) .

ثم صمت ؛ فقلت له وقد نفذ صبرى :
- نعم طُردت من المعبد ، ثم ماذا ؟ ما علاقة هذا
بعملك هنا ؟ .

- أنا أرغب فى الزواج منها ياسيدى ..
بدأت أحملق فى وجهه ، هذا الراهب الغبى الذى يعيش بأفكاره
فى أغوار الماضى السحيق ، والذى لم تلفحه نسمة من نسيمات
الحضارة الحديثة ، سيتزوج من هذه المرأة التى لا يسمح لها أى إنسان
كائن من كان بأن تضع قدميها فى بيته ، لقد أوجدت (كهومتى) منذ
أن سكنت فى حينًا حركة ما ، أقلقته هدوء هذا الحى وسكونه ، قبل
عدة سنوات كانت قد أدخلت « معبد بدهوا » وتولى القائمون على
المعبد تزويجها ثلاث مرات ، لكنها فى كل مرة كانت تهرب بعد
أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، حتى إن سكرتير المعبد قام هذه المرة
بطردها من المعبد ، فاستأجرت كوخًا فى هذا الحى ، وسكنت فيه ،
وصارت محط اهتمام جميع الأوغاد فى الحى ، شعرت بالغضب من
سذاجة « جنجو » وبلاهته ، كما شعرت أيضًا بالعطف عليه ، فهذا
الغبى لم يجد فى الدنيا غير هذه المرأة ليتزوجها ، لقد هربت من

أزواجها ثلاث مرات ، فكم يوماً ستبقى معه ، لو كان إنساناً يحسن السيطرة على الأمور ، لاختلف الأمر ، فلعلها تبقى معه نصف عام : هذا إنسان أعمى البصر ، وربما بقيت معه أسبوعاً على الأكثر ، سألتها بلهجة ممزوجة بالتأنيب :

- هل تدري أحوال هذه المرأة ؟

فرد « جنجو » بثقة كاملة مؤكداً مايقول :

- كله كذب - ياسيدى - لقد أساء الناس إلى سُمعتها دون

وجه حق .

- ما معنى هذا ؟ ألم تهرب ثلاث مرات من أزواجها ؟

- هم طردوها ياسيدى فماذا تفعل ؟

- يا لحماقتك !! آياتى هؤلاء الناس من مناطق بعيدة جداً ،

فيتزوجونها ، وينفقون على الزواج آلاف الروبيات ، حتى يطردونها

بعد أيام معدودة ؟

فقال « جنجو » بحماس شاعرى :

- حيث لا توجد محبة - ياسيدى - لايمكن أن تبقى المرأة ...

أى امرأة كانت ، فالمرأة لا تريد مجرد الطعام والملابس ، هى تريد

أيضاً قليلاً من الحب ، وقد يفهم هؤلاء الناس أنهم بزواجهم من امرأة

من داخل المعبد يقدمون لها إحساناً كبيراً . بالنسبة لى .. أنا أفكر أن

يجتمع القلب والروح معاً ، الآخرون يفكرون فى أنفسهم قبل أن

يفكروا فى المرأة .. هذا بالإضافة إلى أن بها مرض - راكبها عفريت

ياسيدى - فهى أحياناً تصاب بالصمت مدة طويلة ، وتفقد القدرة على النطق ثم تغيب عن الوعى .

- « وأنت تتزوج من مثل هذه المرأة ؟ » ثم قلت له بلهجة ممزوجة بالشك : « افهم واعقل ستصبح الحياة مريرة » .

فقال « جنجو » وكأنه مقبل على الاستشهاد فى سبيل مبدأ ما :
- هذا ما أفهمه ، سوف تكون لى حياتى ويعدها يكون ، كل شيء بيد الإله .

فقلت له مؤكداً :

- هل قررت الأمر ؟

- نعم ياسيدى .

- إذن أنا أقبل استقالتك !

أنا لست عبدا لعادات لا معنى لها ، أو تقاليد مهمة ، لكن مثل هذا الذى يريد أن يتزوج من بغي . . . ولم يأل جهدا فى التفكير فيما سيحدث حين يكون معها هنا فى يوم ما ستحدث فضيحة بلاشك ، وستولد متاعب كثيرة ، وستأتى الشرطة للتحقيق ، وربما عقدت محاكمات ، ولا عجب فقد تحدث سرقات ، وعروسه مثلها مثل أى إنسان ترى اللقمة فتزحف إليها ، والخبز جاف لا طعم له ، لكن « جنجو » لا يهتم بأى شيء ، كان من المستحيل عليه تشغيل عقله السليم ، ولهذا اعتبرت فصله من الخدمة راحة لى وغنيمة كبرى .

(٢)

مرت شهور خمسة ، كان « جنجو » قد تزوج من « كهومتى » وأقام فى أحد البيوت الطينية فى هذا الحى ، يقيم أوده على بيع الطرشى « أى المخلل » فوق منضدة على قارعة الطريق ، وكنت كلما قابلته أحياناً فى السوق أسأله عن أحواله ، فقد شدنى اهتمام خاص بمعرفة أحواله ؛ إذ كان هذا اختيار لإحدى القضايا الاجتماعية : لاليس الاجتماعية فقط بل النفسية أيضا ، كنت أرغب فى أن أرى كيف ستكون نهايته ، كنت أرى « جنجو » دائما سعيدا مسرورا ، ويبدو هذا من الراحة البادية على وجهة ، فهو فى فراغ من كل شىء ، لا يفكر فى أى شىء ، كنت أراه هنا فى السوق على عكس ما كان عليه فى بيتى ، كان يكسب روية وعشرين أنه يوميا ، يبقى له منها بعد استكمال نفقاته عشر آئات أو ما يقرب من ذلك ، كان هذا هو راتبه ، لكن كان فيه بركة خاصة من نوعها ؛ لأن مثل هذه الطبقة من الناس ممن لا يملكون شيئا ويبدون بلاحمية ولاغيرة ، هؤلاء الناس ترى على وجوههم ملامح السرور والراحة والشعور بالاستقلال نتيجة هدوء القلب واطمئنان البال .

ذات يوم سمعت أن « كهومتى » هربت من بيت « جنجو » . لا أدرى !. لماذا سرّنى هذا الخبر بشكل خاص ، كنت أغبط « جنجو » بل أحسده بشكل أو بآخر على ما هو فيه من حياة الهدوء والاطمئنان ، كنت أنتظر أن تقع له حادثة مخجلة أو يطرأ عليه تغيير

فيصاب بالحزن ، فعلى كل حال عليه أن يدفع « غرامة » تساهله
الفكرى هذا . . . لنرى الآن بأى وجه يقابلنى ؟! سوف تنفتح عيناه
الآن ، وسوف يعلم أن من حاولوا منعه من إتمام هذا الزواج كانت
نواياهم حسنة .

فى تلك الأيام بدا وكأن " سيادته " وجد شيئاً نادراً ، وكأن باب
النجاة انفتح له ، كم حاول الناس إفهامه ! كم قالوا له إن هذه المرأة
لا يمكن الاعتماد عليها ؛ فهى ليست موضع ثقة ! كم من الرجال
خدعوا بها ! وسوف تخدعك أنت أيضاً ! لكن كل هذا لم يترك أثراً
يذكر فيه ، فعليه الآن أن يتحمل نتيجة عناده الأبله ، سأسأله الآن عن
أحواله ، وعن صحته ، سأقول له : ماذا ياهراجا ؟! ها قد ضاعت
المهرة ، وها أنت مثلك مثل ملك الشطرنج الذى يلعب وحده بدون
مهتره ، فصار محكوماً عليه بالموت ، فهل أنت مسرور باللعبة ؟ كنت
تقول بأنها هكذا وهكذا ، وأن الناس يهتمونها زوراً وبهتاناً ، أخبرنى
الآن من كان على صواب ؟ ومن كان على خطأ ؟ الآن فهمت لماذا
يتجنب أصحاب المبادئ الشريفة بائعات الحسن !!؟

فى ذلك اليوم قابلت « جنجو » فى السوق مصادفة ، كان ذاهلاً
حائراً ، كان تائها تماماً كإنسان ضائع فى متاهة ، اغرورقت عيناه
بالدموع حين رآنى ، لم يكن ذلك ندماً بل كان بسبب الألم الذى
أصابه ، قدم إلى وقال :

- سيدى ! لقد خدعتنى كهومتى . .

فقلت له وأنا أشعر بالسرور من داخلى رغم إظهارى علامات
التعاطف معه :

- لقد قلت لك من البداية ، لكنك لم تسمع كلامى ، الآن ماعليك إلا الصبر ، ليس أمامك من وسيلة غيره ، هل أنهت على أموالك كلها أم تركت لك شيئاً ؟!

فوضع « جنجو » يده على صدره وكان سؤالى هذا فت فى كبده :
- ياسيدى لاتقل هذا ، إنها لم تأخذ بل لم تلمس ولا نصف بيسة ، لقد تركت مالها أيضاً ، لا أدري أى عيب وجدته فى ؟! لم أكن مناسباً أو لائقاً لها ، وإلا ماذا عساي أقول ؟! هى مثقفة ، وأنا جاهل أحمق ، مثلى مثل الجاموسة ، بقيت معى أياماً أحسبها كافية بل أكثر من كافية ، لوبقيت معها عدة أيام آخر ، فربما تحولت إلى إنسان ماذا أقول لك عنها ؟! كانت بالنسبة لى رحمة ملائكية ، ماذا ياترى حدث منى ؟ أى خطأ صدر عنى . . ؟ كانت دائماً تشعر بمرض شبيه بالجبيض المتواتر يجعلها تُذهل . . سيدى كان كل ماأكسبه عشرة آنأت أو أكثر ، لكن كانت فى يدها بركة ، فلم يحدث أن شكت أو تضجرت ، ولم ألحظ على وجهها ولو مرة واحدة علامات الضيق . أصابتنى كلماته تلك باليأس فقد حسبته سيتكلم عن قصة خيانتها له ، فأقوم بدورى بتقديم عبارات العطف والعزاء له ، لكن عيون هذا الأحمق لم تفتح حتى الآن ، فلا يزال يردد اسمها ويردد قوله عنها : لابد أن هناك خللاً فى عقلها .

فبدأت بدورى أتهكم وأسخر منه بشماتة :

- إنها لم تأخذ شيئاً من بيتك ؟

- لا شيء أبداً ياسيدى ، لم تأخذ بيعة واحدة .
- وكانت تحبك أيضاً ؟!
- ماذا أقول الآن ياسيدى ، لقد ظلت تذكر حبها لى حتى آخر لحظة .
- ومع هذا تركتك وهربت ؟!
- هذا هو العجب نفسه ياسيدى .
- هل سمعت مرة عما يطلقون عليه « شباك الأنثى » أو « خيانة الأنثى » ؟!
- لا ياسيدى - لا تقل هكذا ، ضع السكين على رقبتى ؛ فأنا يمكن أن أكون ضحية لها !!
- إذن اذهب .. ابحث عنها .
- نعم ، طالما بحثت عنها ولم أجدها ، لن يهدأ لى بال ، ولن يقر لى قرار .. إننى أعرف الآن أين هى ، وسوف أذهب لإحضارها .. إن قلبى يخبرنى بأنها ستأتى - ضرورى .. سوف ترى ياسيدى ، فهى لم تغضب منى ، لكن قلبى لا يطاوعنى ، سأذهب للبحث عنها شهراً أو أكثر وسط الغابات ، فوق الجبال ، فإن كانت على قيد الحياة سأجدها .. سوف ترى ...
- قال هذا ، وانطلق كالمجنون .

(٣)

بعدها اضطررت للذهاب إلى « نيني تال » لقضاء أمرها ،
ورجعت بعد فسحة استمرت شهراً ، ولم أكد أغير ملابسي حتى
رأيت « جنجو » جاء حاملاً بين ذراعيه طفلاً حديث الولادة ، كان
مسروراً بدرجة تفوق سرور قيس لو حصل على ليلاه ، وكان من
الملاحظ أن السرور ملأ قلبه حتى عمّ كل ذرات جسمه ، فانبعثت
ألحان الشكر والسرور على ملامحه ، وقسمات وجهه ، وفي عينيه ،
كان كشحاذ معدم ظهرت علامات الشبع على وجهه بعد أن ملأ بطنه
بوجبة دسمة ، فسألته :

- ماذا يا مهراجا ؟ هل وجدت أثر كهومتي ؟ ها قد خرجت من
صومعتك ؟!

فأجاب « جنجو » بسرور مفرط وفرح شديد :

- نعم ياسيدي وجدتها بفضل دعائك .. خرجت باحثاً عنها ،
وجدتها في المستشفى النسائي في لكهنو ، أخبرتني إحدى صديقاتها
بأنها قلقة مضطربة ، وعند سماعي هذا ذهبت إلى لكهنو ، وجئت
بها وجئت أيضاً بهذا الطفل ..

حمل الطفل القابع بين أحضانه ، ودفعه إلى كلاعب يرينى
ميدالية فوزه وتفوقه .

وبلغت حيرتى متهاها ، فلم يمض على زواجه غير ستة أشهر ،
ومع هذا يرينى هذا الطفل دون أى حياء ودون خجل ؛ فسألته بلهجة
كلها سخرية .

- أوجدت هذا الطفل أيضا ؟! لعل هذا هو سبب هروبها إلى هناك ، أليس هذا طفلك ؟ .

- سيدى : طفلى .. طفلك أنت ... طفل الإله ..
فقاطعته :

- ولد فى لكهنؤ .. هيه ؟!

نعم ياسيدى ، مضى على مولده شهر .

- كم يوما مضت على زواجك ؟ ..

- هذا هو الشهر السابع ياسيدى .

- ولد فى الشهر السادس لزواجكما ؟!

- بالطبع ياسيدى ..

- ومع هذا فهو ابنك ؟!

- نعم !

- أى كلام أخرق هذا الذى تقول ؟!

لأرى هل كان يفهم قصدى ، فقال بأسلوب ساذج :

- الطفل قد يموت فى البيت ياسيدى ، ثم تنبعث فيه الحياة ثانية

خلال ثلاث أو أربع ليال^(١) ولا أحد يسأل عن السبب !!

فقلت متهمكاً ساخرآ :

- لكنى لم أسمع حتى اليوم عن طفل ابن ستة أشهر !!

كان لهذه العبارة وما حملته من كناية أثرها ، فتبسم ابتسامة

ممزوجة بالاعتذار قائلاً :

(١) يشير إلى عقيدة التامسغ عند الهندوس .

- أنا ياسيدى لم أفكر حتى فى هذا الأمر ، لقد هربت
« كهومتى » حتى تحفظ ماء وجهها ، لقد قلت لها : « كهومتى » إذا
لم يكن فى قلبك شعور نحوى ، فاتركينى ، سوف أذهب فى الحال ،
ولن ترين وجهى مرة ثانية ، وإذا ما احتجت شيئاً يمكنك أن تكتبى
لى ، ولاشك أننى سأساعدك ، فأنا لست غاضباً منك ، فأنت فى
قلبى الآن ، كما كنت قبلاً ، ولا زلت أحبك ، لا بل أحبك الآن
أكثر ، لكن إذا كان قلبك لا يزال إلى فتعالى معى . . أنا لم أتزوجك
لأنك ملاك ، تزوجتك لأننى أحبيتك ، وكنت أعتقد أنك تبادلينى
الحب أيضاً ، هذا الطفل طفلى ، طفلى أنا ، لقد أخذت حقلاً فيه
غرس ، فهل أترك ثمار هذا الغرس ، لا لشيء إلا لأن الآخرين قاموا
بزراعته . . .

أكمل « جنجو » عباراته وانفجر ضاحكاً .

ونسيت أن أغير ملابسى ، لا يمكن أن أقول لماذا امتلأت عيناي
بالدموع ، لا أدرى أى قوة تلك التى جعلتنى - رغم الكراهية
الشديدة الكامنة فى قلبى - أمد يدي وأحمل هذا الطفل البرئ ،
أضمه إلى صدرى ، أقبله بحب ، لم أشعر به من قبل حتى تجاه
أطفالى .

قال : « جنجو » سيدى أنت رجل شريف وكريم جداً ،
لا أدرى كيف ستمدحك « كهومتى » وتشكرك على مشاعرك هذه ،
طلبت منها أن تأتى إليك لتشرف بزيارتك ، لكنها لم تأت لشعورها
بالخجل . .

انقشعت اليوم ستارة إحساسى بأنى رجل شريف ، ستارة
إحساسى بعزتى ، فقلت بلهجة مغرقة فى الاحترام :
- لا يا عزيزى لا . . لماذا تأتى هى إلى أمثالى من أصحاب
القلوب السوداء ؟! هيا لاذهب أنا لأشرف بزيارتها ، إنك تظننى رجلاً
شريفاً ، أنا فى الظاهر إنسان شريف ، لكى قلبى من الداخل ملطخ
بالسواد ، فأساس الشرف والمروءة كامن بداخلك أنت ، وهذا الطفل
البرئ ورده بدا منها نور مروعك وشرفك ، وانطلقت مع « جنجو »
وأنا أحتضن الطفل البرئ إلى صدرى .

الأم والنصيب

پریم تشند

الأم والنصيب

(١)

مات « پندت »^(١) أجودهياناته ، فقال الجميع : هكذا اختطف الموت رجلاً عاش دوماً في طاعة الإله بعد أن خلف وراءه أربعة من الشباب تخليداً لذكراه كما خلف وراءه أيضاً فتاة ، وممتلكات لاحتصرها : بيت شيد بطريقة طيبة ، وحديقة ، ومجوهرات بعدد آلاف مع عشرين ألف روية نقداً ، لا بد أن أرملته « بهول متى » أصيبت بصدمة ، وظلت لعدة أيام في حالة يرثى لها ، إلا أن عزاءها وسلواها كانا في أولادها الأربعة الذين يتحركون أمامها طوال اليوم .

كان الأبناء الأربعة جميعهم في سعادة وهناء ، وكانت زوجاتهم مطيعات مخلصات ، تقوم كل واحدة منهن بالتوالى ، إذا مارقدت حماتها على السرير ، بتدليك رجليها . . وتنهض « بهول متى » وتستحم ، فتقوم زوجات أبنائها بغسل السارى والملابس الخاصة بحماتهن . . كان البيت كله يتحرك بإشارة منها . . كان ابنها الأكبر « كامتاناته » موظفاً في مكتب ، ينال راتباً طيباً ، بينما الابن الثانى « أماناته » نجح من توه في الحصول على شهادة الطب ، وراح يفكر فى فتح عيادة لعلاج المرضى ، أما الثالث ، « دياناته » فرسب فى

(١) پندت (بالباء المثناة) تعنى : العالم الهندوسى ، وهو لقب يطلق على الهنادكة الكشميريين . .

امتحان « اليسانس » وتفرغ لكتابة بعض المقالات فى الصحف ،
ليكسب ماينفق به على نفسه ، كان « سيتاناته » الابن الأصغر هو
أذكى الابناء الأربعة ، نجح هذا العام فى امتحان « اليسانس »
بامتياز ، ويعد الآن للالتحاق بالدراسة للحصول على الماجستير . . لم
يكن من بينهم جميعا من يوصف بالإهمال واللامبالاة ، لم يكن من
بينهم جميعا من ينفق أمواله هباءً . أو من يضيع وقته دون نفع
أو فائدة ، أو يرتكب مامن شأنه أن يقلق الوالدين من أمور معروفة
، أو يسيء إلى سمعه الأسرة بين الناس . كانت الأرملة العجوز هى
ربة البيت بمعنى الكلمة ؛ أى الحاكمة المسيطرة فى كل أموره ، ومع
أن مفاتيح كل شىء كانت فى يد زوجة الابن الأكبر التى كانت
تتضايق كثيرا من سيطرة بهول متى ، وهى سيطرة زاد من حدتها شعور
الأرملة بهول متى بالشيخوخة ، لكن أحداً من أبنائها لم يكن حتى
ليطلب طعام الإفطار دون إذن أمه العجوز .

كان الوقت مساءً حين مات «بندت أجودهيناته» واليوم مر اثنا
عشر يوما على موته ، وغداً هو اليوم الثالث عشر ، وستقام مراسم
الضيافة الخاصة بتقبل العزاء ، وسيدعى أفراد العائلة والأقارب ،
ويحتاج الأمر إلى استعدادات كثيرة . . كانت بهول متى تجلس فى
حجرتها تنتظر معاينة كل شىء : ترى هل أحضر الحمّالون أجولة
الدقيق ؟ هل وصلت علب السمن ؟ وهل وصلت أقفاص
الخضروات وأجولة السكر ؟ وجرار اللبن الزبادى ؟ وتؤكد هل
أحضروا الصدقات والهبات الخاصة بالراهب البرهمنى الذى سيُشرف
على إقامة طقوس العزاء ! ثم تعاین الأوعية ، والأرائك والأسرة

والبياضات والمفارش والملابس وغيرها . . لكن شيئاً من كل هذا لم يُعرض على بهول متى . . كان من المفروض - حسب القاعدة - أن يُؤتى بكل هذه الأشياء إليها فترى كل شيء ، فتوافق عليه . . وتحدد مقدار كل شيء . . تزيد فيه أو تنقص منه ، ويعدها توضع هذه الأشياء في « دار الضيافة » حيث يقدم الطعام عادة لمن يطلبه

لكن جميع من بالبيت رأوا أنه لا ضرورة لعرض كل شيء عليها . . وراحوا يفكرون : لماذا لا نأتى بثلاثة أجولة من الدقيق الفاخر ، لقد طلبت منا أن نأتى بخمسة أجولة ، وفيما يتعلق بالسمن أحضروا خمس علب ، وكانت قد طلبت عشر علب من السمن ، ولعلمهم أنقصوا أيضاً كمية الخضار والزبادى وغير ذلك . .

من ياترى تجرأ وتدخل فى أمرها هذا ، بينما لم يكن لأحد الحق فى أن يتفوه بكلمة ، إذا ما قررت هى شيئاً ما ، فكيف له أن ينقص أو يزيد فيما قررت هى ، لقد ظلت « بهول متى » هى الحاكمة بأمرها فى كل صغيرة وكبيرة من شئون هذا البيت ، لأربعين سنة مضت . . إذا قالت مائة روبية . . تم صرف مائة ، إذا قالت روبية واحدة ، صُرفت روبية واحدة ، لم يناقشها أحد أو يتقدها فيما ترى ، لدرجة أن « بندت أجودهياناته » - زوجها - كان قد ترك لها جميع الأمور ، تُصرفها حسب هواها ورغبتها . .

لكن كل شيء يمضى اليوم ، وأمام عينيها على غير هواها . . فكيف يمكن أن تتحمل هذا الأمر ؟!

بقيت لفترة بسيطة متحاملة متماسكة ، لكن تماسكها هذا لم

يستمر حتى النهاية ؛ فغريزة الإشراف على الأمور صارت جزءاً لا يتجزأ من طبيعتها .. وهكذا جاءت من غرفتها وكلها غضب ، ووجهت حديثها إلى « كامتاناته » :

- لقد أحضرتن ثلاثة أجولة من الدقيق ، بينما طلبت خمسة أجولة .. والسمن ! لماذا خمس علب ؟ لعلك تتذكر أنني قلت عشر علب من السمن ! أنا لا أقول بأن الاقتصاد أمر سيئ ، لكن الرجل الذى حفر هذا البئر .. أليس من حقه أن ترتوى روحه بالماء ؟! أى خجلى هذا ؟!

لم يعتذر " كامتاناته " عن ذنبه هذا ، ولم يظهر إحساسه بالندم ، ولم يسرع فوراً بإصلاح الخطأ ، وقف أمامها لحظات بطريقة فيها نوع من إعلان العصيان ثم قال :

- لقد رأينا أنه من الصالح إحضار ثلاثة أجولة ، كما أن خمس علب من السمن تكفى لثلاثة أجولة دقيق ، وعلى هذا الحساب تم إنقاص الكميات الأخرى ..

فاحتدت بهول متى وقالت :

- من ذا الذى رأى إنقاص كمية الدقيق ؟

- كان هذا رأينا جميعاً .

- هذا يعنى أنه لا اعتبار لرأى أنا ؟!

- هناك اعتبار لرأىك .. لماذا لا ؟ لكننا نفكر فى مصلحتنا فى خسارتنا ومنفعتنا .

فدعرت " بهول متى " ، وراحت تفكر وهى مشدوهة بعد أن انجبت الكلمات داخل فمها .. لم تستطع أن تفهم معنى الجملة السابقة .. معنى : خسارتنا ، منفعتنا .. ما هذا البلاء ؟ متى كان له وجود .. ؟ نفعها ، خسارتها .. كان هذا من مسئوليتها هى ، لماذا يفكر الآخرون فى أمرها ؟ حتى لو كان هؤلاء هم أبناؤها الذين ولدوا من بطنها .. أى حق يسمح لهم بالتدخل فى مثل هذا القرار ؟ هذا " الغلام " يرد على هكذا كما لو كان البيت يته ، لقد أحضر كل شيء بنفسه دون استشارتى ، وكأننى هنا أجنبية غريبة عن هذا البيت ، ياله من عناد وتصلب ... قالت بلهجة أمرة :

- أنت لست المسئول عن خسارتى ومنفعتى .. أنا التى أملك السلطة الكاملة لأفعل ما أراه مناسباً .. اذهب الآن وأحضر جوالين آخرين من الدقيق ، وخمس علب من السمن ، وحذار مستقبلاً أن يكسر أحدٌ كلامى ..

ولم تر ضرورة للزيادة فى التنبيه أو لتأكيد ما قالت .. ولم تر ضرورة للوقوف حيث كانت ، فاتجهت إلى حجرتها ، بينما ظل " كامتاناته " واقفاً حيث كان ، ويدت على وجهه ملامح تدل على أنه سوف يتلمس الأعذار لعدم إطاعة أمرها .. وجلست " بهول متى " فى حجرتها مطمئنة ، فلم تكن لأحد جرأة على عصيان أوامرها ، ولم يرد على بالها أبداً أن يجرؤ أحد على عصيانها ، إلا أن الحقيقة وضحت أمام عينيها بالتدريج ، وعرفت أنه لم يعد لها فى هذا البيت تلك المكانة التى كانت تتمتع بها منذ عشرة أو ثلاثة عشر يوماً مضت ..

بدأ الأقارب يأتون لهم بالسمن والسكر وغيرها من المؤن ،
فراحت زوجة الابن الأكبر تستلم هذه الأشياء وتضعها بطريقة
خاصة ، وتمرق زوجات الأبناء الثلاثة الأخريات إلى " المضيقة "
لمعاينة الأمور .. ولا يهتم أحد حتى بالسؤال عن " بهول متى "
وحتى إذا أراد أحد أفراد العائلة الاستفسار عن شيء ، سأل
" كامتاناته " أو زوجته ، وصار " كامتاناته " كأنه المدير المسؤول عن
البيت .. يجلس طوال يومه يضع " القات " المخدر ، أما زوجته ،
وهي أكبر زوجات الأبناء في البيت فهي امرأة قادرة مهمة ، لا تتكلم
إلا بما يخجل ويصيب الأسرة جميعا بالعار ، فهناك في كل وقت
شيء ناقص .. فتندفع هنا أو هناك تدور تبحث عنه .. فمثل هذه
الأعمال التي تود القيام بها تحتاج إلى تجربة وخبرة ، هناك دائما شيء
موجود زائد عن الحاجة ، وهناك دائما شيء ناقص ، فتلقى باللوم
على الآخرين ؟ ماذا أصابهم جميعا ؟ لا أحد يدري !! .

راحت " بهول متى " تحدث نفسها :

- لماذا تفتح زوجة ابنها الأكبر الخزانة ؟! من ذا الذي يجروء على
فتح الخزانة دون إذن ؟! المفتاح بلا شك معها ، لكن طالما لا نحتاج
نقودا لا يمكن فتح هذا الصندوق .. لكن اليوم تفتحه ، وكأنها الكل
في الكل ، وأنا لست بشيء هنا ..

وهكذا انطلقت ناحية زوجة الابن الأكبر وخاطبتها بلهجة حادة :

- لماذا تفتحين الخزانة ؟ أنا لم أطلب منك فتحها !!

فردت زوجة الابن الأكبر بلهجة جسورة :

- جاءت البضائع ، ألا أدفع ثمنها ؟
- أى شىء جاء ؟ وبأى ثمن ؟ وكم مقدار تلك البضائع ؟ أنا لا أدري وطالما لم يُقدِّمُوا الحساب فكيف يدفع الثمن ؟
- تم الحساب وانتهى كل شىء .
- من قام بعمل الحساب ؟
- لا أدري اذهبى واسألى أولادك .

وعادت بهول متى ، وجلست فى غرفتها ، فلم يكن الوقت مناسباً للشجار ؛ إذ البيت يعج بالضيوف ، ولو قامت بتأنيب أبنائها فى ذلك الوقت ، فسيقول الناس إن عفريتاً سكن بيت " پندت " بعد موته ، وأنه شرب دمائه وبقي فى البيت ، ورأت أنه حين يستأذن الضيوف ويرحلون ، فسوف تقوم بتعليمهم الأدب . . وترى بماذا وكيف سيرد عليها الأولاد . .

فى تلك الفترة ، راحت تشاهد بعيون ناقدة فاحصة ما يقوم به العمال والخدم من أعمال غير منظمة ، وأمور تافهة لا معنى لها ، وأخطاء فادحة فى أداء الواجبات . .

بدأت الدعوة فى الساعة الثانية عشرة ، وقد دُعِيَ جميع أفراد العائلة لتناول الطعام معاً فى وقت واحد ، وكانت بهول متى واقفة تتفرج ، كان من الممكن أن يجلس مثنان وخمسون ضيفاً بصعوبة شديدة فى صحن البيت . . كيف يمكن لجميع أفراد العائلة بأكملها والأقارب الجلوس فى صحن البيت إذن . . ماذا لو جلس الناس فى

صفيين ؟ ولو حدث هذا لانتهى الأمر فى الساعة الرابعة بدلا من الثانية . . لكن الجميع هنا يفكرون فى كيفية ترتيب أمر نوم هؤلاء جميعا .

بدأت زوجة الابن الأكبر فى طحن الملح بسرعة ، بينما راحت بهول متى تمط شفيتها غضبا ، ولم تتمكن فى ذلك الوقت من فتح فمها بكلمة . . انتهى دور طحن الملح ووضعه فى الأطباق كما هو متعارف عليه فى مثل هذه المناسبات ، وفجأة حدث هرج ومرج . . لا يوجد ملح فى « الطيخ » . . لا يوجد فى البيت ثلج ، جرى أحد الرجال إلى السوق ، كان الوقت متأخرا ليلا ، فكيف يجد الرجال الثلج فى السوق ، عاد خائبا خالى اليدين ، واضطر الضيوف إلى شرب الماء الفاتر من الصنبور ، ولم تتمكن « بهول متى » من السيطرة على نفسها ، كل ما قدرت عليه هو شد أذن أولادها ، فمثل هذه الفوضى لم تحدث أبدا فى هذا البيت . . والجميع سيلقى باللوم على صاحبة هذا البيت وعلى المشرفة عليه ، كيف لم توجد هناك فرصة لإحضار شيء مهم كالثلج ؟ ماذا سيقول الضيوف فى سرهم عن هذا الأمر . . ؟! نقدم لهم الدعوة للمجيء هنا ولا يوجد فى البيت ثلج . . حسنا لماذا هذا الهرج والمرج . . ياللفاجعة ! لقد وجد أحد الضيوف فأرا مبيتا فى الشورية . . يارينا احفظ علينا شرفنا . . هل هناك حد لهذه الفوضى وهذا الارتباك وقلة الذوق ؟!

نهض جميع الضيوف لمغادرة المكان . . لم يكن أمامهم من سبيل إلا المغادرة . . تنظر إلى عيونهم فتقرأ بداخلها مشاعرهم ، من ذا الذى يرمى بنفسه فى هذا البلاء ويبقى فترة أطول بين هذه الأسرة السيئة ؟!

ظلت « بهول متى » تغلى من داخلها ، وقلبها يتحرق وقد ملأه الغم والهم فراحت تخبط رأسها فى الحائط ، وتشد شعر رأسها مرة بعد مرة فى حالة من الهيجان والجنون ، فقد فشلت ترتيبات دعوة تقديم العزاء فى زوجها الذى فقدته منذ أيام . . ضاع كل شيء فى التراب ، وذابت مئات « الروبيات » فى الماء ، وتلطخت سمعة الأسرة ، وهذا أمر لا يمكن السيطرة عليه . . فقد نهض الضيوف ، وظل الطعام على الطاولات كما وضع تماما ، ووقف الأبناء الأربعة فى صحن البيت يغطى الندم وجوههم . . يوجه الواحد منهم اللوم إلى الآخر ، بينما زوجة الابن الأكبر توجه اللوم إلى زوجات الإخوة الصغار ، انفجرت « بهول متى » كشعلة من نار وهى تقول :

- سوّدتم وجوهنا أم لا ؟ ! أم هناك ما هو أدهى وأمر مما حدث ؟
يا للمهانة . . يا للعار . . لقد ذهب الجميع ، سيشيع الخبر فى المدينة بأكملها . . بأى وجه ستقابلون أهل المدينة ؟ سيظل صدى هذه الدعوة السيئة المشينة يتردد فى الشوارع لأسابيع ، ويستمر استهزاء الناس بنا وسخريتهم لما حدث . . ألا تخجلون ؟ ! ألا تعرفون معنى الحياء ؟! كيف تحفظ الروح عزّة من أضاعوا شرف العائلة فى الحياة الدنيا ؟!

ظل « كامتاناته » لفترة واقفاً يستمع ثم قال فى النهاية غاضباً متضايقاً :

- حسناً . . اتركى كل هذا يا أماء . . أخطأنا جميعاً ، نقر بهذا ، حدث خطأ فادح لكن هل تذبحين الناس بسبب هذا الخطأ ، صدرت أخطاء فادحة من الجميع . . ماذا يملك الإنسان غير التأسف على ما فات ؟! هل تزهق روح أحد بسبب هذا الخطأ ؟! كما أن الإنسان يتعلم من أخطائه .

قالت زوجة الابن الأكبر :

- هل كنا نعرف أن يصدر عن « كملا » أخت زوجى هذا الخطأ البسيط ، فيسقط الفأر فى الشوربة ، لقد وضعت الخضار فى الوعاء دون أن تتفحص ما بداخله .

وهنا عتف « كامتاناته » زوجته قائلاً :

- لا ذنب لكملا فى هذا ، ولا ذنب لك ، ولا ذنب لى ، ما حدث كان مجرد صدفة . . فى مثل هذه الدعوة الكبيرة التى استخدم فيها هذا الكم الهائل من الخضروات ، لإعداد هذه الكمية الضخمة من الطعام ، تحدث أشياء مثل التى حدثت ، فما دخل العزة هنا ، وما دخل الشرف إنك تضعين - دون داع - الملح على الجراح .
فقاطعته بهول متى :

- ألا تشعر بالخجل ، بدأت تعكس الأمور . وتسوق كلاماً وقحاً بكل جسارة ؛ فرد كامتاناته :

- علام الخجل ؟! هل سرقت أحداً ، لم يُشاهد النمل فى السكر ولا السوس فى الدقيق . . أنظارنا لم تقع عليه . . هذا كل ما حدث وإلا كان من الممكن إخراج الفأر من الشورية فى صمت وهدوء وبدون أن يدرى أحد بذلك .

فقالت بهول متى وهى تعجب من كفر النعمة هذا :

- هل تُطعم الجميع الفأر فتُفقدهم إيمانهم ؟

فراح « كامتاناته » ينظر إلى أمه نظرة كلها لؤم ثم قال :

- هل تعيدون أحاديث الأيام الماضية ، لا علاقة لهذا الأمر

بالإيمان . . مَنْ بين هؤلاء الناس الذين تركوا المائدة لم يأكل لحم الغنم والماعز ؟!

إن من بين هؤلاء مَنْ أكل لحم الغنم والماعز بالإضافة إلى أمور

أخرى . . هل سيصير هؤلاء مذنبين غير طاهرين بسبب هذا الفأر الصغير ؟!

لم يكن لدى « بهول متى » ما ترد به عليه ، فأخذت نفسها

وذهبت من أمامه . .

(٢)

مر شهران ، كان الوقت ليلا ، والأخوة الأربعة يمضغون
" القات " ، ويجلسون فى غرفة يتشاورون فيما بينهم ، كانت زوجة
الأخ الأكبر تشترك فى هذا المجلس أيضا ..

اتكأ " كمتاناته " على الوسادة ، وقال :

- أنا لا يمكن أن أشارك فى زواج " كملا " ولا بربح " يسه " من نصيبى ، فأنا قبل كل شئ لدى أولاد وأسرة .
قال " أماناته " :

- مَنْ هنا لديه فائض من ماله ؟ نصيب الواحد منا لا يتعدى
خمسة آلاف روية ، وأنا بحاجة على الأقل إلى خمسة آلاف لفتح
عيادة طبية .

فرد " دياناته " :

- أنا أيضا أفكر فى الصحافة ، أفكر فى إصدار جريدة ،
فنصيبى خمسة آلاف ، وأحتاج إلى شريك آخر بخمسة آلاف ، أنا
لا أستطيع أن أعطى من نصيبى ولا " يسه " .

قال كمتاناته :

- لقد وضع الجدد خمسة آلاف روية لجهازها ، فما ضرورة
ذلك ؟ ما ضرورة أن تزوج من ابن " بنت مرادى لال " ؟ البنت
ونصيبها ، تجد راحتها حتى فى بيت إنسان فقير إذا ما كانت

محظوظة ، وإذا ما كانت غير محظوظة سوف تظل تندب حظها حتى لو كانت فى بيت أكبر المهرجانات .. فالأمر كله يرجع إلى النصيب .
قال ميتا وهو خجل :

- ليس من المناسب أن ننقص ماتم الاتفاق عليه ، يمكن أن نطلب منهم قبول ثلاثة آلاف بدلاً من خمسة آلاف ، وهكذا يمكن أن يتم الزواج بخمسة آلاف ، ومن ناحيتى سأقدم نصيبى من أجل هذا الزواج .

أصاب الخجل كامتاناته فقال لأخوته :

- سمعتم كلامه ؟

فرد أماناته :

- حين يهيم على وجهه ويقاسى عندئذ تفتح عيناه .

كامتاناته : نعم متذكر هذا .

أماناته : قد تحصل على منحة من أجل التعليم ، لكن من أين لك بنفقات الملابس والسفر ، وما إلى ذلك ؟ عندئذ .. لمن ستمد يديك ؟

كان لهذا الكلام تأثيره على سيتاناته ؛ فهو إذا حصل على منحة من الحكومة ، فهو رغم كل هذا بحاجة إلى أربعة أو خمسة آلاف لإجراء الاستعدادات اللازمة للالتحاق بالدراسة ، وهو لا يستطيع أن يقدم كل هذه الأفضال العظيمة لأخته كملاً ؛ فيفقد بذلك أمله فى تحقيق حلمه فى الحياة ، وهكذا قال :

- نعم فى مثل هذه الظروف ساكون أيضا فى أمس الحاجة إلى المال .

فقال كامتاناته :

- هناك مخرج واحد من هذه الورطة ، وهو أن يتم صرف أقل قدر من المبلغ على زواج كملا ، فلا يمكننا أن ننفق أكثر من ألف روبية بأى شكل من الأشكال ، ما رأيكم فى " بندت دين ديال " اتركوا أمر الماجستير والليسانس ، إنه يحصل من عمله كمحاجب على خمسين روبية شهريا على الأقل ، وعمره الآن لا يزيد على الأربعين سنة ، زوجته ماتت فى السنة الماضية ، إننى على يقين أنه سيقبل الزواج دون تقديم أموال الجهار وغير ذلك .

أماناته : نعم بدون جهار ؛ فهذا هو الزواج الثالث .

كامتاناته : لا تقولوا هكذا ، فهو إن أراد الزواج اليوم وجد من يدفع جهازاً بالفى روبية ، لكن قضيتنا الآن مع " مرارى لال " وكيف نرد عليه ، وبعدها يمكن الاتفاق مع " دين ديال " .
دياناته : يجب علينا أن نسأل أمنا .

كامتاناته : سؤال أمنا لا معنى له ، إن عقلها توقف عن العمل تماما ، سوف تردد أقاويل الأزمنة الغابرة !! سوف تعيش تقترض على سمعة " مرارى لال " ؛ إنها لاتدرى أن الزمان لم يعد كما كان قبلا .
أماناته : إنها لن توافق ، سوف تبيع مجوهراتها وما لديها من ذهب ليتم هذا الزواج .. سوف ترون !!

كمتاناته : نعم .. هذا ممكن .. فالمجوهرات والمصاغ من حقها ، فقد كان مهرها فى الزواج ، وتستطيع أن تفعل به ما تريد .
دياناته : مهرها نعم لكن هل تتصدق به هكذا ؟ قبل كل شيء هذا من كسب جدنا .

كمتاناته : كسب أى إنسان مهما كان ، فالمهر حق المرأة .
أماناته : كل هذا يهون فى سبيل " المسبحة المقدسة " ؛ فقيمة هذه الأشياء لا تقل عن عشرة آلاف ، لا يجب أن تضيع هذه الأشياء ، لا تذكروا " دين ديال " الآن وإلا انكشف كل شيء ، وإذا وصلت هذه الأشياء إلى يديه ، فأخبرونا ماذا سنفعل ؟
دياناته : نعم هذا كلام معقول .

كامتاناته : الأشياء التى لنا حق فيها .. يجب أن نحارب من أجلها ، لا يمكن أن نُخدع فيضيع منا حقنا .

دياناته : إذن تفرقوا الآن .. سوف أذهب إليها سأخبرها أننى كتبت مقالا ، وعلى أثره رفعت الحكومة ضدى قضية ، وأحتاج خمسة آلاف روية لدفع الكفالة فأعطينى مصاغك حتى أنجو من الحبس ، وعليكم أنتم أن تجيدوا " حبك الطبخة " .

كمتاناته : لا يا أخى لن أتدخل من قريب أو بعيد فى هذه الخطوة .

سيتاناته : أما أنا فاقبلوا من الآن اعتذارى .

أماناته : اترك هؤلاء ، ولندبر نحن الأمر ونخطط له ، هؤلاء دراويش لا شأن لهم بالحياة ؛ فهذا موظف وسيتاناته لديه منحة والمحتاج أنا وأنت .

قالت روجة الابن الاكبر :

- الوظيفة .. خمسون روية يا حسرة .. ماذا عن الأيام القادمة ؟! هذا لن يكفى مستقبلا لشراء خاتم من " الذهب القشرة " فليتدروشوا اليوم ...

دياناته : إذا حصلنا على المصاغ فسوف أعطيك عقدها ..

أماناته : يا أخى فكر ! روجة الابن الاكبر حصلت عليه ... ليس سكر ما ياكله النمل ..

دياناته : حسنا .. هذا ما تتفقون عليه ، إذا لم أحصل على شيء من المصاغ فلن ترون وجهى ، لا ضرورة للقول بأن خطة دياناته سوف تنجح ، فإن حنان الأم عادة يكون تجاه الابن الأول ، وهى قد تلين إذا ما رآته فى ورطة أو مصيبة ..

وفعلا حين سمعت " بهول متى " هذه القصة جن جنونها ، وقام أماناته فزاد النار لهيباً وهو يقول :

- إذا لم نسلم المبلغ حتى الساعة العاشرة صباحاً فسوف يدخل الحجز ، لا يمكن الحصول على النقود من البنك الآن ، فالأمر يحتاج إلى مراسلات قد تأخذ شهوراً حتى يتم الفصل فى قضية الميراث ونحصل على النقود ..

إلى متى يمكن " لبهول متى " أن تتحمل هذا .. ؟! نهضت من فورها ودخلت إلى غرفتها ، أحضرت صندوق مصاغها وأخرجت منه جميع ما تملك وسلمته إلى دياناته ، الذى وضع خنجراً على رقبة أمه ... وعاد الأخوان - وما أسوأ خلفها - إلى أخويهما اللذين كانا يتظران فى فرح وسرور .

(٣)

مضى شهران أو ثلاثة أشهر، وبدأ الأخوة الأربعة يواسون الأم، ويحاولون جبر خاطرهما بعد أن تصرفوا في مصاغها ، راحوا يفهمون روجاتهم كيف يعاملن الأم، ويحذرونهن من إغضايبها، ورغم أن روجات الأبناء كن من داخلهن يتشفين فيها، وكان هذا واضحاً جلياً على وجوههن، إلا أنهم كنا يحاولن إخفاء مشاعرهن الحقيقية ، استمر الأبناء الأربعة في توددهم للأم، وهكذا رموا بشباكهم عليها حتى صارت تصفى لما يقولون، وترضى بما يفعلون.. نبيع الحديقة.. كان هذا الأمر قاسياً على الأم، إلا أن أبناءها الأربعة حاصروها بشكل جعلها ترضى وتقبل بفكرة البيع، وبقي الاختلاف بينها وبينهم فيما يتعلق بزواج كملا، فهي ترى أن الزواج سيكون مع ابن مرارى، والأبناء يرغبون أن يكون الزواج مع بنت دين ديال.. وذات يوم حدث خلاف شديد على هذا الأمر...

قالت بهول متى :

- أليس للبنت نصيب من كسب والديها .. لقد حصلت على عشرة آلاف من الحديقة، وخمسة وعشرين ألفاً من البيت، وعشرين ألفاً نقداً... أليس فى كل هذا خمسة آلاف لا تختكم كملا؟

رد كامتاناته برقة وليونة :

- يا أماء.. كملا اختنا، ونحن لن نفعل شيئا يضرها فى حياتها
مستقبلا، لكن المبالغ التى ذكرتها الآن، لا نصيب لكملا فيها، لو
كان الوالد على قيد الحياة لاختلف الأمر ؛ الآن علينا أن ندخر كل
بيسة، فالأمر الذى يتكلف ألفا ، لماذا نكلفه نحن خمسة آلاف ، أى
حكمة فى هذا التصرف ؟!

وعقب أماناته ، وكأنه يصحح قول أخيه :

-لماذا ياسيدى خمسة آلاف، قل عشرة آلاف ألن تُصرف خمسة
آلاف أخرى على الدعوة والضيافة وبقية مراسم الزواج ؟!
قال كامتاناته :

- نعم صحيح ، عشرة... عشرة آلاف روية تصرف فى
الزواج ، فلم تعد لنا مكانة تذكر بين الناس.
قاطعة بهول متى بعناد شديد :

- الزواج سيتم مع ابن مرارى لال سواء كانت التكلفة خمسة
آلاف أو كانت عشرة آلاف، هذا كسب زوجى، هذه الأموال من عرقه
وكده وتعبه ، وأنا كافحت كثيرا لأوفر هذه الأموال، وسوف أصرفها
كما يحلو لى، لو كنت أطلب منكم قرضًا ، لكان لكم الحق فيما
تقولون ..

ولم يعد الآن أمام كامتاناته من سبيل سوى الإعلان عن الحقيقة
المرّة ، فقال :

- يا أماء لقد ضخمت الموضوع ، وعملت " من الحبة قبة " دون داع ، هذه الأموال التي تظنينها أموالك ، ليست ملكك ، وهى أيضًا ليست ملكنا ، ومع هذا فكل بيعة فيها ملك لنا ؛ لأنك لا يمكن أن تصرفى منها شيئًا دون موافقتنا .. فقالت بهول متى وكان أفعى لدغتها :

- ماذا قلت ؟ لا يمكننى أن أصرف شيئًا من أموالى كما يحلولى ؟!

كامتاناته : هذه الأموال ليست لك ، هذه أموالنا .
بهول متى : نعم أموالكم ، لكن بعد أن أموت .
كامتاناته : لا ... بعد وفاة الوالد أصبح كل شيء من نصيبنا .
أماناته : الأم لاتعرف القانون ، وهكذا اختلط عليها الأمر دون أن تدري ..

نهضت بهول متى وعيناها تقدح بالشر ، وقد احمر وجهها وقالت :

- اضربوا قانونكم عرض الجبال ، القوه فى البحر ، وليحترق بالنار ، مثل هذا القانون ، أنا لا أعترف بمثل هذا القانون السخيف ، فهو هراء ، القانون الذى يضع السكين على الرقاب ، أبوكم لم يكن " شهنيدر " تجار ، فأنا كنت أضع الحجر على بطنى ، وأقطع من قوت يومى لأوفر كل بيعة ، وإلا كان هذا البيت مجرد غبار يطير فى

الهواء .. لا يمكنكم ما حييت أن تسلبوني أموالى ، لقد أنفقت على رواجكم أنتم الأربعة كل واحد عشرة آلاف روبية ، وأنفقت على تعليم كل واحد منكم ، لا أقل من خمسة آلاف روبية ، وكملا أيضا ولدت من بطنى ، وسوف أنفق على رواجها أيضا عشرة آلاف روبية ، ويمكنكم الاستيلاء بعد ذلك على مايتبقى من أموال .
فانتفض أماناته قائلا :

- أخى ! إنك أثرت أمك دون وجه حق ، اكتب خطاب إلى مرارى لال ، فهى لا تعرف قواعد القانون ، وهى تناقش مناقشة لا فائدة فيها ؛ فقالت بهول متى وهى تحاول السيطرة على أعصابها!
- حسنا .. أى قانون .. اسمعونى .

أماناته : القانون هو أنه بعد وفاة الأب تتحول جميع الممتلكات إلى الأولاد، وحق الأم أن تأخذ ما تعيش عليه فقط .

سألت بهول متى :

- من قال هذا ؟! من وضع هذا القانون ؟!

أجاب أماناته :

- علماء ديتنا الهندوكى .. المهاراج منو، من غيره ؟!

بهول متى :

- أنا أسست هذا البيت، أنا جمعت الأموال ، واشترت الحديقة،

واليوم أنا غريبة فى هذا البيت؟ هل وضع "منو" هذا القانون؟!

حسنًا حسنًا ، احملوا بيتكم واتركوني ، فأنا أوافق على أن أعيش
حياة الضنك والحاجة ، والأفضل من كل هذا أن أودع هذه الحياة ..
يا فرحتي .. يا فرحتي غرست الشجرة ، ولا أستطيع أن أقطف حتى
أوراقها ، بنيت البيت ، ولا أستطيع أن أقيم فيه ، لو كان هذا هو
القانون ، فاحرقوه بالنار ، لو أنى أعرف أن خاتمتي معكم هكذا
لسجلت جميع الممتلكات باسمي ..

لم تترك ثورة الأم هذه أى أثر يذكر على الأولاد الأربعة ، فالدرة
الفولاذية للقانون تحميهم .. كيف؟ وهل من المعقول للحديد الخام أن
يتصدى للفولاذ؟!

حل المساء وكانت أغصان أشجار " النيم " تتدلى على الباب ،
كانت أوراقها ساكنة سكون الموت ، بينما كانت أشعة الشمس الباردة
المودعة تمضى كأنها تبحث عن مأوى ، نهضت بهول متى فى هدوء
ودلفت إلى حجرتها .

دخلت بهول متى حجرتها ، ورقدت فى فراشها ، حينها أحسَّت
 بظهرها وقد انكسر ، فبعد موت زوجها تحول أبنائها ، فلذة كبدها ،
 الذين ولدوا من بطنها ، إلى أعداء لها ، لم يخطر على بالها هذا
 الأمر على الإطلاق ، ولا حتى فى الأحلام ، أو فى الخيال ، الأبناء
 الذين أرضعتهم من ثديها ، والذين طالما افتخرت بهم ، هم اليوم
 يهددونها ، ويغضبونها ، يالها من أيام ! ويا له من زمان ! إذا ما
 عاشت فى هذا البيت فسوف تعيش حياة كلها عذاب ، حيث لا قدر
 لها ، ولا قيمة لها بين أولادها ، حيث ستبقى وحيدة كأنها لم تلد
 ولم تنجب ، ستقضى حياتها دون تفكير فى شيء ، وهو أمر يتنافى
 تماما مع طبيعتها ، لكن ما باليد حيلة ، إذا انفصلت عن أولادها ،
 فسينفزع أمرها ، ماذا لو بصق عليها الزمان ! لكن إذا ما بصق
 على أولادها ، فالفضيحة ستألفها هى ، وسوء السمعة ستلصق بها
 هى ، وسيقول العالم كله إن عجوزاً تركت أولادها الأربعة ، وراحت
 تعمل عند هذا أو عند ذاك لتكسب قوت يومها ، وأولئك الناس الذين
 كانت دائما تنظر إليهم نظرة احتقار ، سوف يضحكون عليها ،
 ويسخرون منها الآن . .

ورغم أن مذلة الوحدة والعزلة مذلة ما بعدها مذلة ، تُحطم
 القلب وتكسر الخاطر ، إلا أن عليها أن تُعوّد نفسها على أسلوب

الحياة الجديدة ، فقد تبدل الزمان ، وعليها الآن أن تعيش وسط جو جديد ، لقد ظلت حتى الآن تعيش كربة للبيت ، تعيش ملكة في مملكتها ، ومن الآن فصاعدا عليها أن تعيش مثل الخادمة ، وهذا قدرها .. وركلات وضربات أولادها أهون - على كل حال - من ركلات وضربات الآخرين ..

ظلت الأم لفترة طويلة تغطي وجهها ، تبكى وحدتها وعزلتها ، وتقضى الليل بطوله تجتر آلاماً نفسية فوق طاقة البشر ..

في فجر يوم من أيام الشتاء القارس ، خرجت تتسحب في خوف تحت ستارة الظلام ، كسجين خرج من سجنه متخفياً عن أعين الناس ، وعلى عكس المعتاد نهضت وقت الفجر الكاذب ، فطوال الليل مرت الأم بحالة من التناسخ الروحاني ، كان جميع من في البيت يغطون في نوم عميق ، بينما راحت هي تكس صحن البيت ..

طوال الليل كانت الأرض المبتلة بالندى تشك قدميها العاريتين ، كأنها أشواك مديبة ، لو كان بعلمها على قيد الحياة ، لما جعلها تستيقظ هكذا في الصباح الباكر ، فالبرودة الشديدة تضر بصحتها ، لكن الزمان لا يعود إلى الوراء ..

انتهت من الكس ، فأشعلت النار .. ورويدا رويدا نهض الأولاد ، واستيقظت زوجاتهم ، وتطلع الجميع إلى العجوز التي راحت تعمل وهي ترتعد من شدة البرد ، لكن أحداً لم يقل لها : يا أماء ! لماذا ترهقين نفسك ، لعلهم ظنوا أن العجوز كانت مسرورة فرحة بعزلتها هذه ..

ومنذ ذلك اليوم مضت بهول متى على هذا الحال ، تحولت إلى آلة تتولى جميع أعمال البيت .. خدمة جميع من بالبيت ، ثم البقاء بعيدا عن الجميع .. فى معزل عن جميع الأمور الإدارية ، وملامح العزة والاعتداد بالنفس التى كانت يوماً ماتبدو واضحة على وجهها ، تحولت إلى علامات حسرة ومسكنة وذلة ، وتلاشى النور الساطع من طلعتها ، وحل محله ضوء كضوء مصباح يتضاءل رويدا رويدا ، ويمكن لنسمة هواء خفيفة أن تطفئه ..

أرسل الأخوة - طبقا للاتفاق الذى عقده فيما بينهم - خطابا إلى مرارى لال يفيد رفضهم الزواج المتفق عليه قبلا ، وهكذا تم زواج اختهم كملا من دين ديال الذى تعدى الأربعين من عمره بقليل ، كان مستوى أسرته متدنيا من حيث الواجهة ، لكن الأسرة كانت معقولة على أى حال ، تمت الموافقة على الزواج دون أخذ رأى أحد ، وتم تحديد التاريخ ، وكانت ليلة الزفاف .

تم الزواج ، ورحلت كملا عن بيت عائلتها ، كيف وكم عانت كملا من داخلها ؟! من يمكنه أن ينقذها مما كانت تعاني ؟! كان الأخوة الأربعة فى غاية السرور ، وكأن شوكة كانت تنغصمهم اقتلعت من تحت إبطهم ، والبنت التى تنتمى إلى بيت شريف رضيت برضا أهل بيتها ؛ فهى ترى أنه إذا كتب فى لوح قدرها السعادة ، فسوف تنالها بلاشك ، وإذا كتبت عليها التعاسة ، فسوف تنالها أيضا ، وزوجها لو كان فيه ألف عيب وعيب فسيكون معبودها ومالكها ، والمعارضة هنا أمر خارج عن تفكيرها وحتى عن خيالها ..

لم تتدخل بهول متى الأم ، فى أى أمر من الأمور ، ماذا أعطى
لكملا ؟ ماذا أقدم للضيوف فى حفل الزواج ؟ ماذا قدم الضيوف
والأقارب من " نقوط " للعروس ؟ وماذا قدموا من هدايا ؟ لم يكن
الأمر يعنىها فى شيء ..

وإذا ما سألوها رأيها فى أمر ما أجابت :

- يا أبنائى إن ما تفعلونه صحيح ، فلماذا تسألوننى إذن ؟
وحين جاء " التختروان " الذى يحمل كملا إلى بيت زوجها ،
ضمت كملا أمها بشدة ، وانخرطت فى البكاء ، أخذتها الأم إلى
حجرتها ، ثم وضعت فى خمارها عدة مئات من الروبيات ، وقطعتى
ذهب أو ثلاث مما كان بقى لديها ، وهى تردد :

- يا ابنتى .. يا ابنتى ! إننى أكنتم كل شيء بداخلى ، قلبى
يعتصر ، هل يمكن أن يتم زواجك بهذه الطريقة ، ويكون زفافك
هكذا ؟!

أخرجت كملا الذهب والنقود من خمارها ، ووضعتها عند
قدمى أمها وقالت :

- أماه ! دعاؤك لى يساوى عندى مئات الآلاف من الروبيات ،
احتفظى بهذه معك ، فلا أحد يدرى ما سيواجهك من مصائب .
كانت " بهول متى " على وشك أن تقول شيئا لابنتها حين قدم
أماناته ووجه حديثه إلى كملا :

- هيا ماذا تفعلين ؟ كملا هيا أسرعى فقد حان الوقت ، الناس

يستعجلون . . ثم إنك سوف تزورينا بعد ثلاثة أو أربعة أشهر ، إذا
كان هناك ما تأخذين فأسرعى فى ذلك . .
استجمعت بهول متى قواها ، وقالت :
- ماذا بقى لدى يا حسرة ؟ ماذا بقى ؟ !
ماذا بقى معى يا بنى حتى أعطيها إياه ، اذهبى يا ابنتى رعاك
الإله ، وجعل زواجك زواجاً أبدياً .
وبينما مضت كملاً ، تعثرت بهول متى وانقلبت على ظهرها
وهى تسقط على الأرض .

ومرّ عام .. كانت حجرة بهول متى هى أوسع غرف البيت وأكثرها تهوية ، فقامت بإخلائها من أجل زوجة الابن الأكبر ، وأقامت فى غرفة أخرى صغيرة ، شأنها فى ذلك شأن المرأة المكلفة بجلب الماء إلى البيت ، لم يكن للأبناء ولا لزوجاتهم أى علاقة بها على الإطلاق ، صارت الآن خادمة البيت ، لم يعد لآى فرد فى البيت أى اهتمام بأمورها ، وكانت تعيش فقط ، لأن الموت لم يعرف طريقه إليها بعد ، لم يعد للأفراح أو الأتراح أى تأثير على مشاعرها .

تحقق لأماناته ماكان يهدف إليه ، دُعى الأحباب إلى مأدبة احتفالاً بتحقيق هدف ما ، أما دياناته فقد أصدر جريدة ، ودعى الأصدقاء للاحتفال بذلك ، وسيتانته حصل على منحة دراسية ، وذهب ليدرس فى العاصمة ، ثم كان الاحتفال الكبير ، حفل عيد ميلاد للابن الأكبر لکمتانته ، حفل صاخب ، لم يظهر على وجه بهول متى ، ولا حتى شعاع خافت من السرور ، ومرض أماناته بالتيفود لشهر كامل ، كتب دياناته مقالا ، تم على أثره القبض عليه بناء على المادة رقم ١٤٤ ، وسجن لمدة ستة أشهر ، وكتب أماناته تقريراً غير صحيح عن معاملة تتعلق بعمله بعد أن قبل رشوة ، وتم إيقافه عن العمل لسنة ، ولم تظهر ولو حتى ظلال الحزن على وجه بهول متى ، فلم تكن فى حياتها اهتمامات من أى نوع ، لم يكن

لديها أمل فى شىء ، ولم تكن تفكر فى أى موضوع ، كانت كذوات الأربع تعمل وتاكل ، ولا شأن لها غير هذا ، والحيوان يعمل بالضرب لكنه ياكل حين يرغب فى الاكل ، لكنها كانت تعمل دون أن يطلب منها أحد ذلك ، وكانت تاكل كأنها تعمل ، لقيمات كالسم ، كانت لا تضع زيت الشعر على رأسها لشهور ، ولا تغسل ملابسها لشهور ، ولا تهتم أبدا بمثل هذه الأمور ، وكأن الإحساس بداخلها قد ضاع .

فى موسم المطر ، ظلت الأمطار تهطل لأيام دون توقف ، وانتشر وباء الملاريا ، وامتلات السماء بالسحب الداكنة ، وسقطت أمطار مغيرة على الأرض ، وملا البلغم والبصاق صدور الناس للهواء المحمل بالرطوبة الشديدة ، ومرضت المرأة المكلفة بغسيل الأواني والأطباق ، مثلما مرضت المرأة المكلفة بجلب الماء إلى البيت ، فتولت بهول متى غسل جميع أنية البيت ، وحمل الماء لهذا وذاك داخل البيت ، ثم إشعال النار ، وبعدها تمضى إلى نهر الكنكا لتحمل الماء إلى البيت ، كان كامتاته يشرب دائما من ماء نهر الكنكا المقدس ، فماء « الطلمبات » لا يروقه .

قال كامتاناته وهو راقد على سريره :

- يا أماء ! اتركى الأمر لى ، سوف أحضر الماء بنفسى ، فاليوم غابت المرأة المكلفة بغسل الأواني وكذلك تلك المكلفة بإحضار الماء .

نظرت الأم - بهول متى - إلى السماء الملبدة بالغيوم السوداء وقالت :

- يا بنى سوف يصيبك البلل ، وتصاب بالبرد .

فرد عليها بقوله :

- إذن ابقى بالبيت . . . لا تذهبي حتى لا يصيبك المرض . .

فقالت له :

- أنا لا أمرض يا بنى ، فقد حفظنى الإله ورعانى .

فحول حديثه عن الموضوع قائلاً :

- آه تذكرت . . . أماناته كما هو لا يحقق تقدما ، فلم تعد

عيادته تجلب له ربحاً يذكر ، ولهذا فهو قلق ومضطرب .

ردت الأم :

- لا تأبه بالأمر ، لقد سيطرت الحكومة على الأسعار منذ عدة

أيام ، وعليه أن يعرض الخسارة فيما بعد .

فاض نهر الكنكا بالماء ، وبدا كأنه بحر واسع بلا شطآن ،

والتقت الماء بسطح الأفق ، أما الأشجار التى كانت على الشاطئ ،

فلم يعد يظهر منها سوى بعض أغصانها العلوية ، وكأنها تطفو فوق

الماء ، حملت بهول متى الجرة ، وراحت تنزل على السلاالم المتجهة

ناحية النهر ، فانزلقت قدمها ، لم تستطع العجوز أن تمالك نفسها ،

فسقطت فى الماء ، وفى لحظة غطتها مياه النهر ، وسحبته الأمواج

إلى القاع ، وراح بعض من كانوا على الشاطئ يصيحون

ويصرخون :

- يا ناس .. إنها تغرق ، تغرق

وقدم بعض الناس يهرولون ، لكن بهول متى كانت قد اختلطت
تماما بالأمواج ، وكان منظرها والأمواج تلتهمها يصيب الإنسان
بالرعب ، تساءل بعض من كان على الشاطئ :

- من كانت هذه العجوز ؟

- آه !! إنها أرملة پندت أجودهياناته ؟

- نعم كتب عليها أن تزل قدمها .

- هكذا نصيبها ..

- إن لها أولاداً كباراً ، كلهم كبار ، وجميعهم يكسبون ،

يكسبون كثيراً ؟

- نعم وجميعهم أخوة .. لكن النصيب شيء آخر .

النَّـوَر

پریم تشند

النور

(١)

رجعت إلى الهند بعد أن نجحت في امتحان " الخدمة المدنية " ICS ، وعُينت مسئولاً عن وحدة إدارية صغيرة في منطقة جبلية تابعة للمقاطعات المتحدة في شمال الهند ، كنت أعشق الصيد ، ولهذا كنت محظوظاً ، فالصيد متوفر في المناطق الجبلية ، وهكذا ناسب المكان ما أهوى وأعشق ، اتخذت من " الفيلا " الواقعة في حوض الجبل مسكناً ، كما جعلتها أيضاً " ديواناً " أقضى فيه شؤون الناس ، وأدير من خلاله أمور المنطقة التي أشرف على إدارتها . . كنت لا أرى أحداً على الإطلاق ما لم تحدث شكوى أو مشكلة ، ومن هنا كان الخروج للترهة أو الصيد أو حتى قراءة الصحف والمجلات يسد فراغاً كبيراً ، ويملاً وقتي ، ويعوضني عن عدم تردد الناس على مسكني هذا . . كانت بعض الصحف والمجلات تأتي من أمريكا وأوروبا ، وهي صحف ومجلات لا يمكن لمثيلاتها في الهند أن تصل إلى مستواها من حيث جودة الموضوع ، والأفكار المنمقة المرتبة ، ونضارة الصفحات ، وما تضيفه من بهجة على القارئ ، آه متى يأتي ذلك اليوم الذي تصدر فيه مثل هذه المجلات والصحف الرائعة في بلدنا ؟

كنا في فصل الربيع وبالتحديد نهاية فبراير وبداية شهر مارس أو كما يقال في الهند شهر " بهاكن " حين خرجت في مهمة إدارية

تستلزم زيارة بعض القرى، وبعد أن عاينت "نقطة" شرطة قرية "كندهوار" توجهت للذهاب إلى "نقطة" شرطة قرية "كجن بور" التى تبعد مسافة ثمانية عشر ميلا تقريبا. .

كان المنظر بديعا، ورغم أن أشعة الشمس كانت شديدة الحرارة نوعا ما، إلا أن حرارة الجو كانت معتدلة، كان الهواء مشبعاً برائحة ذكية، فقد أزهرت أشجار المانجو، بينما كان صدى صوت كروان يتردد فى الأجواء، أما أنا فمضيت واضعاً البندقية على كفى، تحسباً لوجود صيد أقتنصه على الفور، أو دفاعاً عن خطر قد يحدث بى فجأة، خاصة أن قطاع الطرق انتشروا هذه الأيام هنا وهناك. . مسحت على رقبة الجواد وقلت :

- هيا يا بنى. . هيا أسرع. . كلها ساعتان ونصف أو ثلاث ساعات ونصل إلى "كجن بور" مع حلول المساء. .
كان الموظف الذى يعمل معى قد سبقنى إلى هناك. .

مضيت فى طريقى. . كنت أشاهد من حين لآخر بعض الفلاحين يعملون فى الحقول، فقد حان حصاد فصل الربيع، بينما كانت الحقول تعد لزراعة قصب السكر والبطيخ، وكان هناك عدد قليل من المزارعين، وشاهدت المحراث القديم المتهالك من أيام أبينا آدم، يستخدمه عباد الله الذين يتصفون بالجهل المؤسف، بشكلهم المخجل وهم نصف عرايا، فالحكومة تنفق مئات الروبيات على الإصلاحات الزراعية، وتجربى الأبحاث الجديدة، وتساهم فى المخترعات الحديثة، وتوفر المديرين والموجهين والمفتشين، لكن الحال هى الحال، لا إصلاح

ولا تغير يطرأ على حال هؤلاء... فى بلاد الغرب أغرق طوفان العلم الجميع دون تمييز، أما هنا فالكلاب اتخذت من المدارس مرتعا، وحين تدخل المدرسة تجد المدرسين يستنلون إلى مكاتبهم فى حالة نعاس، ويصعوبة كبيرة يتجمع حوالى عشرة أو عشرون تلميذا لتلقى العلم، فالأمة التى سيطر عليها الجمود إلى هذه الدرجة، لا شك أن مستقبلها ميثوس منه تماما ! وأرى المثقفين والمتعلمين يسكبون الدموع، وهم يذكرون أسلافنا، وقد صدقت أن المبشرين الآريين كانوا ينفخون روح الإيمان فى جزر آسيا، وصدقت أيضا أن أستراليا سوف تدين للحضارة الآرية بما ستحققه من نهضة، لكن ما هى نتيجة تربية أسلافنا ؟ أهل الغرب اليوم هم حاملو مشعل هذا العالم، وإنجلترا البلد الصغير يقبض على نصف الكرة الأرضية، لا شك أن أهل الغرب بفضل تقدمهم الصناعى والمهنى قدموا للعالم كله رسالة جديدة، تدعو إلى العمل والجد والاجتهاد، وطبقا لهذا الرسالة فإن الأمة التى تخلو من قوة العمل يكون مستقبلها مظلما... حيث غضى هنا ندندن ونعزف على الربابة أغانى عظمة دراويش الزوايا والتكايا، نصف العرايا، أصحاب الملابس المهلهلة، حيث يعبد الشجر والحجر، حيث يقحم الدين فى كل صغيرة وكبيرة دون ما سبب، فإذا كان هذا حال أمتنا فلا عجب مما هى فيه . كنت أمضى غارقا فى هذه التصورات والأفكار ، وفجأة ضربت جسمى لفحة من الهواء البارد، فأفقت، ورفعت رأسى إلى أعلى ، كانت السماء من جهة الشرق قد تلبدت بالغيوم ، واختفى الأفق فى ستارة من التراب والغبار،

وكان هذا علامة على قدوم العاصفة، أشرت على جوادى أن يسرع، لكن ستارة الغبار بدأت تتسع وتبسط بين لحظة وأخرى، ولما كانت وجهتى ناحية الشرق، فقد بدا الأمر كأننى أسرع لأواجه وحدى إعصارا من بعد إعصار.. اشتدت سرعة الهواء، ووصلت ستارة الغبار فوق رأسى، وفجأة غرقت فى بحر من الغبار، كانت العاصفة شديدة لدرجة أننى لنجوت عدة مرات من السقوط من فوق الجواد، كان هناك حفيف يصاحبه ضجيج مرعب، كأن الطبيعة نفخت روح إعصار فى العاصفة، وحتى لو اجتمع عشرة بل عشرون ألف مدفع، وانطلقت كلها فى وقت واحد لما أصدرت مثل هذا الصوت المرعب المهل..

لم أكن أفكر فى دوامات الغبار حتى غاب الطريق عن نظرى تماما.. يا للهول كانت القيامة ! وما زالت فرائسى ترتعد إلى اليوم حين أتذكر ما حدث، التصقت تماما برقبة الجواد، وأخفيت وجهى وراء عرف جوادى فقد كانت ذرات الغبار المديبة تتطاير ضاربة وجهى، وشعرت كأن "محققنا" كبيرا يقذفنى بحصيات تصينى بألم شديد، وسيطر على إحساس بالرعب غريب، كان صوت تحطم جذع شجرة لا أراها يصم أذنى، فستقلص أمعائى، فربما سقط على جذع الشجرة من أعلى الجبل، وفكرت فى البقاء مكانى دون حراك، فوسط هذا الإعصار قد تسقط كتل صخرية أيضا من فوق الجبل، ولو حدث هذا لكان فى ذلك نهايتى المحققة، فلا مجال للبقاء حيا، والطريق الجبلى لا يسمح باستخدام العقل أو الذكاء والفطنة، فإذا ما تحركت خطوة يمينا أو يسارا، فقد أسقط فى حفرة عمقها ألف قدم !

وابتليت بحالة من الصرع والهيحان .. ماذا لو استمرت هذه العاصفة حتى المساء ١٢ هذا يعنى الموت المحقق .. ففى الليل سيأتى حيوان مفترس ويقضى علىّ ، وطرات على قلبى حالة من الخوف والهلع رغما عنى .. ولو تعرضت للموت ، لن يكشف أحد جثتى ، آه ! كم كان ضوء البرق قويا مبهرا ، كأن سهما اخترق صدرى ..

فجأة سمعت أزيزا رهيبا ، مع صوت فرقعة شديدة ، وتخيلت ناقة ضخمة تجرى ، وفوقها راكب لا يفكر فى الطريق ، بينما الناقة تضرب بأرجلها مرة هنا ومرة هناك ، ربما كان هناك أحد الفلاحين ، ربما رآنى ، لعله لم يتمكن من الوصول إلىّ ، فالوجوه كلها مغطاة بالتراب ، لكن من ذا الذى يتحرك ، من ذا الذى لديه همة على المشى وسط هذه المصيبة .. وفى لمحة اقترب صوت الخفيف ، ثم شاهدت امرأة شابة تهول ، وفوق رأسها سلة كبيرة ، ورغم أنها لم تكن تبعد عنى سوى ياردة واحدة ، لكنى لم أكن أرى منها سوى شبحها .. كانت المرأة تمضى وحدها بخطوات رجولية ، لا يساورها خوف من العاصفة ، أو قلق من سقوط جذع شجرة فوقها ، أو رهبة من صخرة قد تسقط فوقها من أعلى الجبل ، ولم يكن ما يجرى الآن مما اعتاد عليه المرء كل يوم ، لم يساورنى إحساس بالغيرة الشديدة مثلما حدث فى ذلك الوقت .. أخرجت من جيبى منديلا ، ومسحت وجهى ، وخاطبتها :

- أيتها المرأة ! كم تبعد عنا " كجن بور " ؟

خاطبتها بصوت عال ، لكن الصوت لم يصل إلى مسافة عشر
ياردات على الأكثر ، فلم تجبني المرأة ، بل لعلها لم تلاحظ وجودي .
فصرخت بأعلى ما عندي :

- يا امرأة ! انتظري قليلا ، كم تبعد " كجن بور " عن هذا
المكان ؟

توقفت المرأة ، واقتربت مني .. نظرت ناحيتي وطأطأت رأسها
قائلة :

- أين تذهب ؟

- كم تبعد كجن بور ؟

- تعال .. ستصل إلى قريتي ، بعدها تصل إلى " كجن بور "

- كم تبعد قريتك ؟

- ماذا ؟! ها هي .. هناك .. على مرمى البصر .

- لماذا لم تتوقفي وسط هذه العاصفة ؟!

- كيف أتوقف والصغار في البيت ، رجلى انتقل
إلى جوار ربه ..

هبّت موجة عارمة من الهواء المحمل بالغبار دفعتني عدة أقدام ،
واستقرت قبضة من تراب على وجهي .. يالها من مصيبة ! لا أدرى
ماذا يدور من حولي ، فتوقفت حيث كنت ، لم أتحرك قيد أنملة .
وبدا تفكيرى الفلسفى يقول :

- أى راحة لهذه المرأة فى الحياة ؟! لعلها تمتلك كوخا متهاككا ،
وعدة أطفال يعانون الفقر والجوع ، فلم تكن تهاب الموت .. لا .. لا

إن فى الموت نجاتا لمثلها ، لكن وضعى يختلف تماما ، إتنى أعيش حياة
الدعة والراحة فهل يمكن أن ألقى بهذه الحياة فى الخطر بمحض
إرادتى ١١٢

(٢)

أخفيت وجهى ثانية فى عُرف الجواد ، تماما مثل النعامة التى
تخفى رأسها بين ريشها حين لا تجد وسيلة للنجاة من الخطر .
كانت العاصفة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، قلت شدة الرياح
تبريجا ، وفى غضون خمس عشرة دقيقة انقشعت الغيوم ، وصفت
السماء ، ولم يعد هناك من أثر للغبار ، وتحولت الرياح الشديدة إلى
نسمات علية ! ربما كانت الساعة وقتها تقترب من الخامسة حين
ظهرت أمامى هضبة مرتفعة ، تحتضن قرية صغيرة ..
حين وصلت إلى تلك القرية ، وجدت نفس المرأة تتجه
ناحتى ، وهى تحتضن طفلا صغيرا ، بادرتنى بقولها :
- أين مكثت ١٢ خشيت أن تكون قد ظلمت الطريق ، فخرجت
أبحث عنك ، تأثرت بإنسانيتها كثيرا ، وشكرتها على اهتمامها بى ،
وأخبرتها بأن موجة من التراب هبت على ، فلم تسمح لى بمشاهدة
الطريق ، ولهذا مكثت حيث كنت ، وسألتها :
- هذه قرينك إذن ، كم تبعد كجن بور ؟
- اعتبر المسافة قدر مشوار بسيط ، الطريق مستقيم تماما ،
لا تعرج يمينا ولا يسارا وسوف تصل مع غروب الشمس .

- هذا هو طفلك .. !؟

- آه .. هناك آخر أكبر منه ، حين هبت العاصفة ذهب الاثنان إلى استراحة ' العمدة ' وجلسا هناك ، فقد خشيا أن يسقط الكوخ ، ومنذ مجيئي وهذا الطفل متشبث برقبتي ، يقول إنه يخشى أن أهرب منه ثانية ، الولد الأكبر عفريت ، كان يلعب مع الأولاد ، وأنا أعمل بالأجر ياسيدى ! حتى أرييهما ، كيف لى أن أجلس أو أستريح ، وقد جمعت كمية من الحشائش وذهبت لبيعها ، وكلما أذهب هنا أو هناك يظل قلبى معلقا بالطفلين .

لابد من الاعتراف بأن قلبى لا يتأثر عادة بسرعة ، لكن الطريقة البسيطة البريئة لحديث هذه الفلاحة ، وبساطتها ، وعاطفة الأمومة بداخلها ، أثرت فى أعماقى تأثيرا بالغا ، فسألتها وأنا أنظاها بعدم اهتمامى بأحوالها :

- كم مضى عليك منذ ترملت ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع ، وقالت وهى تضع عينيها على خد طفلها فى محاولة منها لإخفاء دموعها .

- مضت ستة أشهر كاملة ياسيدى .. هذه مشيئة الله ، لا دخل للإنسان فى هذا .. حمل المحراث عائدا إلى البيت ، ثم أمسك بالإبريق وشرب ، ثم تقيا .. بعدها أغمض عيني ، لم يتفوه بكلمة ، كما لم يسمع منى كلمة .. ظننت أنه متعب ونام ، وحين استيقظت لإعداد الطعام ، وجدته قد فارق الحياة ،

ومن يومها ياسيدى ، وأنا أجمع الحشائش ، وأبيعها ، فأكل ،
وأطعم أطفالى .. لم تكن أمى تملك حقلا ، وقمت ببيع الثور ،
وانفقت ثمنه على ترتيبات الجنازة ، وقد وهب الله الحياة لهذين
الطفلين ، وهذا بالنسبة لى فضل منه عظيم .

إننى أفهم بواطن الأمور وأدركها جيدا ، كما أننى على دراية
بعلم النفس ، لكنى تأثرت كثيرا فى ذلك الوقت ، تأثرا جعل الدموع
تجرى فى مقلتى ، فأخرجت من جيبى خمس أو ست روبيات ،
ومددت يدى بالروبيات ناحية المرأة قائلا :

- خذى هذه .. ابتاعى حلوى لطفليك ، لو واتنى الفرصة
سامر عليك ثانية .. ثم مسحت ييدى على خد الطفل .

تراجعت المرأة خطوة إلى الوراء وقالت :

- لا ياسيدى .. احفظ عليك مالك ، أنا فقيرة لكنى لست
متسولة .

- هذا ليس بتسول ، هذه الروبيات لشراء حلوى للطفلين .

- لا يا سيدى ..

- اعتبرينى أخا لك ..

- لا يا سيدى ؛ إن من ترملت من بعده أحمل عزته وشرفه بين

يدى .. جزاك الله خيرا ، اذهب الآن ، سوف تتأخر .

لم أشعر أبدا باحتقار لنفسى مثلما شعرت فى تلك اللحظة ،

فاعتبرت نفسى جاهلا ، أعمى القلب والبصيرة ، عديم الدراية ،

فهذه العزة ، الاعتماد على النفس ، ومعرفة الواجب ، والتوكل والثقة . . كل هذا جعلنى أشعر بضعفى . . فتفتت قلبى من الداخل ، لو أن التعليم فى الأصل هو تهذيب النفس ، لا مجرد الحصول على أعلى الدرجات ، فإن هذه المرأة وصلت إلى أعلى مدارج العلم ، فشعرت بالندم ، ووضعت النقود فى جيبى ، وأشارت على جوادى بالانطلاق وأنا أسألها :

- يبدو أنك لم تكونى خائفة على الإطلاق من تلك العاصفة فابتسمت المرأة وقالت :

- أخاف . . من أى شىء أخاف !؟ الله موجود فى كل مكان ، لو شاء أن يميتنا ألا يستطيع أن يميتنا هنا . . رجلى عاد إلى البيت ، ثم فارق الحياة فى البيت ، ولو كان هنا اليوم لما ذهبت إلى " كجن بور " وحدك ، ولكان قد ذهب معك مقدما لك خدماته .

وانطلق الجواد مسرعا ، بينما كانت دقائق قلبى تسرع تسابق سرعة الجواد ، تماما مثل مفلس وجد قطعة من ذهب ؛ فشعر من قرارة نفسه بأنه يحلق فى السماء ، كانت هذه حالى ، لقد لقتنى هذه المرأة الفلاحة البسيطة درسا عظيما ، لم أتعلمه فى حصص الفلسفة والميتافيزيقا ، وأنا مثل المفلس الذى وضع قطعة الذهب فى " صرة " ، أخذت أنتشى بغرور إطراء غير متوقع ، وأخشى أن يتلاشى هذا الأثر من القلب ، فأخذت أطير ، كان هذا هو كل ما فى ذهنى أن أخفى هذا الشعور والإحساس فى ركن من أركان قلبى ، حيث لا تقع عليه عيون أحد الطماعين . . .

لم يتبق على الوصول إلى قرية " كجن بور " سوى خمسة أميال ، كانت الطريقة وعرة جدا ، فاضطرت إلى كبح جماح الجواد أكثر من مرة ، ففي السرعة خطر بالغ ، وقد تمالك الجواد نفسه على الطريق بعد أن مضى يمشى الهويئا . . . كانت بعض السحب قد ظهرت في السماء ، لكنها الآن اتخذت صورة عجيبة ، فبدأ البرق يلمع ، وتبعه صوت الرعد المزمجر ، ومن ناحية الشرق لاحت في الأفق غيوم صفراء ، أخذت تتداخل فيما بينها ، ومضت من فوق رأسي فلاحظت سرعتها ، ففهمت أنه البرد ، ففي هذا الشهر من السنة يكون مثل هذا السحاب الأصفر وصوت الرعد المهيّب علامة على سقوط البرد ، وبينما كنت أتابع السحاب يمضي من فوق رأسي ظهر أمامي واد منبسط ، ومن بعيد تراءت لي قبة بيت عمدة " كجن بور " لم تكن هناك حتى شجرة تحجب الرؤية ، ولم يكن في قلبي أي نوع من الخوف ، كنت أشعر أن ظل إنسان ما يظلني ، وسوف يحفظني من كل آفة أو مصيبة .

بدأت السحب تزداد اصفرارا كل لحظة ، وكان الجواد يشعر بخطورة ما يلوح في الأفق ، فيصهل مرة بعد أخرى ، وينطق مسرعا كأنه يريد الخروج من دائرة الخطر ، وقد رأيت بدوري الطريق سهلة منبسطة ، فأرخيت له اللجام ، فطار يسابق الريح ، وجعلتني سرعته أشعر بالنشوة ، فلم يكن في قلبي أي شعور بالخوف . . . ولم نكد نقطع ميلا على أكثر تقدير حتى اعترضنا جسر خطير ، كان هذا

جدول جبلى طوله خمسون ذراعاً ، كانت خيوط من الماء لا تزال تنساب على الجسر ، وتجمع الماء على جانبيه . . رأيت رجلاً أعمى يتوكأ على عصاه ، يحاول عبور هذا الجسر ، وكان قريباً جداً من حافته لدرجة أننى خشيت أن يسقط فى الماء ، مما يسبب خطورة كبيرة له ؛ لأن الماء أسفل الجسر عميق ، فصرخت فيه :

- أيها العجوز ! اتجه إلى اليمين قليلاً .

فقفز العجوز ، ربما خاف بعد أن سمع وقع حوافر الجواد ، فلم يتجه ناحية اليمين بل اتجه ناحية اليسار ، فسقط فى الماء ، وفى نفس الوقت شاهدت شخصاً آخر يسقط أمامى ، وهكذا حلت مصيبتان فى وقت واحد . . وبالقرب من الجدول كان هناك معبد فيه أماكن للراحة والجلوس ، وكان من الممكن أن أصل هناك فى دقيقة واحدة لكى أستريح ، لكن الأمور تعقدت . . ماذا عساي أفعل ؟! هل أهرب وأنجو بنفسى تاركاً هذا الأعمى يموت ؟! لم تطاوعنى نخوتى ، ولم يكن الموقف يحتل الأخذ والرد ، فقفزت من فوق الجواد ، كان هذا الجسر المقام على الجدول أطول من عرض الدول ، لكن كانت هناك بركة عميقة ملاصقة للجسر ، سقط فيها العجوز ، فنزلت فيها ، وغصت أبحث عنه ، لم أشعر بالخوف لأننى أعرف السباحة ، وتمكنت من إخراج العجوز ، الذى كان قد شرب كمية كبيرة من الماء ، فصار جسده أقرب إلى جثة ميت من جسم إنسان على قيد الحياة ، ولهذا تمكنت من إخراجـه بصعوبة شديدة ، ونظرت إلى الجواد ، فوجدت أنه هرب ، ووصل حتى المعبد . .

لم يكن من السهل حمل هذا الرجل الذى فقد الروح تقريبا لمدة
فرسخ ، وتسبب سقوطه من مكان عال إلى إصابته بجروح فى وجهه
وظهره ، بدت كأنها نتيجة إصابته بعيارات نارية . . حملته بصعوبة ،
وضمته إلى صدرى ، واتجهت به ناحية المعبد .

لو عبرت فى ذلك الوقت عن عواطفى فلعل البعض يظن أننى
أفخر وأتعالى ، ففى عمل الخير سرور خاص ، لكن سرورى من نوع
آخر ، كان سرورا مبعثه الانتصار ، فقد انتصرت على نفسى ، فقبل
هذا اليوم ربما لو رأيت أعمى سقط فى الماء ، لنظرت إليه ومضيت
إلى حال سبيلى ، أوقمت بإبلاغ الشرطة ، وخاصة أن القضية قد
تأتى على رأسى ، لكن لم أكن أبدا لأغوص فى الماء ، فهناك خطر
محدد فى كل لحظة ، لكننى كنت مسرورا ؛ لأن عهدا جديدا بدأ
اليوم فى حياتى . .

وصلت إلى المعبد ، وكان جسم العجوز مملوءا بالجروح ، لكن
القلق لم يساورنى أبدا ، فقد كنت قد تدربت فى فترة من فترات
حياتى على الإسعافات الأولية ، وها قد حان الوقت لأجنى ثمار هذا
التدريب ، فتمكنت فى غضون نصف ساعة من علاج الرجل الذى
استرد وعيه . . وبينما أنا كذلك إذا بى أشاهد رجلين قدما إلى المعبد
بحثا عن العجوز الذى نجا من الموت بفضل رعايتى له . . وذهب
العجوز معهما ، امتطيت جوادى وانطلقت ناحية " كجن بور " دون
خوف فقد كنت أشعر بقوة غيبية تعمر قلبى ، سألتى العجوز وهو
يمضى :

- من أنت ؟ يبدو لى أنك راهب !

قلت :

- أنا خادم .

- يبدو أن ملاكا يرفرف فوق رأسك .

- نعم فوق رأسى ظل حورية .

- من هذه الحورية ؟

- إنها تقيم فى القرية السابقة .

- هل هى امرأة ؟

- لا هى بالنسبة لى قديسة .

شارع بطول فرسخين

كرشن تشند

شارع بطول فرسخين

من مجمع المحاكم وحتى كلية الحقوق يمتد شارع بطول فرسخين، على أن أمر به كل يوم، أحيانا مشيا على الأقدام، وأحيانا مكراكباً الدراجة.. على جانبي الشارع صفان من أشجار السيسم التي جفت أغصانها فبدت كأناس أذبلهم الحزن.. لا جمال فيها ولا ظل.. أسراب من النسور فوق جذوعها وأغصانها.

الشارع نظيف، يمضي في خط مستقيم، فيه صلابة كأنها القسوة، أمشي في هذا الشارع باستمرار ودون انقطاع منذ تسع سنوات، لم يحدث أن رأيت فيه حفرة، ولا شق، ولا حتى خدش بسيط، فقد رصف هذا الشارع بدكّه بحجارة شديدة الصلابة، ثم صب عليها نوع من القار له رائحة عجيبة تصيب الإنسان بالغثيان في فصل الصيف.

كم رأيت من شوارع!! شوارع كثيرة، طويلة، واسعة، وشوارع مغطاة بالجرانيت، وشوارع مفروشة بالرمل والحصى الأحمر، شوارع تحفها أشجار السرو، وأشجار البقس.. شوارع.. لكن ما فائدة أن نعدد الأسماء، فربما شاهدت عددا لا يحصى من الشوارع المتشابهة، لكني أعرف هذا الشارع معرفة جيدة، أكثر من معرفتي لأقرب الأصدقاء لدى، أعرفه لتسع سنوات مضت، وهي تسع سنوات متتاليات لا يفصل بينها يوم واحد أو ساعة واحدة أو حتى لحظة، فكل صباح أقوم من بيتي القريب من مجمع المحاكم لأذهب إلى مكتبي القريب من كلية الحقوق، في هذا الشارع الذي

يمتد لفرسخين فقط ، أمضى كل صباح ، وكل مساء من مجمع المحاكم إلى آخر باب فى كلية الحقوق ، أحيانا بالدراجة ، وأحيانا مشيا على الأقدام .

لم يتغير لونه أبدا لم تتغير هيئته أبدا ، وفى صورته نفس الخشونة والبرودة ، كما هى لم تتغير ، وكأنه يقول : لا أبالى بأحد على الإطلاق .. وهذا صحيح .. لماذا يبالى هذا الشارع بأحد ؟ .. يمر عليه كل يوم مئات بل آلاف الناس ، والخيول والمركبات والسيارات تمر عليه جميعا ، وتمضى لا تترك أثرا يذكر ، فلامح سطحه النيلية السمراء كما هى جافة صلبة ، كما هى منذ كانت فى أول يوم حين قام أحد المقاولين المغيرين عليه برصفه وسفلته .

فيم يفكر هذا الشارع ؟ أو لعله لا يفكر .. ماذا رأى عبر السنوات التسع من وقائع وأحداث ؟ وماذا لم يره من مناظر كل يوم وكل لحظة ؟ لكن أحدا لم يره يبتسم أو يبكى ، كما لم تظهر فى سطحه الحجري أبدا أى فجوة أو حتى شرخ .

- أنت .. يا عمى ، ارحم الأعمى ، المحتاج ، الفقير .. المسكين .. أنت يا خالى ، ياسيدى : لله .. أعطنى يسه لله .. ياهوه .. أليس هناك من يعطى شيئا لله ؟!

سيدى : أطفالى الصغار يتضورون جوعا .. أليس هناك من يعطف على هؤلاء اليتامى ؟!

يجلس على جانب من هذا الشارع عشرات ، وعشرات من المتسولين ، بينهم الأعمى ، وبينهم المقعد ، وبينهم من يوجد على

ساقه أو على فخذة جرح خطير ، وبينهم امرأة فى حضنها ثلاثة
أو أربعة أطفال صغار ، يلقي البعض بيسات ، بينما يلقي البعض
بنظرات ومضى ، بينما البعض يسب ويشتم :

- أولاد الحرام .. لا يعملون .. يكتفون بالتسول والاستجداء ؛
عمل ، بطالة ، تسول ..

صبيان ينطلقان على دراجة وهما يضحكان ، عجوز ثرى يجلس
فى عربته (الفيتون) التى تجرها الجياد يتطلع هنا وهناك ، وهو يقتل
شاربيه بإصبعيه ، وإذا بكلب هزيل ضعيف تعركه عجلات العربة
محطمة عظامه ، جرت الدماء قانية ، ولم تفلح نظرات عينية
الحزينة ، ولا صوت عوائه الخافت المؤلم فى جذب انتباه الناس ..

رجل عجوز انحنى فوق حشية ، وهو ينظر إلى تلك المرأة التى
زينت جسدها وهى ترتدى السارى ذا اللون الأسود ، وتتحدث
مبتسمة مع مخدموها ، كانت أطراف السارى المطرزة بالفضة تلمع فى
عيني العجوز النهمة كاشعة القمر ..

... ثم يهدأ الشارع ، ويخيم السكون ، لا أحد سوى
« عربجى » استرخى فى ظل شجرة السيسم ، بينما النور غرقت فى
نعاس فوق الأغصان تحت الشمس .. يأتى ضابط شرطة ، يطلق
صفارته بصوت حاد :

- هيه .. أيها « العربجى » .. لماذا تقف عندك ؟ ماذا تفعل
هناك ؟ ما اسمك ؟ هل أحرر لك مخالفة ؟!

- سيدى .. أولاد « البيه » ذهبوا إلى مركز الشرطة .. سيدى !

- حسنا عفوت عنك .
- كان « العربجي » ينطلق بالعربة « الحنطور » فى الناحية الأخرى من الشارع حين اعترض طريقه أحد الإنجليز ، على رأسه قبعة معوجة ، وفى يده عصا من الخيزران ، والعرق يتصبب على خديه ..
- وقّف .. خذنى إلى منطقة الكامب .
- ثمانى روپيات يا سيدى .
- حسنا حسنا ست روپيات .
- لا ياسيدى ..
- بماذا تهذى أنت ..
- راح يضرب « العربجي » حتى تكسرت الخيزرانة ، ثم حلت المصيبة ، تجمع الناس ، ووصل ضابط الشرطة :
- « يا بن الحرام ! اعتذر لصاحب السيادة !
- راح « العربجي » يمسح دموعه بطرف عمامته المتسخة .. وتفرق الناس .. ثم ساد الصمت والهدوء الشارع مرة أخرى .
- أضاءت مصابيح الكهرباء وسط الضباب الذى غلّف الشارع ، لمحت بالقرب من مجمع المحاكم بعض العمال (الأجراء) بشعور منفوشة ، وملابس وسخة ، انشغلوا بالحديث فيما بينهم :
- يا صاحبي ! اتفقتم على العمل ؟
- نعم تمت المقابلة .
- ربما حصلتم على أجر طيب .
- نعم ..

- ادّخر قليلا من أجل العجوز ..
- سمعت أن الحرب على الأبواب
- متى ستبدأ ؟
- متى ؟ لا أحد يدرى ، لكن نحن الفقراء الذين ننال أذاها .
- من يدرى الفقير من الغنى آنذاك ؟
- كيف حال الصغير ؟!
- حُمى لا تفارقه ، ما العمل ؟ الجيب هنا خال من النقود ، والدواء هناك عند الحكيم .
- إذن اشتغل ، اذهب إلى « الترحيلة » ..
- أفكر .. نعم أفكر .
- كله على الله .
- نعم كله على الله .
- كيف يعيش هؤلاء الناس ؟ ثياب ممزقة ، أقدام حافية ، أرجل أعيابها التعب ، هؤلاء لا يريدون الحرية ، ولا يريدون التخلص مما هم فيه .. يا لها من أمور عجيبة .. المعدة ، الجوع ، المرض ، الروبيات ، دواء الحكيم ، الحرب .. وعمّ ضوء مصابيح الكهرباء الأصفر الشارع .
- امرأتان : إحداهما عجوز والأخرى شابة .. تحمل كل واحدة سلة كبيرة ، تمضيان .. تلهثان كبغلتين منهكتين .. كانت الفتاة الشابة تخطو خطوات أوسع ..

- يا ابنتى ! انتظرى قليلا .
 بدت على وجهها تجاعيد كثيرة ، كانت تمشى ببطء ، كانت
 لهجتها ضعيفة كمن لا حول ولا قوة لها .
 - يا ابنتى .. سأنتظر قليلا .. لقد أعيانى التعب .. يا إلهى !!
 - يا أماه ، أمامنا عمل كثير ، فعلينا أن نعد الطعام بعد أن
 نصل البيت ، عليك تبعات كثيرة يا أماه .
 - حسنا يا ابنتى .. حسنا يا ابنتى .
 وراحت العجوز تهرول خلف الفتاة الشابة بينما الحمل الثقيل يهز
 رجليها فتعثر قدمها .
 كم مرت العجوز من هذا الشارع عبر عشرات السنين وهى تحمل
 هذا الحمل الثقيل ! لم يخفف عنها أحد حملها ، ولم يمهلهما أحد
 لتستريح للحظة ، فهى دائما تمضى .. تهرول ، تصطك ركبناها ،
 وتتعثر قدمها ، فى أحاديدها حزن وغم وجوع ، وقلق
 وعبودية ، عبودية مئات السنين .. !
 ثلاث أو أربع صبايا يرتدين السارى ، مناظرهن مشيرة ومغرية ،
 اكتملت زيتهن بطريقة فاضحة ، أخذن يتحدثن وهن يمشين فى
 خلاعة :

- يا أختاه ، سوف نتزّه اليوم فوق مرتفعات « شمله » .
- يا أختى لنذهب اليوم إلى « حديقة لورنس » .
- أختى .. أختى .. اليوم نذهب إلى « أناركلى » .
- لا .. إلى « ريجل » .

- اخرسن أيتها الحمقاوات .

الشارع اليوم مزين بزينات حمراء ، هنا وهناك علقت الأعلام ،
واصطف رجال الشرطة فى كل مكان ، فهناك رجل كبير ومهم قادم
سيمر من هنا .. على جانبى الشارع ، وقف أطفال المدارس
الصغار، وقد عقدوا فوق رؤوسهم العمامات الزرقاء ، وقفوا فى
صفين على طول الشارع حاملين فى أيديهم أعلاما صغيرة .. ظهرت
قشور تجمعت على الشفاه من أثر العطش ، ولمعت وجوههم من
حرارة الشمس ، وهكذا ظلوا واقفين ساعة فى انتظار الضيف الكبير ..
كلهم الآن صامتون ، كان بعضهم قد جلس فى ظل شجرة ،
فقام الأستاذ ، وأمسك بأذن كل واحد منهم ، أقامه من مجلسه ،
انقرطت عمامة « شفيح » فراح الأستاذ يحملق فيه : يا شفيح ! سوى
عمامتك .. نزل شلوار « ييارى لال » إلى تحت قدميه ، وتدلى
الإزار إلى أن وصل إلى حذائه .. : « ييارى لال » .. ! كم مرة
أفهمتك ؟ !

- يا أستاذ .. ماء .. ماء يا أستاذ !

- من أين أحضر الماء ؟ أظنون أنكم فى بيوتكم ، انتظروا دقيقة
أو دقيقتين ، سوف يحين موعد الانصراف خلال لحظات ..
دقيقتان .. ثلاث دقائق .. نصف ساعة !!

- ياأستاذ ماء ، ماء يا أستاذ !

- يا أستاذ ماء ، ماء يا أستاذ !

- أنا عطشان خالص يا أستاذ !

لكن الأستاذ لا يتبه أبدا لمثل هذه النداءات ، فهو يدور مهرولا
هنا وهناك :

- يا أولاد ! انتبهوا ! انظروا ! لوّحوا بالأعلام هكذا .. إيه ..
أين علمك ؟ اخرج من الصف ، يا ملعون .. ابحث عن العلم ...
الموكب قادم ...

قدمت الدراجات النارية ، صوت الصفارات يمتزج مع صوت
الهتافات ، والأعلام الصغيرة تتحرك بجفاء حركات لا روح فيها ،
مع الهتافات الكثيفة التى تخرج من الحلق الجافة .. ومر الضيف
الكبير من الشارع ، وتنفس التلاميذ الصعداء ، وكأنهم نجوا من
عذاب جهنم ، فانطلقوا يقفزون هنا وهناك ، يكسرون الأعلام وهم
يتصايحون ، فيختلط صياحهم مع صياح الباعة المتجولين :

- هيا ! هيا ! « البليلة » الساخنة .

- تعال ! تذوق الحلوى الفريدة ...

- أقبلوا ! أقبلوا ! على الكفتة والكباب بالخبز الساخن ..

يتعارك أحد الباعة المتجولين مع درويش أطلق شعره حتى وصل
إلى ما تحت كتفيه :

- لكنك قلبت الصينية .. لن أتركك تمضى .. خسرتنى ثلاث
روبيات .. وأنا مسكين فقير .. إن عوضتنى عن هذه الخسارة تركتك
تمضى ..

فى ضوء الصبأء الخافت ، بدأ الكناس يحرك مكنته فوق الشارع ، وقد غطى أنفه وفمه بقطعة من القماش ، شبيهة بتلك التى توضع على وجوه الثيران حين تدور فى الساقية ، كان يمضى وسط التراب والغبار يدفع المكنتة ، بينما عامل البلدية يرش الشارع بالماء ، مستخدما عربة يجرها ثوران ، ظهرت على رقبتيهما جروح غائرة ، كان عامل البلدية يرتعد من شدة البرد ، وهو يحاول أن يدندن بلحن أو أغنية ، وراحت عيون الثورين اللذين يجران عربة الماء تنظر ، تتطلع كم المسافة المتبقية على نهاية الشارع .

على جانب من الشارع جلست « شحاذة » عجوز تصطك أسنانها الوسخة تحت شفتيها ، بينما تتجه عيناها المفتوحتان اللتان فقدتا البصر ناحية السماء :

- لله .. لله .. اعطف على الفقير لله ، ألا يعطف إنسان على أخيه الإنسان .. كان الشارع ساكنا صامتا .. يرى كل هذا ، لكنه لا يحرك ساكنا ، مثل قلب الإنسان هنا ، لا رحمة فيه ولا حس .. متوحش ..

كثيرا ما فكرت ، وأنا فى منتهى الغيظ والغضب ، ماذا سيحدث إذا ما أشعلت فيه فتيل « ديناميت » وفجرتة عن آخره ، سوف أشاهده ، وقد تفتت وتحول إلى قطع صغيرة ، تتعثر فى الفضاء مع صوت انفجار مدوى .. وقتها ربما غمرتني السعادة التى لا يمكن أن أقدر مداها .. وأحيانا أمضى على هذا الطريق كالمجنون ، أو لو مزقت ملابسى ، ورحت أرقص عاريا أصبح وأصرخ أقول :

أنا لست بإنسان ، أنا مجنون ، أنا أكره الناس ، امنحوني
عبودية مستشفى المجانين ، لا أريد أن أنال حرية هذه الشوارع ...
الشارع ساكن صامت .. وفوق الأغصان على الأشجار جلست
النسور وقد غلبها النعاس ..
هذا الشارع بطول فرسخين .

رجل كالمجنون

كرشن تشندر

رجل كالمجنون

كان شريف يجلس مع حبيته نازلى فى منتزه « سادهوداسواتى » الواقع بالقرب من محطة « باندره » وأمام محطة « إسو » للمحروقات، لم تكن هناك أسوار حول المنتزه . . كان الوقت وقت المساء وهناك ظهر شبح شجرتين ضخمتين قديمتين نخرهما السوس فى جانب ، بينما فى الجانب المقابل صف طويل من الأشجار المتزرعة حديثا ، والتي ستكون بعد عشر سنوات مقبلة ساترا يحجب المحبين عن أعين المارة . . وإلى أن يحين ذلك الوقت وأمام جدار الشرفة الكالح السميك الذى تركت عوامل التعرية عليه آثارها الواضحة كانت الأحاديث تُداول والحكايات تُنسج . .

لكن سبب جلوس شريف ونازلى هنا كان سببا آخر ، فبيت نازلى كان يقع أمام هذا المنتزة بالضبط ، وكانت الشرفة المقابلة تبدو ظاهرة تماما من هنا . . الشرفة التى كانت تقف فيها آسية أخت نازلى الصغرى لتمكن من اطلاع نازلى ، وتنبيهها إلى أى خطر يلوح فى الأفق من بعيد . . كانت أم نازلى قد ذهبت لشراء الخضروات من بائعات الجملة اللاتى يفرشن الأرض فى الحارة المقابلة لمحطة « باندره » ؛ وفى المساء تُباع الخضروات بالجملة داخل سلال وأطباق كبيرة ، صُنعت خصيصاً لهذا الغرض وتُباع رخيصة جدا ؛ إذ تكون البائعات فى شوق شديد إلى إفراغ سلالهن وأطباقهن المليئة بالخضروات بأى

ثمن والعودة مبكرا إلى بيوتهن . . ويتم التفاهم بين النسوة على الثمن بعد « فصال » لا يدوم طويلا . . بينما تدور أحاديث أخرى عن المعاناة والمتاعب النفسية ، وهكذا يتم تبادل المشورة بين البائعات والشاريات مشورة وقتية . . وينعقد بينهن رباط محبة دائمة من خلال أحاديث عن البيت وأخرى عن أهل الزوج وعن بيت الوالدين . . أحاديث عن الأولاد والبنات . . يقمن أيضا بوضع الزوج في كفة الميزان جنباً إلى جنب مع « القرع » و « الباذنجان » و « البامية » ، ودائماً ما تكون كفة الزوج خفيفة غير راجحة ، فشراء الرجل أيضاً يُحسب له ألف حساب ! . . ويفتح « الجوال » ، ويوضع فيه الطبق الكبير المليء بالخضار ، وتُلقى النقود ، ويروح كل إلى حال سبيله .

سوق الخضار المسائي هذا هو بلا شك ملتقى اجتماعي ، وهكذا إذا ما ذهبت أم نازلي لشراء الخضار من هذا السوق ؛ فلا يمكن أن تعود قبل ساعة ، وفي طريق عودتها أيضاً تكون دائماً تحت نظر نازلي وشريف ، فهي تأتي من الناحية الشمالية بعد أن تدور على منحى الطريق القادم من ناحية السوق . . عندها تبدو ظاهرة للعيان .

أما والد نازلي فقد كان في ذلك الوقت يشرب « النارجيلة » مع مولوى خير الدين ، ومن هناك سيذهب الصديقان معا إلى ركن الكباب في مطعم « يوبى » ليتذوقا بعض الطعام ، ويتذكرا تلك الأيام حين كانت النساء يتمسكن بالحجاب ، وكان الأولاد لا يدخنون السجائر أمام كبار رجال العائلة ، وكان السكر الأحمر الخمسة أرطال بروية واحدة ، كان الأب أيضاً يسلك طريقاً محددا لا يغيره أبداً ، ولهذا

فسوف يأتى من الناحية اليمنى لشارع « طغلق » ، وكان بيت نازلى فى مرأى النظر من هاتين الناحيتين من اتجاه اليمين ، واتجاه اليسار وحتى من الناحية الأمامية ، لم يكن هناك أى خطر ، فآسية هناك قابضة فى الشرفة ، تتظاهر بأنها غارقة فى تطريز قطعة من القماش .. وهى على كل حال على وشك بلوغ العام الخامس عشر ، وسوف يأتى زمانها أيضا وحيثذ سوف تكلف أختها فوزية البالغة من العمر الآن سبع سنوات بأن تتولى أعمال الحراسة تماما كما تفعل هى الآن .

قالت نازلى وقد غرقت فى عالم من اليأس :

- إلى متى منظر نلتقى هكذا ؟

فرد شريف :

- قولى .. وسوف أبعث برسالة فورا إلى بيتكم !

- أقول .. أقول ماذا ؟ بل ماذا تريدنى أن أقول ؟

- سوف يقال إن الشاب يدرس دورة الإخراج فى معهد السينما وسوف يحصل على الدبلوم وسيصبح مخرجا .

- أبى سيضع إصبعيه فى أذنيه ، ويشدهما قائلا : التوبة يا إلهى إذا ما سمع كلمة فيلم .

- إيه .. نعم ! إنه يشاهد الأفلام أيضا ، هو ومولوى خير الدين وصاحب مطعم « يوبى » معراج ميان ، يذهبون معا فى الخفاء ويشاهدون السينما .. أنت بنفسك أخبرتني بذلك .

- هذا صحيح ؛ قالت نازلى هذه الجملة ثم نظرت إليه وهى تقول : « لكنك لا تكسب شيئا » .

- أقول إنها مسألة سنة واحدة . . انتظري سنة واحدة سوف
أنتهى من دورة الإخراج ، وسوف أصبح مخرجا يكسب خمسة
وعشرين ألف . . نعم .

- « صحيح ؟ » ولملت عينا نازلى بالسروور ، وكأنها ترى اسم
الممثل محمد شريف على لوحة الإعلانات الضخمة .
وفجأة نهضت آسية من الشرفة المقابلة ، وراحت تحرك بشدة
مندبلا أحمر فانتفضت نازلى واقفة وقالت :
- إنى ذاهبة . . أبى قادم .

كانت آسية قد شاهدت أباهما من بعيد ، فالمنديل الأحمر يعنى أن
الأب قادم بينما المنديل الأزرق يعلن إذا ما رفر ف فى الهواء عن
قدوم الأم .

قفزت نازلى وأسرعت تعود من البوابة الغربية ، واندفعت تجرى
إلى بيتها من الشارع الخلفى للمنتزه ، حدث ذلك بسرعة لم تُمكن
شريف من أن يسألها متى يلتقيان مرة أخرى . . حسنا سوف يفكران
فى حيلة ما بعد ذلك ، وبينما راح يفكر فى الأمر ، ويستعد
للنهوض من فوق الأريكة الممتدة تحت الشجرة الضخمة التى نخرها
السوس إذا به يرى فتى نحيفا ضعيفا ، علت وجهه صفرة زعفرانية ،
يجرى مندفعاً داخل المنتزه ، ويتجه ناحيته ، وعلى بعد خطوات قليلة
منه راح يتلوى ، ثم سقط على الأرض فجأة ، واصطكت رأسه بقوة
فى إصيص شتلات نخيل الزينة .

وقف شريف مبهورا لبرهة ، ثم تقدم وانحنى ينظر ناحية الفتى ، كانت عيناه مغمضتين ، بينما علت الصفرة وجتته ، وازرقت شفاته ، وتخشبت يدها إلى جنبه فى اتجاه قدميه . . راح شريف يُعاین بدقة وحذر رأس الفتى الذى فقد وعيه ، لا شك أن رأسه قد اصطدمت بشدة فى الإصيص الفخارى ، لكن لا توجد دماء . . من الواضح أنه لا توجد أيضا علامة مكان ارتطام الرأس بالإصيص . . لكن بدا أن هناك رضوضا داخلية فى رأس هذا الفتى ، جعلته يغيب عن وعيه .

نظر شريف هنا وهناك ، ومن الصدفة العجيبة ألا يوجد فى المنتزة غيره . . كان الطريق من خلف المنتزة يمضى يمينا ويسارا ، أما الطريق الأمامى فكان طريقا مرصوفا يتفرع منه أربعة طرق : طريق يتجه إلى محطة « باندره » ، وآخر يتجه إلى شارع كارتير ، وثالث يمضى ناحية مسجد باندره ، والرابع طريق فرعى يخرج منه طريق آخر خامس توجد فيه إضاءة ، وفيه مظلة صغيرة يقف تحتها شرطيان . . ذهب شريف إلى أحدهما وقال له :

- هناك فتى فى المنتزة سقط مغشيا عليه .

فأجاب الشرطى :

- وماذا عساي أفعل له ؟ الوقت الآن ليل ، وأنت ترى حركة المرور لا يمكننى ترك عملى الآن والذهاب إلى أى مكان .

غرق شريف فى عالم من اليأس وهو يتوسل إلى الشرطى أن ينصحه ماذا يفعل .

- وما علىّ أن أفعل ؟ !

راح الشرطى ينظر إلى وجه شريف الذى علتة براءة عجيبة
وتعاطف غريب .. فقال له بلهجة رقيقة :

- ضعه فى تاكسى واذهب به إلى المستشفى .

نظر شريف هنا وهناك .. لم يجد فى أى ناحية صنبور ماء ،
فقد أراد أن يحمل بعض الماء ، ويرشه على وجه هذا الفتى الذى
غاب عن وعيه ، فلعله بهذه الطريقة يفيق من غشيته .. وأمامه
شاهد محل فاروق ميان « الفكهانى » جنب محل داؤود الذى يبيع
الآثاث ، كان شريف وفاروق فى زمن مضى يدرسان معا فى المدرسة
ثم التحق شريف بالكلية ، بينما فتح فاروق محلا لبيع الفاكهة ،
ويكسب فاروق من هذا المحل على الأقل ألفا وخمسمائة روبية شهريا ..
ملأ شريف من محل فاروق كوبا من عصير البرتقال ومضى إلى
المنزلة .

بدأت الحركة تدب فى جسد الفتى ، فسحبه شريف إلى ظل
شجرة ، ورفع رأس الفتى إلى حضنه ، وراح يقرب العصير إلى
شفتيه بيد ، بينما راحت يده الأخرى تسند رأس الفتى الذى راح
يرشف العصير ببطء شديد وبصعوبة ، ثم راح يستلعه بعد ذلك فى
يسر وسهولة .. وبعد أن أجهز على الكوب فتح عينيه ، كانت عيناه
المخيفتان غائرتين بطريقة عجيبة ، وكانت عظام وجهه تكاد تخرج من
جلده ، وبدا كأنه لم يتناول شيئا منذ عدة أيام .

- كيف حالك الآن ؟

سأله شريف وقد امتلأ قلبه عطفًا وحنانًا على الفتى ، فربما أصيب المسكين بالجنون . . . هكذا فكر شريف ، وظن أنه لو استراح عدة ساعات ، واطمأن لمن حوله فربما فاق وعاد إلى رشده . . وربما يكون هذا الفتى قد غرق لفترة طويلة في قراءة الكتب . . وتتداخلت الأفكار في رأسه . . نادى على سيارة أجرة ، وأخذ الفتى من منطقة باندره إلى بيته الواقع في منطقة « سانتاكروز » .

كان شريف الابن « الحيلة » أو الوحيد لأمه التي تعمل عميدة لإحدى الكليات المتوسطة ، وكانت تعطف على شريف بلا حدود . . فقالت له حين رآته :

- والآن . . من هذا الذى جئت به ؟ !

فانفعل شريف من فوره وقال :

- ألا تشاهدين حاله !! أمى هذا المسكين اصطدم بإصيص من الفخار الصلب ففقد وعيه . . أعدى له السرير ، لابد أن نرقده على السرير . . سوف ينام عدة ساعات ، ولابد أنه سيسترد وعيه ويفيق . هزت الأم رأسها عدة مرات وقد غرقت في عالم من عدم الثقة لا نهاية له ، لكنها كانت على دراية كاملة بطبيعة ابنها ، فأعدت السرير ، وقام قاسم الخادم والأم وشريف ثلاثهم بوضع الفتى على السرير . . ومن ناحية السرير صدرت عن الفتى همهمات :

- غو . . غو . . غو . .

- ما اسمك . . ؟

- اى . . ن اى . . ن اى . . ن .

- من أين جئت ؟

- عان ... عان .. عان ..

تأكد شريف أن ارتطام رأس الشاب بالإصيص قد أصابه
برضوض داخلية فاختل عقله .. مسكين هذا الشاب !
سأله شريف برقة وعطف .

- أين ستذهب ؟

- « الجبهة » .

خرجت الكلمة من فم الفتى الذى رقد وراح ينظر هنا وهناك
بعينين رائغتين ، ثم بدأ يغمغم :
- « نا ... نا ... » .

حاول الفتى أن ينطق بصعوبة ، فقال شريف :
- نار ؟ !

فقالت أم شريف بلهجة حادة :

- نعم ضعوا على جبهته قطعة من النار ، وسوف يفيق ، ويعود
إلى رشده لا محالة .
فقاطعها شريف :

- أماء .. يا أماء لماذا هذا الاستهزاء ؟ أليس للإنسانية قدر
عندك .. هيه ؟

وعاد الفتى يغمغم ثانية : « نا .. نا .. »

فقال شريف : إنه يتذكر شيئاً .. ها هو يستعيد شعوره
ولادراكه .. واستدار ناحية الفتى وقال له :

- « انكوجها » أى منديل الفقير الهندوكى الذى يلفه حول جسمه .. فهز الفتى رأسه بالنفى فقال له شريف :

- « أنكوها » أى الصدى الذى يرتديه الهنادكة .. فهز الفتى رأسه بالنفى ثانية فقالت الأم بلهجة كلها تهكم وسخرية :

- أنكولا .. لعله يريد أن يذهب إلى الجبهة فى أنكولا .. لقد قال قبلا الجبهة ، وكانت الأم على وشك أن تكمل حديثها لولا أنها لمحت نظرات ابنها تقدح بالشرر ، فلزمت الصمت .. ونطق شريف فجأة :

- « أنكور » أى عنب .. فارتسمت ابتسامة على وجه الفتى فسأله شريف بلهجة كلها رقة :

- هل تأكل العنب ؟ !

فhez الفتى رأسه بالإيجاب ، عندئذ أدارت أم شريف وجهها غاضبةً ، لكن شريف لم يكن ليصغى إلا لصوت ضميره ، ففتح « الثلاثجة » ، وأخرج بعض عناقيد العنب ووضعها فى طبق ، وراح يفرطها حبة حبة ، ويضعها فى فم الفتى .. وبعد أن أكل الفتى ما يقرب من كيلو أخذ نفسا عميقا ، وغير من وضعه ، وتمدد نائما على السرير .

بعد ساعتين نهض الفتى من تلقاء نفسه وراح ينظر حواليه وقال :

- من جاء بى إلى هنا ؟

ورأى شريف هذا فسر كثيرا ، فقد عاد هذا المجنون إلى رشده ،
وحكى شريف للشاب الحكاية كلها ، فوضع الفتى يديه على رأسه ،
وراح يضغط عليها قائلا :

- ولهذا ... حتى الآن ... آه ... رأسى تدور ... يجب أن
أرجع إلى بيتى .

- أين بيتك ؟

- فى كليان .

- القطار المحلى يذهب من بمباى إلى كليان ، سوف أرافقك إلى
محطة القطار .

- ونهض الفتى ونزل من على السرير وهو يقول :

- لا .. لا .. سأذهب بنفسى .

ثم وضع يده على جيب قميصه وقال :

- لكن أين محفظتى ؟

- محفظتك ؟ ! سأله شريف : أليست فى جيبك ؟ !

بحث الفتى فى جيوب « بنطلونه » وراح ينظر إلى شريف
بنظرات كلها شك وريبة ، فسأله شريف :

- كم روبية كانت فى محفظتك ؟

فرد الفتى بقدر من التعلم والاضطراب :

- عشرون روبية .

فقدم له شريف عشرين روبية ، وأوصل الفتى إلى محطة
« كهار » ، وكان مسرورا جدا ؛ لأن عقل الفتى المختل أصبح معافى ، ولأن

الفتى راح يتكلم بطريقة سليمة كبقية خلق الله ، وراح شريف يوضح حميد - وهذا هو الاسم الذى ذكره له الفتى - بكل تفصيل أن يركب من محطة « كهار » ليصل بالقطار المحلى إلى « دادر » ، ومنها يأخذ القطار الآخر الذى يوصله إلى « كليان » مباشرة ، ولو أخذ القطار السريع فإن هذا القطار لن يتوقف عند المحطة التى يريدونها . . فهز الفتى رأسه قائلا :

- أعرف أعرف كل شئ . . لقد تذكرت كل شئ الآن .
ودع الفتى شريفا ، وبدلا من أن يتجه إلى « دادر » نزل فى الطريق فى محطة « ماهم » ثم خرج من المحطة ، وراح يدور من مبنى إلى آخر ، ويتحرك من مكان إلى مكان حتى وصل إلى حيث كانت أمه فى انتظاره قلقة مضطربة . . وحين رآته بادرت به بغضب قائلة :
- أين كنت كل هذا الوقت ؟ ! لقد انقضى معظم الليل !!
قال حميد :

- ماذا أفعل يا أمى ؟ ! لقد أمسك بى رجل لا يريد أن يتركنى أبدا . . مرة يسقبنى عصيرا ، ومرة يطعمنى عنبا ، ومرة يطلب منى أن أستريح على سريريه ، وحين أردت أن أعود أعطانى أيضا عشرين روبية . . يا للعجب . . كان رجلا بدا وكأنه مجنون !!
وأخرج حميد من جيبه عشرين روبية قدمها إلى أمه وراح يقهقه بصوت عال !

شجرة الماء

كرشن تشندر

شجرة الماء

حيث تقع قريتنا توجد ، على جانبيها ، سلسلة من الجبال الصخرية الصلبة الكالحة ، وسلسلة الجبال التى تقع ناحية الشرق جبال ملساء تماما ، بداخلها مناجم استخراج الملح الصخرى ، أما سلسلة الجبال الغربية فتنمو عليها أشجار السنط وسط النباتات الأنبوية المتسلقة ، وصخور هذه الجبال سوداء قاتمة ، لكن داخل هذه الصخور السوداء نبعين من الماء العذب . . وبين سلسلتى الجبال وادٍ صغير منخفض تقع عليه قريتنا ، وكأنها نائمة على خشبة داخل كفنها^(١) .

الماء فى قريتنا شحيح جدا ، ومنذ وعيت الحياة ، وجدت سماء قريتى تتلظى وتشيط ، ورأيت الأرض هنا لاهثة ، أنفاسها منهكة ، ورأيت على أيدى ووجوه الكادحين من أهل قريتى بريقا كأنه صادر من مرآة كالحة ، يحمل بداخله علامات الحرمان والحاجة عبر عطش السنين .

وتبدو بيوت قريتنا والأرض التى تحيط بها كالحة ، ضربها الجفاف ، فغطاها لون السواد المائل إلى الحمرة والصفرة ، حتى أعواد الشعير التى ظهرت كان لونها محروقا بل يميل إلى السواد ، وهذا هو حال فلاحي قريتى ، وحال ملابسهم ، فقط النساء فى قريتى قمحيات اللون ، خمريات ؛ لأنهن يجلبن الماء من النبع ، وذكرياتى منذ طفولتى ، ذكريات الماء : ألم الماء ، تبسم الماء ، وجود الماء ، ضياع الماء . . فهو لب إرهابات الفراق ، وتأخير الوصال .

(١) شبه الأديب الوادى بقطعة القماش (تلهتى) التى تفرش تحت كفن الميت الهندوكى ، وللعبارة مغزاها وللتشبيه مغزاه أيضا . .

أذكر حين كنت طفلاً صغيراً ، كنت أداوم على الذهاب مع جدتى إلى المنخفض القريب من القرية ، حيث كانت تغسل الملابس على شاطئ نهر « رفيل » الصغير ، وبينما كانت جدتى تغسل الملابس ، كنت أقوم بمساعدتها بوضع الملابس حتى تجف فوق الرمال الصفراء اللامعة ، على ضفتى النهر الصغير ، كان الماء فى هذا النهر الصغير قليلاً جداً ، فالنهر ضيق ، ويبدو للناظر كخيوط رفيعة يتهادى مثل « بانو » ابنة عمومتنا « بيندا خان » ، كنت أسعد كثيراً ، وأنا ألهو وأفرح مع ذلك النهر ، مثلما ألهو وأمرح مع « بانو » ، كانت ابتسامتها حلوة ، عذبة لا يعرف قدرها إلا من يعمل مثلى فى منجم الملح .

أذكر أن نهرنا « رفيل » كان يفيض بالماء ستة أشهر فقط كل عام ، ويجف ستة أشهر ، فحين ينقضى فصل الربيع ، يبدأ النهر فى الجفاف حتى يجف تماماً مع بداية الصيف ، فيكشف مجراه عن أحجار زرقاء ، صغيرة ، متناثرة هنا وهناك ، أو عن وحل طرى ، إذا مشينا فوقه حسناه بساطاً من حرير ، وخلال أيام قلائل يجف أيضاً الوحل الموجود فى قاع النهر ، فيتحول قاع النهر إلى شبكة من الشقوق والفتحات الدقيقة ، مثل قشور جافة تجمدت على شفاة فلاح كادح . . ويبدو النهر للناظرين كأن رماله الملتهبة ، لم تذق قطرة ماء منذ سنوات عديدة . . أذكر أننى اضطربت وأصابنى قلق شديد ، حين وجدت النهر لأول مرة ، وقد جف هكذا ، ولم أستطع النوم فى تلك الليلة .

فى تلك الليلة أخذتنى جدتى فى حضنها ، وراحت تقص علىّ لفترة طويلة حكايات عجيبة ، وبقيت طوال الليل - فى حضن جدتى - أتذكر الكثير من الأمور المحببة لقلبى ، المتعلقة بنهر « رفيل » ، أتذكر حين كنت أمشى ، أتبختر وأتمايل فوق أحجاره المتحركة ، ثم أمضى بين هذه الأحجار بسرعة ، وأبتعد عنها ، أتفادها ، مثلما تسرع بانو فتميل عند ناحية الحارة ، وهى غاضبة ، وحيث يوجد حجران قريبان من بعضهما أقوم أنا وبانو بجمع الدخن المعلقة على عيدانها ، ونطحنها بالحجرين ، نحيلها إلى دقيق .

كيف لهذا النهر الذى مضى هادئا أن يعود .. جفّ النهر تماما .

بعد أن تذكرت كل هذه الأمور سألت جدتى :

- جدتى ! أين ذهب نهرنا ؟

- اختفى تحت الأرض .

- لماذا ؟

- خوفا من الشمس .

- لماذا ؟ لماذا يخاف الشمس ؟ ! الشمس طيبة جدا .

- الشمس ليست واحدة يابنى ، هناك شمسان : شمس الشتاء ،

وهى طيبة جدا ، وعطوفة أيضا ، وشمس الصيف ، وهى شديدة

الحرارة ، أشعتها ملهبة ، وهى أيضا شمس غاضبة ، وكلتاها تأتيان

كل عام إلى قريتنا بالتناوب ، وطالما وجدت شمس الشتاء ، يظل

نهرنا سعيدا بها مسرورا برفقتها ، لكن حين تأتي شمس الصيف

الظلمة تبدأ فى خلع الملابس عن جسد نهرنا ، فتخلع عنه كل يوم

طبقة من طبقات ملابسه ، وفى آخر أيام الربيع ، يبقى على جسم
النهر رداءً شفاف خفيف من الماء ، وفى تلك الليلة يخجل نهرنا
فيختفى تحت الأرض ، ويتظر شمس الشتاء التى ستأتى له فى العام
التالى بكسوة جديدة من الماء .

أغلقت عيني حياءً وأنا أقول :

- حقا شمس الصيف سيئة جدا .

- هيا يا بنى .. نم .

لكن النوم لم يعرف طريقه إلى ، فعدت أسألها من جديد :

- يا جدتى ! لماذا ماء جبل الملح حول قريتنا مالح ؟ !

فى قريتنا كان الأطفال يتساءلون كثيرا عن الماء ، كان الماء يشير
دائما خيالهم ، ويجول فى أعماق أذهانهم ، فى القرية الأخرى ،
حيث يكسر الماء ، ربما يبحث الأطفال هناك عن جزيرة الذهب ،
أو ربما يبحثون عن طريق الحوريات ، لكن الأطفال فى قريتى
يخرجون - منذ أن يدركوا الحياة - للبحث عن الماء ، فيلعبون لعبة
البحث عن الماء حتى فوق الهضاب والتلال البعيدة ، وقد خرجت أنا
أيضا فى طفولتى للبحث عن الماء ، وفوق جبل الملح اكتشفت
ينبوعين أو ثلاثة ، مياهها عذبة ، لا أزال أذكر هذا حتى اليوم ، كم
كنت سعيداً حين خرجت للبحث عن أول ينبوع ماء ، أتذكر كيف رحت
بيدى المرتعشتين ، أزيح بأصابعى الصغيرة الأحجار للماء المتدفق حتى
يجد طريقه خارجا من بين الصخور .. وحين غرفت من الماء لأول مرة
غرفة بين يدي ، كان الماء يرتعش بين كفتي ، كأنه عصفور وقع حالا ،

بين يدي طفل ، وحين ملأت كفى بالماء وقربتها من لسانى .. أذكر كيف تحول سرورى المرتعش إلى غصة مرّة كأنها علقم .. حين وصل طعم الماء إلى طرف لسانى شعرت كأن عقرباً لدغنى ، وأصاب سمه روحى بالمرارة ، فتففت الماء ، ثم ذهبت لأبحث عن ينبوع جديد ، لكن لم أجد حتى اليوم أى ينبوع للمياه العذبة فوق جبل الملح ، ولهذا حين بدأ النهر يجف ، جعلتنى ذكرى ينابيع المياه العذبة قلقاً مضطرباً ، فسألت جدتى :

- جدتى ! لماذا ماء جبل الملح مالحاً ؟ !

قالت جدتى :

- هذه حكاية أخرى

- احكيها إذن !

- لا .. لا بد أن تنام الآن .

- إذا لم تحكيها سوف أبكى .

- حسناً يا صغيرى .. سأحكيها لك ، لكن لا تصرخ .

- لا .. لن أفعل .

- ولن تقاطعنى أثناء حديثى .

- لا .. لن أقاطعك .

- حسناً .. اسمع ! جبل الملح الذى تراه فى هذه الناحية كان

فى الزمن الغابر امرأة ، هى زوجة ذلك الجبل الذى توجد فيه اليوم ينابيع المياه العذبة .

- ثم ..

- ثم ذات يوم نشبت الحرب بين الجن ، وهذا الجبل الذى أمامنا كان زوجا لتلك المرأة ، اشترك أيضا فى الحرب وخلف من ورائه زوجته ، وطلب منها ألا تذهب إلى أى مكان حتى يرجع إليها ، وألا تكلم أحدا فى غيابه ، وأن تهتم فقط بشئون بيتها .
- حسنا .

- نعم . . ظلت المرأة تنتظر زوجها الجن لعدة سنوات ، لكن زوجها لم يعد من الحرب ، وذات يوم جاء إلى بيتها جنى أبيض ، فهمم بها حبا وصار عاشقا لها .
- ماذا يُقصد بالعاشق ؟
توقفت الجدة وقالت :
- ها أنت تقاطعنى ثانية !!

ففكرت وقلت فى نفسى ، لو غضبت جدتى ، فلن تحكى لى نهاية القصة ، وها هى الحكاية صارت مشوقة ؛ لهذا يجب أن ألتزم الصمت وأسألها فيما بعد عن العاشق ، ولهذا فكرت بسرعة وقلت لجدتى :
- حسنا . . حسنا . . جدتى احكى لى ماذا بعد . . لن أقاطعك ثانية .

بدأت جدتى الحديث بعد أن أظهرت غضبا يدل على أنها لا تريد أن تكمل الجزء المتبقى من الحكاية . . بدأت تقول :
- يا ترى ماذا حدث . . آه . . طلعت زوجة الجبل الغربى خائنة غير وفية ، حين أكد لها الجنى الأبيض - وهو يكذب - أن زوجها الأول مات فى الحرب التى نشبت بين الجن ، قبلت الزواج منه .

- لماذا نشبت الحرب بين الجن ؟ هكذا خرج السؤال من لسانى رغما عنى .

- ها أنت قاطعتنى ، قالت جدتى بغضب شديد : روح ... لن أحكى لك شيئا بعد ذلك .

- لا ياجدتنى .. يا جدتى الطيبة ، حسنا ... الآن لن أقاطعك بتأتا ورحت أتوسل إليها :
- ثم ... ثم .

- ثم فى يوم من الأيام وبعد سنوات وسنوات قدم إلى هذا الوادى جنى عسجور ، كان الزوج الاول لتلك المرأة ، وحين رأى زوجته مع الجنى الأبيض ، استشاط غضبا ، وحمل فأسا ، وقتلها وقتل الجنى الأبيض أيضا ، وبعدها وجد هذان الجبلان بدعاء شيخ طيب ، وتحول هؤلاء إلى صخور ، فمياه الجبل الذى أمامنا عذبة بتأثير المحبة الصادقة ، ومياه الجبل الذى يواجهه مالحة ، وفيه مناجم الملح ؛ لأنه هو المرأة التى تذرف الدموع فى كل وقت على خيانتها لزوجها وعدم وفائها له ، وحين تجف دموعها تتحول إلى ملح يقوم أبوك كل يوم بالحفر فى الجبل لاستخراجها .

- ثم ..

- ثم انتهت الحكاية !

انتهت الحكاية ونسيت السؤال الذى كنت سألته ، ونسيت
الجواب الذى كنت سمعته ، سمعت الحكاية ، وتنهدت براحة
واطمئنان ، واستدرت على فراشى ، ورحت فى نوم عميق ، لكن
منظر منجم الملح كان يتراءى لى ، أمام عيني فى منامى ، حيث كان
أبى يعمل ، حيث سأضطر أنا أيضا للعمل حين أكبر وأصبح شابا ،
حيث ذهبت لأول مرة مع أمى ، وهى تحمل الطعام لأبى .. أوه!!
كم كان منجما كبيرا ضخما ! جوانبه الأربعة .. أطرافه ، أعمدة
الملح بداخله ، كانت هناك مرايا من الملح مثبتة على جدران منجم
الملح ، وفى مكان ما كانت هناك بحيرة من الملح ، جوانبها الأربعة
حيطان زرق ، وكان السقف أيضا من الملح الذى راح يشكل قطرات
تساقط ، حتى كونت بحيرة من الملح ، وفجأة تخيلت أن هذه دموع
تلك المرأة التى تحولت بدعاء الشيخ الطيب إلى جبل من الملح ..
رأى أبى البحيرة وقال : هنا كمية كبيرة من الماء ، ومع هذا لا يوجد
ماء فى أى مكان !! نظل نعمل طوال اليوم فى منجم الملح حتى
تغطى ذرات الملح اللامعة الجسم ثم تتجمع وتبدأ فى التساقط ، فى
ذلك الوقت يشعر الإنسان بالملل والوحشة ، ويتمنى لو أن هناك
بحيرة من الماء العذب فيغطس فيها .

الماء ! الماء !

لم يكن هناك ماء فى أى مكان فى القرية كلها ، لم يكن هناك
ماء أيضا فوق جبل الملح ، لو كان هناك من ماء فهو فوق هذا الجبل
الذى يحمل وفاء المحبة ، أو فى نهر « رفيل » ، لكن هذا النهر سيبقى

غائبا عنا لسته أشهر ، ثم إنه سيفيب ، ذات يوم - على الدوام ،
ومنظل نحدق فى الأقدام اليائسة للنسوة اللواتى يمشين على الأحجار
الزرق والرمال الجافة فى مجراه وعلى شطآنه . . لكن هذه ليست
حكاية طفولتى ، هذه حكاية صباى حين قام راجه أكبر على خان
الذى يمتلك أراض تمتد على مساحة مئات الأميال عن قريتنا ،
بتحويل مجرى نهر « رفيل » ضد رغبة أهل قريتنا ، وذلك حتى
يمضى النهر ناحية أطيانه الزراعية ، وهكذا أصاب بالجفاف والخراب
أراضينا الواقعة عند سفح الجبل ومنطقة كبيرة محيطة بها .

فى ذلك الوقت عم الاضطراب قريتنا وعددا كبيرا من القرى
الواقعة على هذا النهر فى الوادى ، وكان حالها كحال الكثير من
الأطفال الذين أصبحوا يتامى فجأة بعد وفاة أمهاتهم ، وبالمثل
وبالنسبة لنا ، مات نهر « رفيل » وماتت مياهه أيضا ، وترك لنا موته
ذكريات مريرة ، وأذكر أنه فى ذلك الوقت انضم أهل القرية مع أهل
القرى المجاورة ، وقدموا طلبا للحكومة ، ضد ظلم راجه أكبر على
خان ، طالبوا فيه الحكومة باسترداد نهرهم السليب ؛ لأن النهر
مثل « ست البيت » تحمل الماء إلى البيت ، تعمل فى الحقول ،
تغسل ملابسنا ، تنظف أجسامنا ، وأغنيات النهر هى أطفالها ،
تنبعث ترانيمها عذبة لهم ، تربت على صدورهم ، وتهدهدهم وهى
تصحبهم ناحية الأرجوحة فى المغيب .

بدون ماء أمست قريتنا تماما مثل بيت بدون « ربة بيت » ،
وصار حال أهل القرية كحال من اختطفبت ابته من بيته ، نفس
الغم ، نفس الحزن ، نفس الألم ، نفس النظرات ، نفس المصيبة .

لكن راجه أكبر على خان كان أكبر « إقطاعى » فى منطقة « جكوال » ، وكانت علاقته مع مسئولى الحكومة راسخة وقوية ومتينة ، ومقاولات منجم الملح كانت من نصيبه أيضا ، فكانت النتيجة ألا يستعيد أهل القرية نهرهم السليب ، والأدهى من ذلك أن عدداً كبيراً من أهل قريتنا ممن كانوا يعملون فى منجم الملح طردوا من عملهم ، وكان ذنبهم الوحيد أنهم تجرأوا ، وطالبوا باستعادة نهر قريتهم الذى « أُختطف » منهم ، أذكر أنه فى ذلك اليوم عاد أبى إلى البيت وهو يرتعد ، كان لونه مخطوفاً ، وراح يرفع يديه ممسكاً طرف أذنيه مردداً :

- « توبة .. توبة .. أن يصدر عنى مثل هذا الخطأ .. كان هذا كرمًا من عند الله ، لقد نجوت وإلا طردنى أكبر على خان من العمل .. من الآن فصاعداً لن أقدم ثانية طلباً ضد راجه أكبر على خان حتى لو سلبنى ابتى لا الماء .. توبة ! توبة !

وهذا أيضاً صحيح ؛ فشرف الماء فى قريتى أعظم قيمة من شرف البنت ، الماء الذى يعطى الحياة ، الماء الذى يتحول فى الشرايين إلى دماء تجرى ، الماء الذى لا نجده لغسل وجوهنا ، الماء الذى إن لم نجده تحولت ملابسنا إلى ملابس قذرة ، وسخة وامتلاً شعر رأسنا بالقمل ، وتجمدت حبات العرق المالحه على أجسامنا ، وغطى الملح أرواحنا ، هذا الماء أغلى كثيراً من الذهب ، وأجمل كثيراً من حسن أى فتاة .. اسأل عن قدره وقيمته أهل قريتنا الذين قضوا حياتهم فى القتال والشجار من أجل الماء ، ذات مرة حدث شجار بين « سيدة » زوجة سرور خان ، « وعائشة » زوجة أيوب خان حين ذهبتا لإحضار ماء من

النبع عند الجبل المقابل للقرية ، تشاجرتا معاً ، وهما تعيشان فى بيتين متجاورين ، تقضيان معظم وقتهما معاً ، تشاجرتا مع أنهما صديقتان حميمتان ، تعودتا الذهاب إلى النبع معاً ، تقوم الواحدة تملأ جرتها ثم تتبعها الأخرى ، والعكس بالعكس فى المرات التالية ، وتقوم إحداهما بمساعدة الأخرى فى رفع الجرة على رأسها ، ثم تنطلقان معاً تتجاذبان أطراف الحديث فى طريق عودتهما إلى بيتهما ، لكن ماذا جرى ياترى اليوم ؟ ! ما الذى جرى فجعلهما فى سباق معاً : تقول الأولى : سأملأ جرتى أولاً ، فترد الأخرى : لا أنا أولاً .. ربما لا يوجد بينهما خصام ، ربما كان الخلاف بينهما سببه وجود نبع واحد للمياه العذبة ، يذهب إليه الناس ، ويقطعون مشواراً طويلاً لإحضار الماء بعد أن جف النهر .

فى عين الظلام تخرج النسوة حاملات جرارهن ، وحين يصلن إلى النبع يجدن قطارا من النسوة اللاتى سبقنهن ، أو يجدن الماء الذى يخرج من النبع قليلاً جداً كأنه خيط رفيع ينساب داخل الجرة فيستغرق ملؤها نصف ساعة على الأقل ، كما أن مشقة الذهاب والإياب مسافة ثلاثة فراسخ لا تقل عن مشقة يوم القيامة ، ومهما تعددت أسباب الشجار ، إلا أن السبب الاصلى كان الماء .. تأهبت كل منهما للأخرى ، نهشت إحداهما وجه الأخرى ، وحطمت كل منهما جرة صديقتها ، ومزقت ملابسها ، ثم عادتا كل منهما إلى بيتها باكية تتحب ، وقامت سيدة باستشارة سرور خان ، وتولت عائشة إثارة أيوب خان ، واستشاط الزوجان غضبا ، فحمل كل منهما

فأسه ، وخرج من بيته ، وحاول الناس أن يوقفوهما ، إلا أنهما
تقاتلا فقتل كل منهما الآخر بفأسه ، ومع خيوط المساء التى نسجت
على القرية خرجت جنازة الجارين . . لقد تسبب الماء فى وجود
الكثير من القبور فى مقبرة قريتنا .

فى زمان صباى حين قتل هذان الجاران ، كان فى الجبل المقابل
لنا آنذاك نبع ماء عذب ، لكن حين كبرت أُكتشف نبع آخر ، وحكاية
هذا النبع الجديد حكاية عجيبة ، كان ذلك فى وقت أصاب فيه
القحط الشديد منطقتنا بأكملها ، وجفت المياه فى جميع الينابيع
والجداول والأنهار فى المنطقة بسبب الحر الشديد ، ووجدت بقايا مياه
فقط فى الينابيع التى قبعت فى أحضان الجبال حيث لا تصل إليها
أشعة الشمس . . فى تلك الأيام كانت النساء فى بيوتنا يخرجن ليلا ،
يسعين بعد منتصف الليل إلى ينبوع الماء ، وكانت الجرار مرصوصة
فى طابور طويل يصدر من خلاله صدى أنين الأطفال الذين يرتعدون
من حرقة العطش الشديد .

فى ذلك الزمان انحرف عن جادة الطريق كثير من أولئك الناس
الطيبين ، وانصرف الكثير منهم عن طاعة الله ، وكان من أسوأ ما فعله
أحدهم وهو شيخ البلد « ملك خان » أن اتفق مع شيخ الحفر « فضل
على » فوضع نبع الماء تحت إشراف الشرطة ، ثم اتفق مع « مأمور المركز »
غلام نبى ، فاشتري جميع الأراضى المحيطة بالنبع ، ووسط ظلام الليل
البهيم قام بإحاطة النبع بسور منيع ، وضع على بابه قفل كبير ؛

وهكذا لم يكن أحد يستطيع الحصول على الماء بدون إذن أو تصريح ؛ لأن النبع أصبح من ممتلكات شيخ البلد « ملك خان » الذى راح يفرض الإتاوات على حاملات الجرار اللاتى يرغبن فى الحصول على الماء ، الجرة بخمس پيسات ، والجرتان بعشر پيسات .

وهكذا كثر اللفظ ، وحدثت ضجة فى القرية كلها ضد هذا الظلم ، لكن الشرطة والحكومة كانت فى صف « ملك خان » شيخ البلد ، وكان القانون أيضا فى صفه ، وحيث كان القانون كانت المياه أيضا ، ولهذا تجمع شباب وشيوخ وأطفال القرية ، وجاءوا إلى أبى وقالوا :

- « يا عم عطاء الله ! أنت الآن يمكن أن تنقذنا من هذه المصيبة » .

- « كيف ؟ ! » سألهم أبى وقد غلبته الحيرة .

فقال العجوز « حكيم خان » صاحب اللحية البيضاء :

- أذكر أن نبع الماء العذب الذى هو الآن فى حوزة شيخ البلد « ملك خان » ، أنت الذى اكتشفته ، ألا تستطيع البحث عن نبع آخر ؟ ! لابد أن يكون فى صدر هذا الجبل ماء عذب كامن فى موضع ماء ، يمكنه أن يمنحنا « ماء الحياة » يا « عطاء الله » أنت أكفأ الناس بيننا .. شغل عقلك ، ونحن جميعا مستعدون للعمل معك حتى الموت ، فقريتنا ليس فيها ماء ، ولا بد من وجود ماء .

فاعتدل أبى فى جلسته على الأريكة ، ثم وقف وهو يسمى الله ، كانت القرية كلها معه ، وبدأت عملية الصعود إلى الجبل ، والبحث عن الماء ، كم كان صعبا على فرهاد أن يبحث عن الماء فى جبل « كنى » أدركت هذه الحقيقة منذ ذلك اليوم ؛ لأن الماء ليس أمامنا ، إنه مثل « الغول » الضائع فى فجوات الجبل ، الماء مثل البدو الرحل ، يوم هنا ويوم هناك ، الماء مثل الغريب ، ابن السبيل ليس هناك قيمة تذكر لمحبه ، وجود الماء مثل الرائحة الطيبة اللطيفة ، يتلاشى عبيرها تحت حرارة أشعة الشمس الشديدة ، فى منطقتنا هذه حيث النساء مخلصات يلفهن الحياء والخجل ، الماء لم يعد وفيا ، صار أفاقا ، فهو دائما ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، ويدور يتحرك من بلد إلى بلد بدون جوار سفر ، من أجل البحث عن هذا الأفاق نحتاج إلى فأس تضرب فى الأغوار ، نحتاج إلى مرآة ينكشف أمامها قلب الجبل ، وكأنه كتاب مفتوح .. وهكذا اختار أهل القرية أبى لهذا العمل بعد أن فكروا ، وتعقلوا الأمر .

فى ذلك اليوم رحنا نعاين ، ونفحص تربة هذا الجبل ، طوال النهار لم نترك مكانا إلا وبحثنا فيه عن الماء .. وسط أشواك أشجار السدر الكثيفة ، وفى أعماق شقوق الصخور وفرجاتها ، وبين الحطب الجاف الأسود المخيف ، وفى جحور الشعابين ، وبيوت الشعالب ، ومكان وحوش الجبل .. وحفرنا بحثا عن الماء جميع الينابيع القديمة ، لكن حفر هذه الينابيع كان كحفر الإنسان للقبر بحثا عن الحياة .. لا أثر للماء فى أى مكان ، كانت المياه مثل لص خلف وراءه آثارا

خادعة ، فعذبنا خلفه ، ثم غاب واختفى فى مكان ما .. أين يا ترى راحت المياه واختفت ؟ فى أى ركن ؟ وفى أى موضع ؟ وعلى أى عمق قبعَت المياه ثم راحت تضحك وتسخر من محبيها ؟ !

لكن أهل القرية لم يفقدوا الأمل ، راحوا طوال اليوم يمشون خلف أبى ، يرصدون آثار الماء ، وفى النهاية حين حل المساء ، وقف أبى على هضبة عالية وراح يمسح حبات العرق التى تكونت على وجهه ، ويحول بناظره هناك بعيدا حيث كانت الشمس تغرب ، وفجأة وفى ضوء الشمس الغاربة رأى داخل فُرجة عميقة ، فى الصخور قطعة خضراء .

يقولون حيث توجه الخضرة يوجد بالضرورة الماء ، فالخضرة علم لدولة الماء ، والماء أمة تجول هنا وهناك ، وحيث يمضى الماء يحمل معه علمه .

وهكذا صاح أبى صيحة اندفع بعدها تجاه هذه القطعة الخضراء ، وهرب أهل القرية من خلفه ، وراح أبى يحفر الأرض بأظافره بسرعة فائقة ، وبدأ سطح الأرض الذى كان جافا وصلبا فى البداية يلين رويداً رويداً ثم يتحول إلى طين ، وفى النهاية اندفع تيار من الماء إلى أعلى وانطلقت صيحة السرور من مئات الحناجر الجافة :

- ماء .. ماء .. ماء ..

ملاً أبى كفيه بالماء ، ورفع يديه المرتعشتين إلى فمه ، كانت جميع الأنظار تتجه إلى وجه أبى ، ومئات القلوب تدق بعنف وتدعو الله : يا إلهى ندعوك أن تجعل الماء عذبا ، يا إلهى ندعوك أن تجعل الماء عذبا .. وتذوق أبى الماء وصاح بسرور وفرح :

- الماء عذب !! الماء عذب !! الماء حلو !! وصاح أهل القرية
بصوت عال :

- الماء عذب !! الماء حلو !!

وتردد صدى صياح أهل القرية بين جنبات الوادى :

- عذب .. الماء عذب ، وجدنا الماء ، الماء عذب .

وبدأت الطبول تدق فى أرجاء الوادى ، وبدأت النسوة فى الغناء ،
وراح الشباب يتمايلون طربا ، بينما انطلق الأطفال فى صياح مملوء
بالفرح والبهجة ، وبدأ أهل القرية بسرعة يحفرون النبع ، ويملؤون
الجرار ، فقد أصبح النبع بينهم ، وأصبحوا هم من حوله ، يحيطون
به ، يدورون حوله ، ينظرون إليه نظرات ملؤها الحب ، كام تتطلع
إلى وليدها الجديد فى سرور وبهجة .. لن أنسى تلك الليلة أبداً ،
فى تلك الليلة لم يرجع أى فرد إلى القرية ، فقد ظل جميع أهل
القرية يحتفلون من حول النبع ، فى تلك الليلة ، وفى حضن النجوم ،
تحت أشجار السدر ، راحت الأمهات يشعلن النيران ويهدهدن
الأطفال حتى يناموا ، فى تلك الليلة راحت العذارى من قرينتا
يتمالين بالغناء فى نشوة ، غناء عذب جميل مثل مياه النبع ، فيه
حلاوة حفيف أوراق الأشجار البرية ، وانسياب مياه الشلال ، فى
تلك الليلة بدت كل النسوة جميلات ، وبدت كل الأراضى خصبة ،
واخضرت كل الجذور وراحت الحبوب تُبَتُّ .. وتتحرك .. تنمو
سيقانا .. وتمتد جذورا .

مرت قرينتا بتلك الليلة حين خرج أبى عطاء الله للبحث عن الماء ،
الماء الذى كان نتاجا لكفاح يد الإنسان ، وكان نتاجا لمحبة فؤاده ،
الآن جاءنا الماء ، كعروس تبختر ، وهى تزف إلى بيت عريسها ،
ذلك النبع الجديد يمضى بيننا اليوم فى حياء وخجل كعروس تمضى
مرتبكة ، تضع قدمها لأول مرة فى بيت عريسها الذى لم تعرفه من
قبل ! فى تلك الليلة كان فى كفى بعض من ماء ، وفى الكف الآخر
يد « بانو » ، وكانت النجوم تلمع فى السماء .

ارتبطت أحلى ذكريات شبابى مع هذا النبع الجديد ، فعلى حافته
أحببت « بانو » ، التى كان حسننها نادرا كالماء ، والتى كنت أراها
فتطرا على فؤادى أفكار تجعلنى أردد هذه الكلمات : كم من الينابيع
العذبة الكامنة فى حضن هذه الأرض !! آه كم من الذكريات الحلوة
تراكمت . . !! كم كانت الأزهار زاهية فاضحة فى فصل الصيف !!
وكم كانت الأوراق لامعة بلون الذهب الأصفر فى فصل الخريف !!
ثم الثلج الصافى فى فصل الشتاء . . !! كم كان حب « بانو » صامتا
كالماء الذى سيتفجر من تحت الأرض .

كانت تأتى إلى حافة هذا النبع فى ظلمة الليل ، أو قبل طلوع
الفجر ؛ حيث لا يوجد هنا أى إنسان سواى ، كانت ترانى فيضى
وجهها بنور بسمتها تماما مثلما ينطلق شعاع السحر وسط ظلام الليل ،
فتضع جرتها تحت مجرى النبع ، ويبدأ الماء يغازل الجرة بينما أنا
أغازل « بانو » ، ويظل الحديث بيننا لطيفا هادئا حتى نملأ الجرة ،
ونملأ قلوبنا بالسرور ، وقبل أن نمضى يكون الصباح قد قدم إلينا من بعيد

فى تؤدة وتان ، كان هبوب النسيم حمل براعم أزهار اليوسفى ،
والقى بها على الوجوه الناعمة . . فنتبه ونروح نتطلع هنا وهناك فى
حيرة ، ثم أحمل جرتها وأضعها على المنديل الأحمر المعقود فوق
رأسها ، بينما هى تبسم مستديرة لتمضى عابرة المنحدر ، وأظل أنا
أتطلع ناحيتها ، وجاء وقت كانت النسوة الأخريات أيضا يتطلعن إلى
ويبتسمن ، وساعتها تذكرت ذلك اليوم الذى سألت فيه جدتى :
- ماذا يُقصدُ بالعاشق ؟ !

وأذكر أيضا تلك الليلة على حافة ذلك النبع ، حين كنت أعمل
فى المنجم وأعود إلى البيت مرهقا تعباً فأتكؤم كالكرة ، وأنام من
شدة التعب ، أفتح عيني فى الصباح .

بقيت لعدة أيام لم أذهب للقاء « بانو » عند النبع ، لكن لم أكن
قلقا ، فهى تقيم فى البيت المجاور لبيتنا ، فى تلك الأيام قدم ابن
عمها « غضنفر » ، ثم رجع أيضا ، لم تواتنى الفرصة للقاءه ، فقد
كنت عاملا جديدا بالمنجم ، وكان لدى شوق عارم لإجادة عملى
الجديد ، وكل إنسان يعرف أن كل من يذهب إلى منجم الملح يتحول
إلى ملح .

ذات ليلة طلبت منى « بانو » أن ألقاها عند النبع فى الساعة
الثانية بعد منتصف الليل ، فقلت لها :

- إننى تعب ومرهق .

قالت : « لا .. لا .. هذا أمر هام وضرورى .. عليك أن
تأتى » ، وهكذا ذهبت .

كانت الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل ، لم يكن
هناك مخلوق سوانا عند النبع ، سألتها :
- ما الامر ؟ !
فظلت صامته لفترة ، فأعدت السؤال :
- أختاه ! ماذا حدث ؟
قالت :
- أنا ذاهبة تاركة القرية .
فتوقفت دقائق قلبى ، شعرت كأن النبع المتدفق توقف فجأة ،
وخرجت من حلقى حروف كونت كلمة : لماذا ؟
- تم الاتفاق على زواجى .
- مع من ؟
- مع ابن عمى - أنهى الخدمة العسكرية ، إنه فى مدينة
« جكوال » يعمل مديرا فى البلدية هناك .
- آه ! أنت ذاهبة ؟ سألتها بلهجة مريرة .
- نعم .
لفها الصمت ، ولفنى أيضا ، ورحت أفكر هل اقضى عليها
الآن أم أقتلها ليلة زفافها ، وبعد توقف لفترة قصيرة قالت بانو :
سمعت أن فى جكوال مياهها وفيرة ، سمعت أن هناك منخفضا
واسعا يستخرجون منه الماء متى شاءوا .
كان فى صوتها نبرات تدل على السرور ، لعلها كانت تريد أن
تقول شيئا آخر ، لكنها لاحظت علامات الأسى على وجهى فسكت .

اقتربت منها أكثر حتى كدت ألامسها ، وأمسكت بصفيرتى
شعرها ، وتطلعت إلى عينيها بإمعان ، نظرت إلى اللمحة واحدة ثم
أجفلت ، لم يكن فى نظراتها إنكار لمحبتى ، بل كان هناك إقرار
بذلك ، فتركتُ صفائرها ببطء ، وابتعدت عنها ، وبقيت واقفا .

أحسست كأن وفاء المحبة ، وعمق جاذبيتها فى حاجة أيضا إلى
قليل من الماء ، كان فى نظرات بانو المنحنية فى ضعف وذلة هروب
من الشكوى المؤلمة ، وكأنها تقول : إنك تعرف أنه لا يوجد ماء فى
أى مكان فى قريتنا ، أنا لم أستحم هنا منذ شهرين أو أكثر ، إننى
أصحبت أنقر من نفسى ، من جسمى .

وجلست بانو صامته على حافة النبع ، وكنت أستطيع رؤية حلم
المحبة داخل عيونها ، وسط هذه الظلمة الخالكة ، لم تكن المحبة
المنطوية داخل الجسم الذى تنبعث منه رائحة العرق الكريهة ، والخرق
المملوءة بالقمل والبراغيث ، بل كانت المحبة التى ينبعث منها عبير
الجسم الذى طهرته المياه ، والملابس التى نظفتها المياه مع الملابس
الجديدة . . فوجدت نفسى بلا حول ولا قوة . . فانتحيت جانبا .

كانت الساعة الثانية ، فى ظلمة الليل ، بانو وأنا ، كُنَّا صامتين ،
لا ينطق أحدهما بكلمة ، وساد الصمت والسكون ، وكأن الدنيا جميعا
نخلت من كل مخلوق ، صمت جعلنى أشعر كأن الدموع كلها جفَّت
فى المقل .

وراحت « بانو » الجالسة على حافة النبع تملأ ببطء شديد جرتها ،
وراحت المياه تنساب بطيئة كسولة إلى الجرة ، بينما راحت بانو

تنطق ببعض الكلمات ، توجهها تارة إلى الجرة ، وتارة إلى ..
فكلام الماء هو أحلى من كلام الإنسان .
وذهبت بانو .

حين ذهبت بانو تبادرت إلى ذهني حكاية الطفولة ، حين بكى
الحب ، وتحولت الدموع إلى حبات ملح حجرية ، في ذلك الوقت
لم تكن هناك حتى دمة واحدة في عيني ، لكن في قلبي ، تشكلت
حبات ملح حجرية كبيرة ، كان في قلبي منجم ملح ضخيم ، منجم
بأكمله داخل قلبي .. حيطان من ملح ، أعمدة من ملح ، غار من
ملح ، وبحيرة كاملة من الماء المالح ، تتساقط فيها حبات الملح ،
وتشكلت قشرة رقيقة من الملح على قلبي ودماعى وأحاسيسي ،
وصار من المؤكد لي أنني لو خربشت أي موضع من جسمي ،
فستنحدر الدموع وتناسب غزيرة ، ولهذا جلست صامتة دون حراك ،
فلم يكن عندي ماء ، وبانو كانت ذاهبة إلى حيث يوجد الماء .. في
تلك الليلة التي عقد فيها قران « بانو » على « غضنفر » شاهدت
حلمًا عجيبًا ، شاهدت نهرنا « رفيل » السليب وقد عاد إلينا ،
شاهدت ينابيع مياه عذبة تتفجر من جبل الملح ، وفي وسط قرينتنا
وقفت شجرة كبيرة جدا ، كانت الشجرة من أولها إلى آخرها شجرة
ماء ، جذورها ماء ، ثمارها ماء ، ومن غصون هذه الشجرة ومن
أوراقها ينسكب الماء ، يروي أرض قرينتنا البور ، ورأيت الفلاحين
يحرثون الأرض ، والنساء يغسلن الملابس ، وكل المخلوقات تستحم ،
والأطفال يحملون أطواق الورد التي تزين صدورهم ، ويدورون

يرقصون حول شجرة الماء ، و « بانو » ترتدى ملابس نظيفة راهية
الألوان تتعلق بكتفى وتقول :

- ها هي شجرة الماء تنبت فى قريتنا ، والآن لن أتركك ، ولن
أذهب إلى أى مكان .

كانت رؤيا عجيبة جدا ، لكن حين قصصتها على أبى ، راح
يرتعد خوفا وقال :

- أنت لم تقصص هذه الرؤيا على أحد غيرى ؟ !!
فقلت له :

- لا يا أبى ، لكن لماذا خفت هكذا ؟ ما هذه إلا مجرد رؤيا !!
قال :

- نعم رؤيا لكن رؤيا حمراء .
فضحكت وقلت :

- لا يا أبى إن الشجرة التى رأيتها فى رؤياى لم تكن حمراء ،
كان لونها بلون الماء تماما ، كانت هناك قوارير شفافة لامعة من
الزجاج ، مياهها تلمع كضحكات الأطفال الأبرياء ، وتنطلق عالية
كأنها نافورة ، ثم تعود وتسقط على الأرض .
قال :

- مهما يكن فهذا حلم خطير جدا ، لو سمع به رجال الشرطة
أو ذكرته لأحد من الناس ، فسوف يُقبض عليك ، وتساق إلى حيث
ألقوا بعمال المنجم الذين أرادوا استرداد نهر قريتنا ، ولهذا فمن
الأفضل ألا تذكر هذا الحلم لأحد من الناس ، انساه وكأنك لم تر

هذا الحلم أبدا ، لأن إشاعة مثل هذا الحلم لن يكون له أى نتيجة تذكر ، فالنهر الجاف يبقى دائما جافا ، والعطشان يظل دائما عطشا .
لا أزال أذكر - حتى اليوم - الحسرة التى كانت تدور على لسان أبى ، ولا أزال أذكر أيضا أننى بقيت فى البداية صامتا لم أذكر حلمى هذا لأحد ، ولكن بعد مرور عدة أيام رحت فى خوف وهلع أقصص رؤياى تلك فى همس على رفاقى العاملين فى المنجم ، همس لهم بحكايته فى آذانهم ، وحين سمعوا كلامى انفجروا فى الضحك بدلا من أن يسيطر عليهم الخوف ، وحين سألتهم عما يضحكهم قالوا :
- ما الذى يخيفيك إذن ؟ ! هذا حلم طيب ، وقد رآه كل من يعمل هنا فى هذا المنجم .

- أتقولون الصدق ! نفس الحلم ! نفس الشجرة ! شجرة الماء .
- نعم .. نعم .. نفس شجرة الماء فى وسط القرية ، وينبوع الماء البارد العذب فى كل منجم من مناجم الملح .. لا تقلق ، فى يوم من الأيام سيتحقق هذا الحلم .
فى البداية لم أصدق كلامهم ، لكن مع العمل المتواصل جنبا إلى جنب مع زملائى ، بدأت أؤكد أكثر وأكثر من أن حلمنا سوف يتحقق بالضرورة ، وأن الكأس الفارغة لا بد أن تمتلئ ، وأن الملابس الوسخة سوف تغسل وتصبح نظيفة ، وأن القلب الخائف سوف يعمر بالطمأنينة ، وأن الأراضى كلها ، والخرابات والصحراوات سوف تخضر وتنضج .

اعتراف

ذکوة بلگرامی

اعتراف

- ١ -

شعرت أنجم اليوم بإرهاق شديد ، بعد أن أعيثها آلام الصداع ، فكيف لها أن تنجو بنفسها عما هي فيه ، وهي تتقلد وظيفة متواضعة جداً في مجلة أدبية متواضعة ، ينحصر عملها في قراءة القصص القصيرة التافهة التي لا معنى لها ، تحاول تصحيحها وتعديلها أو إلقائها في سلة المهملات ، وهكذا أصابها الضيق والملل ، وهي تعاود مرة بعد مرة قراءة قصص معادة مكررة ، تمضي على وتيرة واحدة ، ولو لم تكن مجبرة على ذلك لما اضطرت لقراءة سطر واحد من مثل هذه القصص .

على كل حال تشعر أنجم اليوم بإرهاق يفوق ما كانت تشعر به كل يوم ، لم تكن طبيعة عملها تمهلها لتناول طعامها أو حتى احتساء فنجان من الشاي ، وحين فرغت من عملها ، كانت الساعة تدق السادسة مساءً .. اتجهت إلى موقف الحافلات التي كانت تعج بالركاب ، حاولت بشكل أو بآخر حشر نفسها في الحافلة التي تقلها إلى وجهتها اليومية ، ووصلت إلى بيتها حين خيم الظلام على كل شيء .

- « وصلت يا ابنتي » سألت الأم بلهجة حنونة .

- « نعم يا أمي ، وصلت .. وأشعر الآن بجوع شديد ، ماذا

طبخت اليوم يا ترى ؟ » .

صمتت الأم .

- « لا .. لا شيء ، ألم تتناولى شيئا فى المكتب ؟ » .
- « أماء .. لم يمهلى العمل لأتناول شيئا ، ثم ماذا عساي أجد فى المكتب لأتناوله ؟ ! » .
- « أوه .. يا لها من مشكلة ؟ ! » .
- « ماذا تقصدين يا أمى ؟ ! » .
- « فى الواقع لم أتمكن من إعداد شيء اليوم » نطقت الأم بهذه الجملة ، وهى تخفض رأسها .
- « ماذا تعنين يا أمى ؟ هل طارت الخمسين روية التى أعطيتك إياها فى الصباح ؟ ! » .
- « نعم يا ابنتى ! أخذها أخوك شاهد ليشتري اللحم فسقطت منه .. قسمتنا ونصيينا .. » .
- « أف ! لماذا لم تطبخى قليلا من العدس ؟ » .
- « طبخت .. لكن القدر سقط من أختك جارية .. على أى حال غيرى ملابسك ، وسوف أعد لك شيئا » .
- « أمى .. لا عليك ، لست جائعة إلى هذا الحد ، قولى لجارية أن تجهز لى فنجانا من الشاى فأنا متعبة ، ورأسى تؤلمنى لشدة » .
- أعدت جارية الشاى ، وقدمته إلى أنجم ، فشربت أنجم الشاى ، مع شريحتين من الخبز ، وكأنها تتجرع السم ، ثم لفت نفسها بالعباءة ، ورقدت فى الفراش ، أرادت أن تظل لفترة خالية الذهن حتى تتمكن من أن تستريح ، إلا أن هذا كان أمرا مستحيلا ، ففى ذهنها تموج أفكار مقلقة : قلق بشأن البيت ، وقلق بشأن مرض الأب ، وقلق بشأن قضايا أخرى عديدة لا حصر لها .. تموج كتيارات عنيفة

داخل رأسها تضرب هنا وهناك ، فلا تتمكنها ولو للحظة من أن يتحرر ذهنها عما بداخله ، فقد قلب مرض الأب نظام البيت رأسا على عقب ، إذ أصيب بالشلل ، وصار الجانب الأيمن من جسده متوقفا تماما عن الحركة ، فأبعد عن العمل . . كانت مسألة علاج الوالد ورعايته تملأ على أحسن وجه ، لكن المشكلات والأعباء المالية تفاهمت ووصلت متهاها .

كانت أنجم هي أكبر من في البيت ، حصلت قبل عام على ماجستير الصحافة ، تليها أختها ميمونة التي كانت تدرس في الصف الثاني بالمدرسة الثانوية ، ثم الأخت الصغرى جارية ومن بعدها شاهد ، كانت جارية تدرس في الصف الإعدادي ، بينما كان شاهد يدرس في الصف السادس الابتدائي .

كان الغلاء المتزايد يكسر وسط أرباب الأسر الغنية ، فما بالناس بهذه الأسرة التي يصل دخلها إلى مادون خط الفقر ، فحين وجدت أنجم بسرعة وظيفة عادية في إحدى المجلات كان ذلك بمثابة الحصول على ثروة ، وهكذا كانت الأسرة تقتات ، وتعيش على العدم في الغالب ، كانت ميمونة تعطي « دروسا خصوصية » لطفلين صغيرين ، بينما تم إعفاء شاهد من المصروفات المدرسية ، وكانت ميمونة تدفع مصروفات مخفضة تصل إلى حد الإعفاء التام أحيانا ، ومع هذا كانت مصاريف أخرى خاصة بالمدارس ، لم يكن دخل الأسرة يكفيها تماما ، وطالما رجعت جارية ، وطالما رجع شاهد إلى البيت ، بعد أن عوقبا في المدرسة ، فيوضح كل منهما قضيته ، إلا أن الأم - التي اعتادت

على ذلك - تجعل أذنا من طين وأخرى من عجين ، أو تسمع من اليمين وتخرج من الشمال ، لم تر الأسرة شكل اللحم منذ مدة طويلة ، ففى معظم الليالى تعيش على المخللات والطرشى ، ومع هذا كانت الأسرة تحاول أن تتماسك ، وتعيش أمام الناس ، كأسرة متوسطة الحال ، لها شخصيتها واعتبارها فى المجتمع من حولها ، كانت الأم المسكينة فى شغل شاغل على بناتها ، فقد بلغت أنجم سن الزواج ، ويجب أن تبحث لها عن ابن الحلال ، لكن الظروف جعلت الجميع مكتوفى الأيدى ..

استراحت أنجم لساعة ثم نهضت ، وقد أعلنت الساعة الثامنة ليلا ؛ فتوجهت مباشرة إلى والدها وسألته عن حاله :

- « أبى ! أراك والحمد لله بخير ، ألا تعوزك حاجة ما ؟

- « لا يا ابنتى .. الحمد لله كل شىء على ما يرام » ، كان الأب دائما صابرا شاكرا قليل الكلام ، وكانت أنجم تعرف جيدا أنه لا يُبين أبدا ، ولا يفصح عن مكنون قلبه ، ومن غرفة الوالد اتجهت أنجم إلى المطبخ حيث كانت ميمونة تعد بعض الفطائر الرقيقة .

- « إيه !! ما المناسبة السعيدة لإعداد هذه الفطائر ؟ » .

سحبت أنجم العجين الخاص بالفطائر وجلست ..

- « أختاه ! لقد دقت أوراق النعناع مع بقية البهارات الخاصة بالفطائر ، مما سيجعلك تتمتعين بنكهة الفطائر اللذيذة ، لقد أسرعنا بإعداد الفطائر خصيصا من أجلك .. خذى تناولى هذه وهى ساخنة » .

- « لا ، اكملى إعداد الفطائر كلها ، ثم نجلس ونأكل معا » .
- « أختاه ! لقد انتهى كل ما لدينا ، انظري صفيحة الدقيق خالية تماما ، ولا يزال فى الشهر يومان ، وبعدهما تسلمين راتبك » .

- « الله هو المالك ، كل شىء يمضى بقدرته » ، هكذا ردت أنجم على أختها ، ثم شاهد رائحة الفطائر ، فقدم إلى المطبخ وهو يزعم :

- « أختاه ! أشعر بجوع شديد » .
- « خلاص .. تم إعداد الفطائر .. اذهب واجلس إلى المائدة » .
جلس الجميع حول المائدة ، وتناولوا الطعام معا ، وشكروا الله وحمدوه ، كان الأب مقلا فى طعامه ليلا ، يقتصر على كوب من الحليب مع قضمتين من الخبز ؛ فشرب الحليب وأطعم الخبز .. وبعد تناول الطعام ، علقت ميمونة قائلة :

- « أختاه ! لمثل هذا الطعام فائدة كبيرة » ..
فسألتها أنجم :

- « ماذا يا ترى ؟ ! »
فقالت ميمونة ضاحكة :

- « لا حاجة لغسيل الاواني والاطباق والملاعق ، كما أننا جميعا نجلس ونأكل فى طبق واحد » .

وانطلقت ميمونة ناحية المطبخ ، فغسلت وعاء أو اثنين ، ورتبت كل شيء ثم أغلقت باب المطبخ ، ثم كان عليها أن تستعد لاختبار الصباح ، فجلست لتستذكر دروسها ، بينما انصرفت أنجم لتساعد شاهد في واجباته المدرسية ، أما جارية فدخلت إلى سريرها ونامت بسرعة كعادتها .

- ٢ -

فى تلك الأيام تقدم لخطبة أنجم شاب مناسب جدا ، فقد كانت أنجم بدورها جميلة ذكية ، مثقفة ومهذبة وعلى خلق ، ورغم أن الأم رضيت تماما بمن تقدم لأبتها إلا أن الظروف الحالية لم تكن تسمح أبدا لأنجم بترك بيت أسرتها ، وهكذا لم تخبر الأم ابنتها عن أمر الشاب الذى تقدم لخطبتها ، وردت من جانبها وبطريقتها على أهل الشاب :

- « إننا نقبل مصاهرتكم لكن بشرط أن تعطينا أنجم راتبها بعد الزواج » .

ولم يقبل أهل الشاب هذا الشرط ، وحين عرفت أنجم عن طريق ميمونة بالأمر غضبت - ولأول مرة - من أمها . . فما ضرورة أن تقول الأم ما قالته ، كان من الواجب أن تقول بوضوح نحن الآن غير مستعدين لمثل هذا الزواج ، وحين أبلغت ميمونة أمها برأى أنجم قالت الأم :

- « أنجم سيفوتها قطار الزواج ، ومن الضروري أن تتزوج ،

ولهذا وضعت هذا الشرط ، ولو قبل أهل الشاب شرطى لكان
أمرا طيبا .

- « لكن يا أماه ! أختى لا ترغب فى الزواج الآن » ، هكذا
أوضحت ميمونة الأمر لأمها ؛ فردت الأم :

- « ماذا عساها تقول المسكينة ، لو كان أبوك صحيحا لما بقيت
أنجم هكذا بدون زواج حتى الآن » .

وفجأة حضرت أنجم ، وكانت قد سمعت كلام الأم .

- « أمى ! من فضلك ! إنك تعقدين الأمور ، وتخلطين الكلام
دون حاجة أو داع ، أرجوك أوقفى الحديث فى هذا الموضوع ، إن فى
بيتنا من المشاكل ما يكفى فلا تزيدنها » .

- « إننى يا ابنتى أود أن أقلل من المشاكل .. » .

- « أمى .. كل شىء سيكون على ما يرام ، فقط اصبرى قليلاً .

- « إننى صابرة يا ابنتى .. لكن الوقت لا ينتظر أحدا » قالت
الأم هذه العبارة ، ونهضت لأداء الصلاة .

- ٣ -

ظهر إعلان عن وظيفة فى إحدى الصحف الكبرى فى المدينة ،
فقدمت أنجم طلبا لشغل هذه الوظيفة ، وكانت قد حاولت من قبل
فى أكثر من مكان ، إلا أنها لم توفق .

كان عليها أن تذهب إلى مكتب الصحيفة لإجراء المقابلة
الشخصية ، فأخذت إجازة من المجلة التى تعمل بها .. قدم العديد

من الفتيات والفتيان لإجراء المقابلة الشخصية ، وحين جاء دورها دخلت غرفة الانتظار ، وهى بين مشاعر الأمل والرجاء ومشاعر اليأس .

كان عدد كبير من حضروا يجلسون فى انتظار إجراء المقابلة الشخصية .. الرجل الجالس أمامهم فى خريف عمره ، ذو طبيعة هادئة ، يجلس بجواره رجل آخر سمين ضخم ، وعلى جانبيهما رجلان آخران ، لم تستطع أنجم أن ترفع عينيها إليهما .. قام هؤلاء جميعا بتوجيه أسئلتهم إليها ، فأجابت أنجم على أسئلتهم بكل ثقة .

- « حسنا .. سوف نطلعك على النتيجة بالبريد » .

نهضت فى صمت .

لم يكن لديها بصيص من أمل ، لكنها فى اليوم الثالث تسلمت خطابا من رجل البريد .. تحركت بداخلها مشاعر عجيبة .. خليط من الحيرة والسرور .. فراحت تقرأ الخطاب الذى وصلها من الجريدة مرة بعد مرة ثم أسرعته إلى أمها :

- « أمى ! أمى ! وقع الاختيار علىّ يا أمى » .

- « إيه ؟ ! أين ؟ ! فى أى وظيفة ؟ ! » .

- « حيث أجريت المقابلة الشخصية .. منذ يومين » .

- « كم ستقاضين من راتب ؟ » سألت الأم مسرورة .

- « لا أدري يا أمى ، هذا ما سأعرفه حين أذهب هناك » .

وتجمع الجميع : ميمونة وجارية وشاهد حول أنجم .. كانوا فى غاية الغبطة والسرور .

- « ما الأمر .. ؟ أخبروني بشيء مما عندكم » صاح الأب من بعيد ، شعرت أنجم بالخجل ، فقد كان يجب عليها أن تذهب أولا إلى أبيها ، هكذا فكرت ، فأبورها المسكين لا يمكنه أن يمشى أو يتحرك ، وهو يحب أنجم جدا لا يعرف مداه غيرها .

- أبى ! أبى ! لقد نجحت فى المقابلة الشخصية .. اختارونى يا أبى لأشغل الوظيفة المعلن عنها .

- أنى سعيد جدا بسماع هذا الخبر ، وفقك الله وأسعدك فى حياتك يا ابنتى « وراح الأب - لفترة - يدعو الله أن يحفظ ابنته ويسعددها .

وظل الجميع فى تلك الليلة سهارى إلى فترة متأخرة من الليل ، وراحت أنجم تعد أخواتها وأخاها بوعود مختلفة ، كان شاهد يعشق لعبة الكريكت ، وعدته بشراء كرة ومضرب ، أما جارية فكانت تمنى « ثوبين » جديدين ، بينما كانت ميمونة بحاجة إلى « صندل » جديد ، فراحت أنجم تسجل طلبات الجميع ، وحين انتصف الليل رقد الجميع - فى سرور - كل فى فراشه .

فى اليوم التالى وصلت أنجم إلى مكتب الجريدة ، فأوصلها الخادم إلى غرفة رئيس التحرير ، وفى كرسى رئيس التحرير كان العجوز الذى رآته يوم المقابلة الشخصية يجلس شاخصا .. نظر إلى أنجم وابتسم :

- « اجلسى يا بنيتى .. مبروك .. لقد وقع الاختيار عليك » .
- « شكرا يا سيدى » .

- « متى يمكنك بدء العمل معنا ؟ » .
- « بعد يومين .. فى الواقع أنا فى حاجة إلى الاطلاع على المجلة التى أعمل بها .. ثم لدى أيضا بعض الأعمال الضرورية تحتاج أن أنجزها » .
- « حسنا .. حسنا ، إذن سوف تستلمين العمل بعد غد ، حيثذ سوف يتم إطلاعك على ظروف العمل وطبيعته » .
- « سيدى هل تخبرنى الآن فى أى مكان وبأى صفة سأعمل هنا ؟ » .
- « بالنسبة لك صفحة الأطفال مناسبة جدا ، سوف تكونين مسئولة عن هذه الصفحة ، وعليك أن تتواجدى هنا من الساعة الثانية عشرة حتى الساعة السابعة مساء ، وسوف تمنحين راتبا شهريا الآن قدره ثلاث آلاف روبية ، وبعدها سيتوقف الأمر على عملك والمكانة التى ستحققينها لنفسك » .
- « حسنا ! حسنا ! يا سيدى .. أنا سعيدة إذ وفقنى الله فوجدت فرصة العمل فى هذا المكان » .
- « إذن ، سوف تأتين بعد غد » .
- « نعم ، إن شاء الله » .
- استأذنت أنجم ونهضت واتجهت من فورها إلى حيث كانت تعمل قبلا ، فكتبت استقالتها وقدمتها لرئيس التحرير ، وشعر العاملون بالمجلة - وهم يعدون على الأصابع - بالأسى والحزن لذهاب أنجم ، فقد استمرت لسنة كاملة تعطى هذه المجلة كل ما تملك من طاقة

وجهد ، وكانت تنال مقابل جهدها وموهبتها ألفا وخمسمائة روبية بالكاد ، ويعرف هذا الأمر جيدا مدير المجلة الأصلع البخيل .

وصلت أنجم ، حسب الموعد ، إلى مكتب الجريدة ، فوجدت خطاب تعيينها جاهزا ، فأخذت الخطاب ، وكتبت استمارة الالتحاق بالعمل ودعاها مدير التحرير إلى غرفته :-

- « تفضلى .. اجلسى هنا قليلاً ، فولدى الآن على وشك أن يصل ، وسوف يقوم بإفهامك طبيعة عملك » .

جلست أنجم صامتة ، بينما انشغل رئيس التحرير فى عمله ، ولم تضطر أنجم إلى الانتظار كثيرا ، فقد انفتح الباب ودخل « معظم على » .

آه .. إنه نفس الشخص الذى طالما شعرت تجاهه بالكراهية أيام الدراسة فى الجامعة ، يقف الآن أمامها فى صورة « محرر صحفى » ، وشعرت من قرارة نفسها ومن أعماق قلبها بالألم ، وتلاشت مشاعر السرور بالحصول على الوظيفة فى لمحة واحدة ، لم تبدو على وجه « معظم على » علامات تدل على السرور أو الفرح ، أو على مشاعر من أى نوع آخر .

- « هذا هو ولدى معظم ، يتولى مسئوليات الجريدة ، وأنا آتى هنا أحيانا » هكذا قدم هاشمى ولده إلى أنجم .

- « ومن اليوم ستعملين تحت إشراف معظم ، وسوف يشرح لك طبيعة عملك » .

- « حاضر .. » نطقت الكلمة بصوت مكتوم .

- « معظم .. خذ أنجم إلى غرفتك ، وتناقشا فى موضوع العمل ، فلدى هنا عمل ضرورى » .
- كان وجه معظم يخلو من أى نوع من المشاعر أو التأثير .
- « تفضلى ! » .

خرج معظم من الغرفة ، فتحركت أنجم وراءه ، تجر قدميها وكأنهما فقدا الإحساس ، كانت حجرة معظم رحبة فسيحة رائعة الأثاث ، جلس معظم على كرسيه ، بينما جلست أنجم على الكرسي المقابل له ، وراحت نظرات معظم الخفية تتفحص وجهها .
- « فيما يتعلق بعملك ، ستولى الأنسة ثريا إفهامك إياه .. بالنسبة لى أود أن أقول لك بعض الأمور : أولها أننى لا أقبل ولا أتحمّل أبدا الكذب أو النفاق ، كما أن التقصير فى العمل أو اللامبالاة أمور تضر بصاحبها .. وثانيها أنه ليس هناك مجال فى الجريدة لمن يعمدون إلى الإجازات دون سبب » وصمت قليلاً .. ثم قال :

- « كنت موجودا أثناء المقابلة الشخصية ، لم أضم صوتى إلى جانبك ، لكن بالصدفة أثر سجلك التعليمى ، ومميزاتك الأخرى على والدى ، وأنا أيضاً اضطررت إلى القول بأنك كنت أعظم خطيئة فى الجامعة ، وأنت كنت تشاركين فى الكتابة فى مجلة الجامعة ، فى الواقع أنا أتجنب دائما قول الكذب ، ونتيجة لصدقى ، وقف والدى فى صفك فوق الاختيار عليك ، على كل حال ، يمكنك أن تذهبي الآن » .

ظلت أنجم من داخلها تود لو « خربشت » وجه هذا الإنسان الأسمر المسمى بمعظم على ، فقد شعرت بالإهانة ، إهانة لا تكاد تفارقها ، فراححت تجر قدميها جرا ، وتمنت لو أنها خرجت من فورها من مكتب الجريدة ، على ألا تعود أبدا إلى هذا المبنى ، لكنها تركت وظيفتها القديمة ، ولا يوجد لديها الآن ما يسد رمقها ، ووجود الأب المصاب بالشلل ، ووجوه ميمونة وجارية وشاهد التي علاها الأمل ، وابتسامة أمها الممزوجة بالطمأنينة والأمان ، بعد سماع خبر استلامها وظيفتها الجديدة ، كل هذا أجبرها على الصمت .

خرجت تجر أقدامها المنهكة من غرفة معظم على ، فقابلتها ابتسامة ثريا المملوءة بالإخلاص ، فكانت مرهما طيب ما بداخلها من جراح ، فنسيت كل شيء ، وبدأت تناقشها فيما يتعلق بالجريدة .

- ٤ -

حين رقدت أنجم على فراشها ليلاً تحاول استجلاب النوم ، ابتعد عنها النوم مئات الأميال ، وظلت جميع الأحداث تتراءى لها كأنها حلم ، تذكرت أيام الجامعة ، كانت قد التحقت بقسم الصحافة ، وكان والدها معافى وبصحة جيدة ، وكانت أمور البيت تمضى على خير وجه .

كانت « شمع » تدرس فى نفس صفها ، جمعتهم صداقة قوية بحكم الزمالة ، كانت شمع فتاة متحررة الفكر ، بل كانت فتاة مستهترة إلى حد ما ، لا تقيم للأمور وزناً ، كما كانت جميلة ، لها وجه تعلوه حمرة تكسبه جمالا ، ذات مرة أثبتت زوبعة لفترة فى القسم بسبب شمع ، كان أحد الطلاب ويدعى « زير » قد كتب

لشع شعطين ، كان زبير يدرس فى قسم الأدب الأردى ، فاثارت شععة روبة . . كان زبير يبدو شابا طائشا أحمق ، وعرف زملاء أنجم وزميلاتها بغير زبير ، ومع هذا كان « معظم » فى صف زبير يدافع عنه . . معظم ذلك الشاب الأسمر الذى كان أمينا لاتحاد الطلبة . . من النظرة الأولى شعرت أنجم بالكراهية والنفور تجاه معظم ، كان الأمر يتعلق بدفاعه عن زبير ، بينما الخطأ ، كل الخطأ يقع على زبير نفسه .

وهكذا بذر معظم على بذور الكراهية فى قلب أنجم ، وقد دار نقاش وعراك لفترة بين أنجم ومعظم على . . قال لها مرة :
- « إذا لم يكن الإنسان على علم بكافة الأمور وجب عليه الصمت . . من ناحية الشكل أنت إنسان معقول ، لكن . . »
- « وأنت من ناحية الشكل بالنسبة لى غير معقول ، لا أدرى من اختارك أمينا لاتحاد الطلبة » اغتاظت أنجم وهى تنطق بما قالت ، ثم تركت المكان ، وذهبت بينما تسمّر معظم على فى مكانه حيران لا يدرى ما يقول .

انتهت مسألة شع ، لكن كلما التقى معظم على بأنجم وجها لوجه ، ظهرت ملامح الكراهية الشديدة ، وعدم الارتياح على وجه كل منهما .

كانت أنجم تشترك فى مسابقة الخطابة ، وفى كل مرة تقع عينها على وجه معظم الأسمر الذى كان يجلس عادة فى المقاعد الأولى ، تشتعل من داخلها حماسا ، وكانت عادة تحصل على كأس المسابقة ،

فتروح تسترق النظر إلى وجه معظم الذى كان يخلو من أى مشاعر أو تأثر ، وكانت هى بدورها إذا ما مرت به لا تعيره أى اهتمام .

لم يكن بينها وبين معظم أى حديث مباشر ، لكن ذات يوم أوقفها معظم وهى ذاهبة إلى محطة « الاتوبيس » وقال لها :

- « إننى أفهمك جيدا . . من أنت . . ؟ ! من فضلك غيرى من طريقتك . . نحن هنا فى جامعة ، هذا ليس فصل لتدريس العشق والغرام . . هل تفهمين ؟ ! » .

نطق هذه العبارات ثم اندفع مبتعدا عنها فى خطوات سريعة ، وتسمرت هى فى مكانها وقد لفتها الحيرة ، ماذا كان يقصد بكلامه هذا ؟ لم تستطع أن تفهم قصده ، لكنها وبعد فترة طويلة ، عرفت أن ركوبها الدراجة النارية مع خالها جواد أثناء عودتها من الجامعة جعل معظم على يسئ الفهم ، وخاصة أن خالها جواد كان يدانيها فى العمر ، وكان يدرس للماجستير فى نفس الجامعة . . وهكذا شعرت بالأسف على تفكير معظم على ، بل شعرت بالغضب الشديد ، ولم تكن بحاجة إلى أن تمسك بكتف كل طالب فى الجامعة وتقول : انظروا إن جوادا طالب الماجستير بقسم اللغة الإنجليزية هو شقيق أمى ، وهو خالى الوحيد وازدادت كرهيتها لمعظم أكثر وأكثر ، ولم تذكر شيئا لأحد عن خالها جواد ، كان جواد شقيق أمها الوحيد ، ذكيا ، وسيما ، وفجأة شاءت إرادة الله أن تخطفه يد المنون ، انتقل جواد إلى الرفيق الأعلى على إثر حادث أليم ، وظلت أنجم لأسابيع لا تستطيع أن تستعيد طبيعتها السابقة ، كان

رفاق معظم ، ولمرات عديدة يشاهدون عيونها الحزينة ، ووجهها الذى علاه الأسى ، فيوجهون إليها عبارات تنذر وسخرية ، وكانت هى بدورها تسمع ما يقال ، فيعتصرها الألم وتتحامل على نفسها ، وتمضى إلى حال سبيلها ، وذات يوم اقترب منها معظم قائلا :

- « آنسة أنجم ؛ آسف جدا .. البقية فى حياتك لموت جواد » .

- وظلت أنجم صامته .. فقال معظم :

- « حمدا لله أنك لم تكونى معه على الدراجة النارية فى ذلك

اليوم المشئوم » .

- ماذا كان يقصد ؟ وماذا كان هدفه من هذا الكلام ؟ .. ردت

عليه أنجم وهى تكتم غيظها :

- « ألدبك أمور أخرى تود قولها ؟ » .

- « لا .. هذا يكفى إذ لا يجب أن نحزن كثيرا هكذا على

الموتى .. » نطق هذه الجملة ، وتركها ومضى إلى حال سبيله .

بعد هذه الحادثة أخذت أنجم على نفسها عهدا ألا تكلم معظم

على الإطلاق ، وقررت إذا ما رآته فى أى منعطف من منعطفات

الحياه أن تغير طريقها .

لكن ها هى الحياة خبأت لها الكثير ، فوضعتها اليوم وجها

لوجه أمام معظم لتعيد لها ذكريات كراهيتها له .

راحت تفكر وتفكر ، وتبتعد بتفكيرها أكثر وأكثر .. انتصف

الليل وغلبها النوم ... فى اليوم التالى شعرت أن جو البيت قد تغير ،

أخوها ، أخواتها فى سرور وحبور ، والأم مطمئنة هادئة البال ،

والأب فرح مبتهج ، ذهبت أنجم لتطمئن على أبيها ، فراح يسمعها كالعادة كلامه اللطيف :

- « إني سعيد حقا يا ابنتي ، لأنك وجدتي الوظيفة التي كنتي ترغبين فيها ، أنا على يقين أنك ستحصلين على مكانة طيبة في الجريدة بما لك من كفاءة وقدرات طيبة ، إنك تعملين الآن مضطرة ، وحتى لو لم يكن الأمر كذلك قبلا ، لكنى مسرور جدا بعملك الجديد ، بل زاد سرورى كثيرا . . . وفقك الله فى حياتك وسدد خطاك فقط تذكرى كلماتى هذه : لا تدعى ذيل الصدق يفلت من يدك أبدا ، يكون النجاح حليفك » .

طأطأت أنجم رأسها وهى تنصت إلى كلمات أبيها الحنون ، كانت تعرف أن أباهما يحبها حبا جما . . ليته لم يكن معاقا ، ملأ الحزن قلبها وهى تنظر إلى أبيها ، لكن الوالد كان شاكرا وصابرا ، لدرجة أنه لم ينطق أبدا بأى شكوى ، بل لم يبد حتى أى نوع من التملل . .

فى اليوم التالى بدأت أنجم عملها . . وبسرعة اعترف الجميع فى الجريدة بكفاءتها فى العمل ، صارت صفحة الأطفال أكثر جاذبية مما كانت عليه قبلا ، كما صارت مملوءة بالمعلومات المفيدة ، وارتفع مستوى النكات ، وصارت أنجم كالأخت الكبرى لجميع الأطفال القراء ، الذين بدأت خطاباتهم تنهال بأعداد كثيرة على الجريدة .

لم تعد لها صلة تذكر بمعظم ، ورغم هذا فقد تصادفه على الأقل مرة أخرى فى اليوم ، كان ما بينهما من حديث يتعلق بالعمل فقط ولا شىء غير هذا .

ذات يوم وصل السيد هاشمى والد معظم إلى الجريدة ، وذلك بعد غياب طويل ، استدعى أنجم التى كانت بدورها تتوق إلى لقائه ، فهو قبل كل شىء الإنسان الذى اعترف بكفاءتها وصلاحتها ، واختارها لهذه الوظيفة . . . وصلت إلى مكتبه ، فقابلها بابتسامة كلها عطف وحنان قائلا :

- « أنجم ! إننى مغتبط جدا ومسرور بعملك وجهدك ، ولو استمر حبك للعمل بهذا الشكل فسيزيد توزيع الجريدة كثيرا . »

- « شكرا يا سيدى . »

- « سمعت أن أكثر الخطابات الواردة للجريدة تصل باسمك ؟ ! » قال هذه العبارة وهو يبتسم ، فردت أنجم بخجل :

- « لا أدرى يا سيدى . . . »

- « على كل حال ، إننى مسرور جدا ، هل هناك أحد فى عائلتك يعمل فى هذا المجال أيضا ؟ »

- « لا يا سيدى . »

- « ماذا يعمل والدك ؟ »

- « إنه مصاب بالشلل ، كان يعمل فى وظيفة حكومية ، وهو الآن راقد فى البيت . »

قالت الجملة الأخيرة وهى توجه أنظارها إلى موضع قدميها .

- « أوه ! يا للأسف . . يا للأسف » قال السيد هاشمى هذه

العبارة بحزن شديد وهو يهز رقبته ثم سألها :

- « هل هناك أخ أكبر ؟ » .

- « لنا أخ يصغرنا جميعا .. أنا أكبر أخوتي ، لى أختان أصغر منى والجميع فى مراحل التعليم » .

ذكرت أنجم كل شىء بالتفصيل حتى تنجو من أى أسئلة أخرى قد يوجهها إليها السيد هاشمى ، الذى صمت قليلاً ، فاستأذنت أنجم وخرجت من غرفته إلى مكتبها .

- ٥ -

سته أشهر مضت منذ تسلمت أنجم عملها الجديد ، تحسنت خلالها الظروف المالية فى البيت ، حصلت ميمونة على شهادة الثانوية العامة ، وتنتظر الآن إجراءات الالتحاق بالكلية ، ووصلت جارية إلى مرحلة الإعدادية ، بينما انتهى شاهد من المرحلة الابتدائية ، تم ترتيب أمور علاج الوالد بطريقة ثابتة ، وراحت الأم توفر بعض النقود .

مضى كل شىء على ما يرام ، رغم أن أنجم لم تكن مطمئنة لأسلوب معظم فى المعاملة ، ومن العجيب أنها لم تجد فرصة ما تسمح لها بالاعتراض على أى تصرف من تصرفاته ، بل أكثر من هذا كان الجميع يمتدحون معظم ويعترفون بصدقه وإخلاصه وجديته فى العمل واستقامته ، لكن قلب أنجم و- منذ اليوم الأول - غير راض عن معظم ، وكان هذا نفسه حال معظم ، الذى لم يتحدث مع أنجم أى حديث غير ضرورى أبداً ، وكان كلامه معها لا تشوبه من قريب أو بعيد لهجة ناعمة أو لهجة تسامح أو عطف .

كان بين أنجم وثريا - التى طالما تغنت بمحاسن أعظم - علاقة صداقة حميمة إلى حد ما ، ولم تكن ثريا تعلم أن بين أنجم ومعظم معرفة سابقة فى الماضى .

ذات مرة قالت ثريا :

- « أنجم ! أنت لم تبدى رأيك أبدا فى معظم ؟ !

- « وهل لهذا ضرورة ما ؟ ! » .

- « ألا تعتقدين أنه إنسان طيب ؟ » .

- « أنا لم أفكر فى أى أمر يتعلق به أبدا » .

- « لكنه فى النهاية رئيسنا فى العمل ، لو فكرنا ... فما الخطأ

فى هذا ؟ » .

- « ليس لدى وقت للكلام الفارغ » .

- « يساورنى شعور أن بينك وبين معظم سوء فهم أو أن هناك

أمرا آخر ، أو ... » .

- « من فضلك يا ثريا ، تحدثى فى موضوع آخر ، لا أريد

التحدث فى مثل هذا الموضوع .. ما علاقتى بمعظم ؟ ولماذا أفكر فيه ؟

اليس لدى أشياء أخرى أفكر فيها ؟ » .

- حيثذ دخل معظم الغرفة ، كان مقطب الجبين ، فقد سمع

حوارهما ، فخاطب أنجم محاولا إخفاء مشاعره :

- « من فضلك ، تفضلى إلى حجرتى ... » .

انطلقت أنجم خلف معظم فى صمت .

- « تفضلى ! اجلسى .. » .

فجلست ..

- « أنا آسف أعذر ، فقد سمعت حواركما ، وإننى أود أن أقول لك شيئا ، كان بيننا قبلا اختلاف فى رأى أو عدم انسجام ، واليوم أيضا ، كما أننى لم أنس الأحداث القديمة ، بل أتذكرها جيدا بكل تفاصيلها .. نعم سررت كثيرا ، وأنا أسمعك تقولين إن الحديث أو التفكير هو بالنسبة لك كلام فارغ ، وأنه لا وقت لديك لمثل هذه الأمور .. حسنا جدا .

- « إننى ذاهبة ... » .

- « يمكنك أن تذهبي .. آه خذى هذا المظروف ، أعطاه لى ابن أختى ، أرسل فيه نكتة لم أطلع عليها ، على كل حال يمكنك أن تنشرها فى عدد يوم الجمعة » .

تسلمت أنجم المظروف الصغير ، ثم خرجت من غرفة معظم ، وأخذت تفكر معظم يكرهنى كراهية شديدة ، ولا يستطيع إخفاء هذه الكراهية ، إنه لم يتحدث معى بعنف ، ولماذا يفعل هذا .. إنه لم ينس بعد مرارة الماضى ، وحالى من حاله أيضا ، لكن لماذا أفكر فيه ؟ أدارت رأسها وانطلقت إلى غرفتها ..

سألته ثريا :

- « خيرا ؟ .. هل طلب منك عملا ما ؟ »

- « لا .. لا شىء بالتحديد ، أعطانى هذا المظروف .. رئيسك ابن أخته أرسل نكتة لتشر فى الجريدة » .

- « أوه .. هذا الأمر فقط ، انشرها فى عدد الجمعة القادم » .

- « نعم .. هذا ما قاله » .

- بعدها انشغلت أنجم بالعمل ، فقد بدأت هذه الأيام إعداد الغاز علمية للأطفال ، وراح الأطفال يشاركون فيها بشوق شديد ، ووصلت الجريدة مئات الحلول للألغاز التي نشرت قبلا ، وجلست أنجم تفحص الإجابات الصحيحة ، عشرة أطفال حصلوا على جوائز عن حلولهم الصحيحة من قبل منذ بدأت أنجم سلسلة الألغاز العلمية ، انشغلت أنجم لرأسها .. وزادت نسبة توزيع الجريدة ، ونالت شهرة كبيرة ، وأعطاهما السيد هاشمي مكافأة خاصة تشجيعا لها .

على كل حال غرقت أنجم في العمل ، ودقت الساعة الثامنة دون أن تدري ، وتذكرت فجأة النكتة التي أعطاهما لها معظم ، لتشرها في عيديد بعد الغد ، ففضت المظروف ، وطالعت النكتة ، ثم فكرت قليلاً ، وألقت بها في سلة المهملات .

- ٦ -

في طبعة يوم الجمعة .. وعلى صفحة الأطفال لم تنشر نكتة جمال ، الذي فتح الجريدة بشوق وهو يحدث نفسه : خالى قال إن النكتة التي أرسلتها ستنشر اليوم ... لكنه لا يرى النكتة فى أى صفحة ، فانطلق من فوره إلى خاله :

- « خالى .. خالى ! النكتة لم تنشر .. » قال هذا وهو يلوى شفته ويقطب جبينه مفتعلا الغضب .

- « كيف يمكن هذا ؟ » قال معظم : « لقد أكدت بنفسى على أنجم » .

بعدها طالع معظم بنفسه صفحة الأطفال ، نشرت نكات عادية
لعدد من الأطفال ، لكن النكتة التي أرسلها معه جمال لم تنشر ، كان
معظم يحمل فى قلبه حبا شديدا لابن أخته هذا ، والسبب هو أن أم
جمال توفيت ، وحين تزوج والد جمال ثانية ، نقل معظم جمالا إلى
بيتهم ، وشعرت الأسرة أن تلبية كل مطلب من مطالب الطفل حتى
ولو كان تافهة بمثابة فرض يجب عليهم القيام به ، ثم إن نشر النكتة
التي أرسلها مجرد رغبة يسهل تليتها .. وهكذا غضب معظم من أنجم
غضبا شديدا ، وراحت الأفكار تعتلج بداخله :

- « لقد أهانتى أنجم ، صحيح أنها تناصبنى العداء ، لكن هذا
لا يعنى أن تعصى أوامرى .. ثم هذا السبب البسيط ؟ ! هذا أمر لا
يصدق ، ولا يحتمل .. » .

فى اليوم التالى استدعى أنجم ، التى حضرت إلى غرفته ، كان
يرتدى حلة كُحلية ، وكان فى تمام هندامه ... راحت أنجم تخاطب
نفسها : « كيف تحول لونه القمحي الأسمر إلى لون داكن ، ومتى
غاب عنه قده النحيل الذى كان يميزه أيام الدراسة الجامعية » ، لقد
اضطرت أن تفكر فيه للحظة .

- « نعم ياسيدى .. » .

- « لقد قلت لك شيئا أول أمس » .

- « لا أتذكر .. » لم تكن تتذكر فعلا أى شيء .

- « نعم .. كيف تتذكرين .. قلت لك كلاما ، وأنت أيضا

ليس عندك وقت للكلام الفارغ .. » .

- « لكن ماذا حدث ؟ أنا عاجزة عن فهم ما تقصد .. » .
- « آتة أنجم ! هذه جبريدتى .. » ، وزادت لهجته حدة وهو يقول : « ابن أختى جمال أرسل مطروفا فيه نكتة ، لماذا لم تنشر فى الجريدة ؟ ! » .
- « آه ! تلك النكتة .. » .
- حيثئذ فهمت أنجم كل شىء .
- « هل يمكن أن تذكرى السبب ؟ » نطق عبارته بلهجة قاطعة .
- « أنا لم أر أنها صالحة للنشر » ردت أنجم دون أدنى اكتراث .
- « ذلك لأنك تريدین معارضة ما أقول .. هية ؟ » .
- « لا .. بل لأن مستوى النكتة هابط » .
- « أهم من المستوى رؤية الفرحة على وجه طفل » .
- « معذرة ! أنا لا يمكن أن أنشر مثل هذه الأشياء التى تفسد الأخلاق ، أخلاق الأطفال ، أو تجعلهم غير مؤدبين » .
- « أربنى النكتة » لم يكن معظم على يقين مما قالت له ..
- غابت أنجم ، وعادت وقد أحضرت الورقة التى كتب فيها جمال النكتة التالية :

قالت مدرسة أطفال للأطفال وهى تشاهد صورة جماعية ، هذه صورة تذكارية ، بعد سنوات حين يشاهد الناس هذه الصورة سيقولون .. انظروا هذا هو عاصف الذى أصبح طبيبا ، وهذا هو عارف الذى أصبح مهندسا ، وهذه وردة التى تدرس فى المدرسة .. .

وحيثئذ قال أحد الأطفال : وهذه هى مدرستنا التى قضت نحبها .. .

قرأ معظم النكتة وسكت ؛ فقالت أنجم :
« كتب جمال نكتة منقولة ، وفيما ينقله الأطفال أشياء ، ولكن
لا أستطيع أن أفهم كيف لطفل من أسرة محترمة أن يهين مدرسته بهذا
الشكل ، وهذا ليس نكتة ياسيد معظم ، هذه لمحة فكرية لامثالنا » .
أنفض معظم ناظريه ..
وخرجت أنجم دون أن تضيف شيئا ..
وراحت أنجم تنفض الغبار عن الصور القديمة ، بينما انغمست
جارية وميمونة فى مشاهدة الصورة واحدة تلو الأخرى ..
حين يتم إخراج الصور التى شاهدوها مئات المرات ؛ فإن الجميع
يجلس لمشاهدة نفس الصور مرة بعد مرة ، كانت أنجم فى زمان
دراستها خطيبة مفوهة ، نالت العديد من الكؤوس فى مسابقات
الخطبة ، ولديها الكثير من الصور لمثل هذه المناسبات ، ولكن الصورة
التى تحمل لديها أجمل ذكرى ، هى تلك التى ألتقطت لها مع خالها
جواد ، وهما يقفان معاً يمسكان بالكأس .. كانت تلك مسابقة
خطابية لها ذكراها ، نال فيها خالها الجائزة الأولى ، بينما نالت هى
الجائزة الثانية ، ثم وقف الاثنان معاً ، والتقطت لهما الصور
التذكارية .. كم كان الخال جواد وسيماً رائعاً ، لكن يد المنون
اختطفته ، رأت أنجم الصورة فاغرورقت عيناها بالدموع .
التقط شاهد الصورة ، وجرى بها إلى أمه ، شاهدت الأم
الصورة فغرقت فى ذكريات الماضى .. كم مر الوقت سريعاً ! يا لها

من أيام .. الذكرى الرابعة لوفاة جواد ، تدعو الأم عادة بعض
القراء لتلاوة القرآن الكريم ، كانت أنجم تعرف هذا .. أخذت الأم
الصورة إلى أنجم وهى تقول :

- « أنجم ! ابتنى ! لعلك تتذكرين .. ستمر أربع سنوات فى
الاسبوع القادم على وفاة خالك جواد » .

- « نعم يا أماء .. أتذكر جيدا » .

- هل ندعو القراء لتلاوة القرآن الكريم ؟ » .

- « سوف أدبر الأمر يا أمى لا تقلقى .. » .

- جمعت أنجم الصور ورتبتها داخل مظروف كبير ، وأخذت
صورة الخال جواد التى تحمل فيها الكأس ووضعتها فى حقيبة يدها ،
الصغيرة ، وفى اليوم التالى قالت لثريا :

- « ثريا ! يوم الأحد القادم سنقرأ القرآن فى ذكرى وفاة خالى ،
يمكنك أن تشاركينا .. »

- « حسنا ! سأحضر ، متى كانت وفاة خالك ؟ » .

- « منذ أربع سنوات » .

- قصت أنجم على ثريا الحكاية كاملة ، وأرتها تلك الصورة التى
كانت وضعتها فى حقيبتها :

- « انظرى يا ثريا ! هذه صورتي مع خالى جواد .. هذه
الصورة التقطت قبل وفاته بشهرين » .

- « أف ! كم كان وسيما خالك !! الذكاء ينط من عينيه ... » .
- « نعم يا ثريا كان طيبا جدا ، ولكنه عاش بيننا لأيام قليلة ثم
راح ... » .

كانت صورة جواد وأنجم فى يد ثريا حين قدم معظم لأمر ما
ووقع نظره على الصورة ، أثناء الحديث ، فتغير وجهه ، ورجع من
حيث أتى ، يسرع الخطى ، ولم تستطع ثريا أن تفهم شيئا ، لكن
أنجم فهمت كل شيء .

- ٨ -

سيطر القلق على معظم على لعدة أيام ، وزاد من قلقه غياب
أنجم ، فلم تحضر إلى الجريدة منذ ثلاثة أيام متواصلة ... وصل
طلبها بشأن الإجازة ، لكن معظم كان فى متهى الغضب والضيق ...
إلى متى تستمر فى إجازتها ، ومرت الأيام الثلاثة بشكل أو بآخر ،
لكن أنجم لم تحضر إلى مكتبها ، وطلبت إجازة لثلاثة أيام أخرى ،
مما أثار حفيظة معظم ، الذى لم ير من اللائق أن يسأل ثريا عن الأمر ،
وثرىا نفسها لم تشأ أن تخبره بشيء ، على كل حال حضرت أنجم
بعد غياب إسبوع كامل ، فاستدعاها معظم من فوره :
- نعم يا سيدى ! » .

- « هذا عمل فى جريدة ، ليس تدريس فى مدرسة حكومية ...
كلما أردت إجازة حصلت عليها ، ألا يوجد من يحاسبك ؟ ! » .
- « لقد طلبت إجازة إضطرارية ... » .

- « اضطرارية ... لهذه المدة الطويلة ، آتسة أنجم هذا كله غير
محتمل ، يجب أن يكون لديك إحساس بالمسئولية » .
- وكان رد أنجم ممثلا فى قوة تحملها ... فسيطرت على غضبها
وهى تقول :

- « ما رأيك ؟ أليس لدى إحساس بالمسئولية ؟ »
- « من لديهم إحساس بالمسئولية لا يأخذون مثل هذه الإجازة
الطويلة » .

- « إنك تريد أن تقول شيئا آخر ... » .
- « لا ... لا أريد أن أقول لك شيئا ... من فضلك اذهبى من
هنا ... » ، نطق بهذه الجملة بعد أن سمع كلام أنجم الذى قالته
بلهجة مريرة ...

استدارت أنجم وفتحت الباب بقوة ؛ فصدر صوت طرقة
شديدة ... وخرجت ... راحت ثريا توجه لها العديد من الأسئلة ،
لكنها لم ترد عليها ، وفتحت درج طاولتها وأخرجت ورقة كتبت فيها
استقالتها ، ثم وضعت الورقة على طاولة معظم وعادت إلى بيتها ...
- ٩ -

قرأ معظم الاستقالة ، فقطب جبينه ، لم يصبه ذهابها بأى غم ،
ولم تبدو عليه ملامح التأثر ، فقط كان قلقا على صفحة الأطفال ،
من سيتولى تحريرها فى الوقت الحالى ، بالإضافة إلى أن الوالد
سيغضب غضبا شديدا لما حدث ، فهو من المؤيدين بشدة لأنجم ،
ورغم كل هذا ، فقد كان معظم غاضبا بشدة من أنجم ، فبالإضافة

إلى غيابها طوال الفترة السابقة ، راحت تحدثه بأسلوب ساخر ،
ويتسهم ، فأعادت إليه مرارة الماضى بكل صوره وأشكاله ، وفى
مقدمة هذه الصور « صورة جواد » ...

سيطر القلق على ثريا بعد ذهاب أنجم المفاجئ ، فلم تفهم شيئا
مما حدث ، فانطلقت مباشرة إلى غرفة معظم ...
- « سيدى ! أين ذهبت أنجم ؟ لقد خرجت دون أن تذكر لى
شيئا ... ؟ » .

- كان معظم فى قمة غضبه :

- « قدمت استقالتها » .

- « استقاله ! لكن لماذا ياسيدى ؟ » دهشت ثريا .

- « سألتها عن غيابها ... وصل الأمر إلى مداه ... إنه استهتار
حصلت فى الأيام السابقة على إجازة مرتين ، ثم غابت الآن لمدة
أسبوع ، نحن فى جريدة ، لسنا فى ملعب كرة ، أليس كذلك ؟ !
إذا لم تتحمل المسئولية ، وأخذ الأمور على محمل الجد ، فإن تركها
للعمل أفضل من بقائها فيه » .

- راحت ثريا تفرك أصابع يديها :

- « سيدى ... إن ما حدث أمر سيئ للغاية » .

- « إن العمل لا يتوقف بذهاب أحد يا آنسة ثريا ، تسلمى
مؤقتا صفحة الأطفال ، وسوف أتدبر الأمر سريعا » .

- « لم أقصد الجريدة ، لكن يا سيدى أفكر فى أنجم » نطقت
ثرىا بالجملة الأخيرة فى هدوء ، وضغطت على كل كلمة قالتها .

- « ماذا ؟ » سألتها معظم ممتعضا ، لأنه لم يفهم ما قالت ثريا .
- « سيدى ... قبل أسبوعين أخذت أنجم إجازة ليومين ، وكان السبب ذكرى وفاة خالها ، والإجازة فى المرة الثانية بسبب مرضها هى نفسها ... » .
- « انظرى يا آنسة ثريا ! ذكرى وفاة الأخوال والأجداد تمر على مدار السنة فى كل بيت ، هذا لا يعنى تعطيل العمل فى المكاتب بالحصول على إجازات » .
- « سيدى أنت لا تدري ؛ كان جواد يرحمه الله خالها الوحيد ، ثم أنه مات فى عز شبابه ، سأخبرك بكل شىء بل سأريك صورته ، أنظرها هى بالصدفة فى حقيبة يدى ، نسيت أن أعيدها لأنجم ... »
- أخرجت ثريا الصورة التى التقطت لأنجم مع خالها جواد وهما يحملان الكأس فى فرح ومرور ... حمله معظم فى الصورة وتملكته الحيرة ...
- « هذا ... جواد ... خال أنجم !؟ » قال هذا وقد غرق فى التفكير ، وكأنه يعود بنفسه إلى الماضى البعيد ...
- « نعم يا سيدى ... هل تعرفه ؟ » .
- « معرفة سطحية ... » .
- بدأت رأس معظم تدور ، ومر على ذهنه شريط الذكريات ...
- ذكريات الماضى ... ثم خرج من ذهنه أيضا ، فقال بلهجة متقطعة :
- « ولعلك تعرفين أيضا لماذا أخذت أنجم إجازة هذا الأسبوع ؟ »

- « نعم يا سيدى » .
- « أخبرينى ... » .
- « لقد أنتقل والدها إلى الرفيق الأعلى » .
- « آه ! يا للأسف ! لماذا لم تخبرينى بالأمر ؟ ! » .
- « منعتنى أنجم ... لا ترغب أن تضيع شيئا يتعلق بآلامها وحزنها وأسائها ... يا سيدى إنها فتاة محطمة من الداخل ، فهى لم تكد تنسى أحزان وفاة خالها ، حتى مات أبوها ... » .
لزم معظم الصمت التام ، وراحت أصابعه ترسم خطوطا على الطاولة ...

- « سيدى ! أرجوك أن تستدعى أنجم »
لم يرد معظم ... فتركته ثريا وخرجت .

- ١٠ -

غضبت أنجم غضبا شديدا ، وشعرت بكراهية شديدة لمعظم ، لم تتألم أبدا بتركها لوظيفتها فى الجريدة ، بل شعرت كأن عبئا ثقيلا انزاح من فوق رأسها ، فبعد وفاة والدها ، تغير شكل الأعباء والمسئوليات المنوطة بها ، وكان عليها على ضوء مسئولياتها الجديدة أن تستعد لمواجهة المصاعب والمتاعب بطريقة عملية ، وأهمها المصاعب المالية ، خططت مع نفسها ... لكن تنفيذ ما خططته يحتاج إلى وقت ، وهو ما كانت تفتقده دائما ، لكن الآن لديها الوقت ، وهى تريد أن توفر دخلا معقولا وثابتا يكفى لأمها وأختها وأخيها الصغير ...

وصلت إلى البيت فوجدت الصمت يطبق عليه كالعادة ، فقد
أسكت موت الأب جميع من فى البيت وأصابهم بما يشبه البكم ،
ذهلت الأم وسألت أنجم :

- « كيف جئت اليوم مبكرا ؟ ! » .

- « تركت الوظيفة يا أمى ... » .

أضطربت الأم :

- « لكن يا أبتى ؟ ! »

- « لا تقلقى يا أمى ! لقد فكرت فى حل جميع القضايا ...
ميمونة ... جارية ... شاهد ... تعالوا هنا ، الأمر سيستقيم بعد أخذ
رأى ومشورة الجميع » .

حضرُوا جميعا والتفوا حولها ...

قالت أنجم :

- « يا أمى ! إن أكبر مشكلة تواجهنا هى مشكلة « الفلوس » ،
النفقات كما تعلمين تزداد يوما بعد يوم ، وشاهد لا بد أن ينال قسطا
وافرا من التعليم ، ولا يزال الجميع فى عمر الزهور ، لا بد أن نفكر
فى ميمونة وجارية ، وكل هذا لا يمكن أن يتحقق بدون فلوس » .

فردت الأم وهى فى حيرة شديدة :

- « فى أى شىء فكرت إذن ؟ ! »

- « أماه ! لا تتعصبى ، انظروا جميعا إلى الأمور بعين الحقيقة ،
بيتنا يحتوى على ثلاث غرف نوم ، ويمكن أن يُباع اليوم بمليون وربع
أو مليون ونصف ، ومن ثم يمكننا أن نشترى شقة طيبة ثلاث غرف

نوم بنصف مليون أو أكثر قليلاً ، ثم نستثمر المبلغ المتبقى ، فيكون لدينا مصدر دخل معقول ، لقد فكرت كثيرا واتخذت هذا القرار .

- قال شاهد فرحا مسرورا :

- « صحيح يا أختى سنوفر هذا المبلغ ؟ !

- قاطعته الأم موجهة حديثها إلى أنجم :

- « يا ابنتى ! استشيرى بعض الناس فى الأمر .

- « لا يا أمى ... لسنا بحاجة لاستشارة أحد ، سوف نحل

مشاكلنا بأنفسنا ، سيقول الآخرون لا تبيعوا البيت ، عيشوا حياة

الحرمان طوال حياتكم ... تحملوا المصائب والمصاعب ... يا أماء إن

الآراء التافهة موجودة لدى كثير من الناس ... من سيقوم بمساعدتنا

مساعدة عملية ؟ ! الكلام التافه سهل ... يا أمى إلى متى نعانى

ونقاسى ، يا أمى إلى متى يتلهف أخى الصغير وتلهف أخواتى على

الحصول على ما يرغبون من أشياء بسيطة ؟ !

- « كيف سيتم هذا ؟ !

- « سوف أدير كل شئ ، سوف أتحدث مع أحد المسئولين

بالمكتب العقارى ، وسوف أنشر إعلانا ، فالآن لدى وقت كاف لعمل

كل هذه الأشياء ، وبعدها سوف أبحث عن وظيفة مناسبة .

وافق الجميع على رأى أنجم ، كان لحديثها وزن لدى الجميع ،

وهكذا نفذت ما خططت له تماما ، فبيع البيت بثمن طيب ، ووجدوا

شقة فسيحة جميلة ، فرشوها بأثاث جيد ، استثمروا بقية المبلغ فى

إحدى الشركات ، ليدر عليهم دخلا شهرياً معقولاً ، كل هذا تم فى حوالى شهر أو أكثر قليلاً ، لكن الأمور كلها الآن على ما يرام ، كانت ميونة وجارية ومعهما شاهد فى غاية السرور ، بيت جديد ، فرش جديد ، أثاث جديد ، ورغم أن موت الأب كان يخيم على الوجه ، إلا أن أنجم منحت الجميع راحة ذهنية كاملة .

- اطمأنت الأم من أعماقها ، لم تكن على يقين من أن الأمور ستمضى هكذا ، ولم تعد بحاجة لأن تمد يدها لأحد طلباً للمال ...
- « أنجم يا ابتى ... أنا لا أصدق حتى الآن أننا نجلس فى بيتنا ، ونحصل على ستة آلاف روية شهرياً ، كمل أن بيتنا هذا جميل ومريح ... » .

- « أمى ! الناس يشترى متاعبهم بأنفسهم ، لقد شاهدت كثيراً من الأسر ، يعانون المتاعب طوال حياتهم ، أولادهم يتألمون من أجل الحصول على قروش بسيطة ، ورغم هذا يستمر هؤلاء فى شراء قطع من الأراضي واحدة بعد الأخرى ، ويبوت هؤلاء الناس تعانى دائماً من المشكلات المالية ... صحيح لابد للإنسان أن ، يبنى بيتاً ليقيم فيه ، لكن التضيق على الأولاد لمجرد « تحویش » ممتلكات هنا وهناك ليس من العقل فى شيء ... انظري إلى صديقتك الخالة عارفة ! » .

- « نعم ... نعم ذكرتيني !! عارفة لم تزرني منذ أيام طويلة ! »
- « المسكينة فى مأزق ، قلقه ، مضطربة ، وفى هذه الأيام يتقاعد زوجها » .

- « نعم .. صحيح إن قلة الدخل معناه القلق والاضطراب » .
- يا أمى ، إن عندهم بالإضافة إلى بيتهم الخاص ثلاث قطع من الأرض كل واحدة كذا فدان ، فلو أرادوا ، باعوا قطعة واحدة واستثمروا ثمنها وحصلوا على دخل معقول ، ماذا سيفعلون بقطع الأرض هذه ؟ ! » .

- « صحيح ما تقولين » صدقت الأم على ما قالته أنجم .
وبينما كانت أنجم تتحدث مع أمها أعدت أختها الشاى وجاءت به ، فبادرتها أنجم قائلة :

- « ياه ! ما هذا النشاط ؟ ! إنك تستحقين جائزة » .

رشت الأم رشفة وقالت :

- « شاى لذيذ جدا ! » .

ف قالت أنجم :

- « أمى ! نكهة الشاى تتغير بتغير نوعية الفنجان ، لعلك لا تصدقين ، إن تناول الشاى فى فنجان جميل يجعل طعم الشاى الذى ردت الأم :

- « هذا صحيح » .

واستمر الجميع يتبادلون الأحاديث ، ثم انصرفوا كل إلى عمله ...

- ١١ -

ظنت أنجم أن استقالتها ستترك رد فعل ، على الأقل سيحاول السيد هاشمى الاستفسار عن سبب الاستقالة ، وسيسعى لإعادتها ،

لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، ولم يحاول أحد من الجريدة الاتصال بها حتى إن ثريا نفسها لم تأت لزيارتها بالبيت ، لم يكن في بيتها هاتف يمكنها من محادثة ثريا ، ثم إنها انشغلت لترجمة أنها لم تجد فرصة للتفكير في أحد ، لكن الآن بعد أن استقرت الأمور ، كما تهوى وترغب ، راحت تفكر ثانية في معظم وجريدته ... فعلت خيراً بترك تلك الوظيفة ، يا لهم من أناس لا إحساس ولا شعور عندهم ، لم يأل أحدهم جهداً ، ولم يكلف أحدهم خاطره ليسان عني ... وكانت غاضبة أكثر من موقف ثريا ، فلو أرادت لقدمت لزيارتها في البيت ، فقد تركت عنوانها الجديد في بيتها القديم .

كانت النجم في تلك الأيام تخرج للتسوق مع ميمونة ، واليوم التقت فجأة في السوق بشمع وأختر ، صديقة شمع ، شعرت النجم بسرور بالغ إذ تلتقى بهما بعد مدة طويلة ، كانت شمع قد تزوجت ، وتقيم بالقرب من شقة النجم ، وسألت شمع عن عنوان النجم ووعدتها بالزيارة ... وسرعان ما وفت بوعدتها في اليوم التالي وجاءت لزيارتها ، ورغم أن الصداقة لم تجمع بين النجم وشمع إلا أن زمالة الدراسة ورمالة فصل واحد ، جعلتا للقاءاتهن فرحة ، وقد جاءت شمع معها بصديقتها أختر ، حتى تحلوا بالجلسة ، ويحلوا الكلام ، ويتجاذبن جميعاً أطراف حديث الذكريات .

أثرن معاً ذكريات أيام الدراسة بالجامعة ، وتذكرن قصة «زبير» فانفجرت شمع وصديقتها في ضحك متواصل ، قالت أختر :-
- «كان شاباً أحمق ، استغفلته شمع كثيراً» .

- « ماذا يعنى هذا ؟ » سألت أنجم فجأة .
- « ما لنا ولهذا ... انسيه ... انسى هذا الأمر ، كان هذا زمن خفة العقل » ردت شمع مبتسمة .
- « فأصرت أنجم :
- « بالله ! أخبرانى ما الأمر ؟ » .
- فقلت أختر :

- « الحقيقة أن شمعا كانت تستغفل زبير ، كانت تجد لذة فى إثارة حتى يبدو وكأن عقله قد خفّ ، وجن جنونه ، كانت تروح وتجيء أمامه ، وكانت تشير بلفتاتها ، كان هذا الخطاب الطويل المملوء بالحب واللوعة ، وأرسله إلى شمع ، وبالصدفة عرفت بعض الفتيات بالأمر ، فاضطرت شمع إلى الدفاع عن نفسها وتغطية موقفها ، فأثارت الضجة التى حدثت ، وهكذا أصبح زبير المسكين البرئ الذى لا ذنب له فى موقف المتهم » .

سمعت أنجم الحكاية بالتفصيل ، وسكتت ، وتذكرت كلمات معظم .

- « إذا لم يكن الإنسان على معرفة بحقيقة الأمور ؛ فيجب عليه - على الأقل - أن يظل صامتا »

فى الواقع لم تكن أنجم تدرى حقيقة الأمر ، وراحت تناقش معظم ، وتتعارك معه ، دون وجه حق ، واتهمته بالسوء ...

غادرت شمع وأختر بعد فترة ، وتركنا أنجم غارقة فى عالم من الأفكار ... لم يكن معظم ذلك الإنسان الذى ظنته ، ثم إنها لم

تستطع أن تظهر له جانب اللين فى أى وقت من الأوقات ، لم تنس أيضا سلوك معظم معها فى مكتب الجريدة ، كما أنها لا تريد أن تنسى ذلك ، فى تلك الأيام كانت مشغولة عن التفكير فى أمورها الخاصة بالبحث عن وظيفة ... وإذا بشريا تأتى فجأة لزيارتها ... تعانقتا ... وتبادلتا العتاب والشكوى ...

- « ها قد جئت ؛ لهذا يجب أن ينتهى غضبك » .
- « لكن لماذا القطيعة كل هذه الأيام » .
- « كنت مشغولة ... جاء أخى من أمريكا ... نعيم » .
- « حسنا هذا هو السبب ، كان عليك أن تخبرينى على الأقل ... ذهب نعيم ؟ ! » .
- « رجع بعد أسبوعين ، واليوم جئت فى خدمة ! » .
- « قولى ... تكلمى ... »
- « فى الحقيقة نحن نريد أن نزوج نعيم »
- « لكن الآن ؟ نعيم أصغر منك ! » .
- « نعم أصغر منى بسنة ... ما شاء الله يتقلد وظيفة طيبة ، هذا بينى وبينك ، لا تخبرى أحدا ، إن عمرى ليس صغيرا كما أبدو... » .
- « حسنا ... من هى بنت الحلال هذه التى سيتزوجها نعيم ؟ »
- « أنا فى الحقيقة جئت وفى ذهنى ميمونة ... أمى طلبت منى الحصول على موافقتكم ، على أن تأتى هى فيما بعد » .
- « ياه ... ميمونة ... ميمونة لا تزال تدرس ، ثم بهذه السرعة ؟ » .

- « كل شيء ممكن ... يمكن لميمونة أن تكمل دراستها في أمريكا ، ناقش الأمر مع أمك ... » .

فوجئت الأم بهذا الأمر ، ومع ذلك تم الزواج ، تزوجت ميمونة من نعيم ، كانت الأم تتمنى أن تتزوج أنجم أولا ، إلا أن أنجم عارضت كلام أمها بشدة ، وأمامها مثال واضح جدا وهو ثريا نفسها ، فتعيم أخوها الأصغر ، ومع هذا فقد تزوج أولا ، فالأمر يتعلق بظروف الوقت ، وضرورة الموقف نفسه ، فلم تكن أنجم على الإطلاق من القائلات بمثل هذه العادات والتقاليد ، أو مثل هذا الكلام التافه الذى يجرى على ألسنة الناس أحيانا .

عاد نعيم إلى أمريكا وبقيت ميمونة فى بيت أسرته ، ترك زواجها فراغا فى بيت أسرتها ، كانت ثريا تزور أنجم أحيانا ، فتخبرها أن معظم لم يحدث أن ذكرها بخير أو شر ، وكانت ثريا نفسها تعجب من هذا الأمر ، لكن أنجم لم تهتم مطلقا ، فلم تكن تغير معظم أى اهتمام ، لكن قلبها أحيانا ما كان ينقبض ... كم كان إنسانا بلا حس ، لا يعرف حتى معنى المروءة ، ولا يعرف فى الحياة سوى الكراهية ، ربما لم يشعر بحب تجاه أى إنسان فى هذه الحياة الدنيا ...

لم تكن ترغب أبدا فى التفكير فى معظم ، ورغم هذا كانت تتذكره أحيانا .

فى تلك الأيام كانت الأم قلقة على أنجم ، كانت تريد أن يتم زواجها بأسرع ما يمكن ، فكانت تقيم الليل تدعو الله من كل قلبها من أجل أنجم ، وأخيرا جاء خطيب لأنجم ...

كانت الأم فى غاية السعادة ومنتهى الفرح ، لم تكن أنجم تدرى
تفاصيل الأمر ، لكن بعض النسوة زرن البيت ، وأعجبن بها وذهبن ...
وأنجم لاتدرى عن الخطيب شيئا ... وحين أخبرت من هو
الخطيب ... دارت رأسها بشدة للحظة ...

لقد جاء « معظم على » لخطبتها ...
أراد قلبها أن يعلن الرفض ، وأخبرت ثريا برغبتها تلك إلا أن
ثريا عنفتها بشدة ...

- « لكن يا ثريا ، إنه يكرهنى ... يريد أن ينتقم منى ... » .
- « هذا هو ظنك ... تمسكى بتلابيب العقل ولا تتلفظى
بكلمة ... »

ظلت أنجم تتمنع ثريا ، لكن أخبرت الأم بموافقة أنجم ،
وحضرت الأم بنفسها لتسأل أبتها رأيها ، فبقيت أنجم صامته ،
أرادت أن تحرك شفيتها لكن الصوت لم يخرج ، واحتضنتها أمها ،
وضممتها بشدة ، وأمطرتها بالقبلات .

- ١٢ -

نُصبت الزينات ، وأعدت « كوشة » العروس ... وأقيمت
الأفراح ... وأخيرا ...

جلست أنجم فى غرفتها بمفردها ، بعد أن ذهب المدعوون ، كان
قلبها يدق خوفا ؛ كانت تعرف أن معظم على قادم ، وسيقول لها :
- « بيننا سوء تفاهم ... بيننا كراهية متبادلة ستستمر على
الدوام ... والذى اختارك للعمل بالجريدة ، وهو الذى اختارك اليوم أيضا
إنى أكرهك كراهية شديدة ... » .

- ودمعت عيناها من جبراء هذه الفكرة التى دارت فى ذهنها ،
وأصيبت يداها وقدميها ببرودة شديدة ، كان هذه أيضا من مشيئة
القدرة الإلهية أن يرتبط اسمها باسم ذلك الشخص الذى لم يكن
يرغب حتى فى التحدث معها ...

ثم وصل معظم ... فشعرت كأن أنفاسها تلاشت ، فأغلقت
عينها بشدة ، فظهرت ظلال رموشها على خديها ...
رفع معظم الخمار من فوق وجهها :

- « ياه ! كل هذه الدموع ! ! لماذا يا أنجم ... أتبكين ؟ ! »
جفف دموعها بمنديله

شعرت كأن لهجة معظم غريبة عليها ... راح يقول لها :
- « أنا لم أقل لك قبلا ... ولولا زواجى بك الآن لم قلت لك
هذه الحقيقة ... إننى معجب بك منذ أيام الجامعة ، لم أكن من
الشباب المستهتر الذى ينظر إلى هذه وينظر إلى تلك ... لقد كتبت
إعجابى بك ، وحبى لك بداخلى ، كنت أتوق دائما لمشاهدة
مشاركاتك فى مسابقات الخطابة ، وكان ذوقك الأدبى متوافقا مع
ذوقى ... أنجم يا حياتى !

- « إذا كان قد حدث بيننا سوء فهم ، فقد تلاشى الآن ، إن
الحياة معك كانت غاية أمنيأتى ، إننى أعرف أنك لا تفضلينى
كشاب ، ورغم ذلك قبلتيني كزوج لك ، وإننى أشكرك على هذا ،
فالיום اكتملت حياتى ... أكملت نصف دينى ، وأصبح كل شيء
بزواجى بك كاملا مكملًا ... » .

ظل معظم يتكلم ... ويتكلم ، وغرق صوته فى دوامات من
العواطف ، فصار كالهمس ، وشعرت أنجم أنها تحب معظم منذ
ميلادها ...

استمر معظم يوجه حديثه لها :

- « لقد تأخرت فى الوصول إلى بيتك ؛ لأنكم كنتم فى فترة
حزن على وفاة والدك ، لكن حين عرفت بخبر زواج ميمونة ، لم
أتأخر لحظة فى المجئ ... أنجم ! سامحني على أخطائي ... إنني
أحبك حبا جما ... هل تمنحني حبك ؟ » .
وأمسكت أنجم بيدي معظم ، ورفعتهما إلى عينيها لتعلن اعترافها
بحبها له ...

الصدمة الثانية

زكية بكرامي

الصدمة الثانية

كنت أعرف جيداً أننى على قدر كبير من الجمال . . . بياض
تخالطه حمرة وردية ، جسم متناسق كله رشاقة وحيوية ، وشعر
أسود فاحم مسترسل ، وكما تقول صديقتى كنت أبدو « حلوة جداً »
حين أضحك .

كنت الابنة الوحيدة لأبوى ، وكان لى أخ يكبرنى قليلاً ،
وكانوا جميعاً أبى وأمى وأخى - يقومون على خدمتى ويفتدوني
بأرواحهم ، إذ كانوا يرون أن من واجبهم تلبية جميع مطالبى وتحقيق
رغباتى كلها جميل والرضوخ لعنادى . . . كان لنا بيت جميل ،
نعيش فيه حياة كلها راحة ودعة ، فالله وهبنا كل شيء ، وكان يجب
على أن أسجد لله شكراً على نعمة هذه وأن أسبح بحمد الله على ما
وهبنا إياه ، ولكن سلوكى كان على عكس ما ينبغى ، فقد ركبنى
شيطان الغرور والكبر ، وفى نشوة الإحساس بالعظمة لم أكن أعمل
خاطراً لأحد كان ، كنت أغتر بجمالى ، وأشعر أننى فقت جميع
نساء العالم جمالاً حتى إننى كنت أجلس أمام المرأة وأتطلع إلى
وجهى وأتخيل أميراً وسيمابهى الطلعة سيأتى من بلاد الحور ويحملنى
معه ويطير ، كان هذا هو السبب فى أن أحداً من أبناء الأسرة لم يشد
أهـى أو كما نقول نحن الفتيات « لم يملأ عيني » ، والأدهى
من هذا أننى رحت أسخر منهم جميعاً ، وكانت عماتى
جميعهن يرغبن فى أن يخطبنى لأحد أبنائهن ،
ولكن كنت دائماً - أمام أبى وأمى - أسخر من أبناء
أقاربى سخرية فاضحة : ماذا يعنى لو صار « إعجاز » ابن عمتى

طيبيا ؟ ! قامتة قصيرة .. قزم كيف أقبله زوجا ؟ وابن خالتي « أسعد » صار مهندسا ، إلا أن لون بشرته أسود .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. لو حدث وتزوجته لصرنا معا كالكشرى الملى بالعدس « أبو جبة » ، أما ابن عمى « وقار » فقد حصل على الماجستير ويعمل فى وظيفة طبية ، إنسان طيب إلا أن شعر رأسه قد اختفى ولو أن شكله مقبول إلا أن « صلغته » لا تعجبني ، وهكذا عارضت الارتباط بأى شاب من أسرتى ، وحاولت أُمى أكثر من مرة أن تفهمنى :

« نائلة ! يا بنتى هذا أمر مشين أن تسخرى من شكل وصورة كل إنسان من حولك وتعتبريه أقل منك ، ويجب أن تتوبى وتستغفرى الله حتى لا يغضب عليك بسبب غرورك هذا » .

لكنى كنت أسمع كلام أُمى من « أذن » وأخرجه من الأذن الأخرى .

فى الكلية عقدت صداقات مع بنات من كل صنف ، إلا أن كلا منهن كان فيها عيب ما ، فكنت أشير إلى هذا العيب بطريقة أو بأخرى وكانت البنات يحملن بداخلهن كراهية لى ، ومع ذلك كن باقيات على صداقتهن لى ؛ إذ كانت معظمهن يستفدن منى .. مثلا لما كنت آخذ دروسا خصوصية فقد كان عندى إجابات جميع الأسئلة ، فكن يحصلن عليها منى ، وهذا بالإضافة إلى أننى كنت أنفق كثيرا من المال فى مقصف الكلية ، وكنت أغدق عليهن ، وفى مقابل ذلك كن يتحملن غرورى واعتدادى بنفسى وحتى سخريتى منهن ..

وهكذا حصلت ذات يوم على البكالوريوس ، وأعلنت وقتها أننى لن أواصل دراستى أكثر من هذه المرحلة ، وأقام والدى وليمة ضخمة

بهذه المناسبة ، ودعا إليها جميع أفراد العائلة ، وبعدها بدأت عروض طلب الزواج تنهال على ، وكانت العروض من الأقارب ومن غيرهم أيضا ، إلا أننى رفضت مناقشة هذا الأمر جملة وتفصيلا . . .
ومرت الأيام وكانت أمى قلقة جداً لأمرى ، وعنفتنى ذات يوم فعارضتها قائلة :

« يا أمى لماذا تنسين أنى جميلة ومن حقى الزواج من رجل وسيم ، وإذا كان كل رجل فى هذه الدنيا يبحث عن فتاة جميلة أليس لى الحق أنا أيضا فى أن أفعل ذلك وأبحث عنى يعجبنى ؟ فإذا رفض أهل الشاب أن يزوجه من فتاة قبيحة ويرون من حقهم هذا الرفض فلماذا لا تعيين عليهم هذا الفعل ؟ ولماذا أنا التى تتزوج من أصلع أو قصير القامة أو أسود ؟ لا يمكن . . إذا لم يكن فى أى عيب فلماذا أتزوج من فيه عيب ؟ رجل أسود يتجراً ويطلب الزواج من فتاة جميلة . . تباً له . . على أمثاله اللعنة . .

أفرغت كل ما فى قلبى ورحت أصب جام الغضب على أمثال هؤلاء الرجال ، ولم تنطق أمى بشىء ردا على هذه الخطبة التى ألقيتها على سمعها ومضت فى صمت وتركتنى . .

وذاث يوم اختاروا لأخى فتاة . . كان أخى يكبرنى بسنوات ، وكان والدائ يرغبان فى أن يكون زواجه بعد زواجى ، إلا أنهم اضطروا إلى التفكير فى طريقة أخرى بعد رفضى للزواج ، وخطبت أمى له « نوشين » إحدى بنات صديقاتها القدامى ، وقد التقيت بها وأعجبتنى كثيراً ، ولأن الأسرتين « معرفة » قديمة فلم تكن هناك حاجة لتأخير

الزواج ، وهكذا وبسرعة أصبحت نوشين زوجة أخى ، وجاءت لتعيش معنا فى بيتنا ، وفى أيام قليلة اعتادت زوجة أخى على وعلى أهل بيتى ، لكنى شعرت أنها لم تستحسن أفكارى ولم تعجبها عاداتى . . وذات يوم قالت لى بكل اتزان :

« نائلة . . يجب عليك أن تفكرى فى مستقبلك وتتخذى قرارك بسرعة كى لا يفلت الوقت من يدك ويمر قطار الزواج ، فهو لا يتظر طويلا والرجل ليس بصورته ، ولكنه بسيرته ، ولا يعيبه شكله إذا كانت أخلاقه حميدة ، فانظرى بلا شك إلى تعليمه وإلى أصله ؛ أى أسرته ، أنا لا أقول لك تزوجى من رجل قبيح الخلقة . . ولكن الطريقة التى ترفضين بها الزواج ممن تقدموا لك طريقة غير لائقة .

« يا زوجة أخى أنا لا أريد أن أعيش حياتى على عكس ما أهوى وأريد ، ثم لماذا أنت قلقة على ؟ وماذا يفيدك التفكير بحالى . . أمى وأبى لا يزالان على قيد الحياة ويخير ، دعك من هذا القلق واتركيه على كاهلهم فهم أحق بتحملة منك » .

أصابها ردى بامتعاض فسكتت على مضض . .

كان جلوسى فى البيت بعد ذلك مدعاة لأن يتغير مظهرى فرحت أحبك ملبوساتى على مختلف أشكال « المودة » ، ورحت أرتديها بحب ورغبة ، وكان جميع شباب العائلة الذين رشحوا قبلا للزواج منى قد تزوجوا بينما صار أخى أبا لابن صغير . .

مرت ثلاث سنوات على حصولى على البكالوريوس ، إلا أننى كنت -

حتى ذلك الوقت - لا أزال واقفة في نفس المكان على مفترق طريق الحياة .. ولم يأت حتى ذلك الوقت أمير أحلامي .. وهكذا راح الوقت يمضي والأيام تمر ، والعجيب أن يزداد غروري أكثر وأكثر ، ويزداد شعوري بالتعالى على الآخرين .. وربما سبب لي عدم تقدم عريس وسيم يطلب يدي شيئا من الغضب بطريقة لا شعورية .. لا يهم فكم كان عمري ؟ ثلاثة وعشرون ، لم يكن هذا الأمر يصيبني باليأس ؛ فقد كنت على يقين من أنني سأحصل على ما أتمناه : شاب وسيم يأتي إلى في يوم ما ، وسيرى العالم كله هذا وسيقول الناس : زوجان كالشمس والقمر ..

كانت الحياة بالنسبة لي جميلة رائعة .. لم يحدث أن تأملت أو أصابني ما يشعرني بالحزن أو الأسى ، لم أكن أعرف ماذا يعنى الحزن أو على أى شيء يطلق هذا الاسم ، ولكن وذات يوم انتهى فجأة كل ما هو جميل في حياتي .

كنا في مشوار بالسيارة أنا وأبي وأمي .. وإذا بسيارة نقل ضخمة تصدمنا ..

توفي أبي مع أمي في الحال ، وتوفي السائق أيضا ، ولم ينبج من هذا الحادث الأليم سوى ..

حين عدت إلى البيت بعد خروجي من المستشفى أدركت أن رجلي اليمنى قطعت ، وتحت ذراعي اليمنى عدد من الغرز خاطوا بها جراحى ، ورحت أتطلع إلى المرأة خائفة مرتعدة .. آه لم يحدث شيء لوجهي .. كان لا يزال على عهدي به جميلا ، وكان شعري

الأسود الطويل كما هو .. أما أنا لم أعد كما كنت ، صرت
فتاه يتيمة معوقة ..

ظل أخى وزوجته يحاولان مواساتى ويجبران بخاطرى ..
وجاءت العائلة كلها فرادى وجماعات لأداء واجب العزاء .. وانتهى
الامر لكن بالنسبة لكل من حولى ، أما أنا فقد أظلمت الدنيا فى
وجهى .. فأمى التى لم أكن أفكر - ولو للحظة - أن تبعد عنى قد
ابتعدت عنى إلى الأبد .

كان مولد طفل لأخى مدعاة ؛ لأن تنشغل زوجة أخى أكثر ؛
فأكثر فكانت كل بضعة أيام تذهب بالأطفال إلى بيت أسرتها وأبقى
أن وحيدة فى البيت ، أدور حول نفسى ، أقطع الوقت الذى صار
يمر علىّ بطيئاً ، لقد اعتادت زوجة أخى على الذهاب إلى بيت
أسرتها لكن ذلك كان فى وقت كانت أمى موجودة فى البيت وأبى
أيضاً فلم أكن أشعر وقتها بالوحدة ، إلا أن الوضع مختلف الآن فقد
صارت الوحدة قدرى .

تفوقعت على نفسى ، وانتهت زيارات صديقاتى لى ، فقد
تزوجن .. ولم يعد لى صديقة واحدة .. تمرغ غرورى وكبريائى
الكاذب فى التراب ، كان الناس ينظرون إلىّ فيخافون ويرتعدون
ويوجهون لى عبارات التعاطف والمواساة التى كانت تصل إلى قلبى
فتوخزه كشوكة تدميه .. وراحت العجائز من عائلتى يثرثرون :
« لو كانت نائلة تزوجت من أحد أفراد العائلة لكان الجميع عوناً
لها ، لكن من يسأل عنها فى حالتها هذه ؟ ! »

كان شباب العائلة الذين رفضتهم قبلا يبدون تعاطفا تجاهي ، كانوا يعيشون حياتهم العادية كما هم مع أهل بيتهم في اطمئنان وسعادة ، بينما كان قلبي يدمع دما .. أين راحت أيام السعادة ؟ من سلبني اللحظات المليئة بالسرور والهناء ؟ وصدقت زوجة أخى فيما قالت لي من قبل .. لقد فلت الوقت من يدي وتركني القطار ومضى دون انتظار .. وراح «عكازى» هذا يقلقها كلما تحركت هنا أو هناك ، وكنت كلما تحركت ناحية الثلاثجة لإحضار الماء ، أو كلما تحركت من غرفة لأخرى لأحضر شيئا ما كان صوت عكازى وهو يدق على الأرض يقلق الأطفال فيستيقظون من نومهم .. كم من مرة قالت لي زوجة أخى: نائلة ! اطلبى الماء أحضره لك .. الأطفال الصغار يستيقظون بسبب الإزعاج وإعادتهم إلى النوم ثانية أمر شاق .

كانت كلماتها سهام تصيب كبدي .. كان هذا صحيحا .. كنت معوقة .. وكان صوت «عكازى» يسبب إزعاجا للآخرين .. لكن ماذا يمكن أن أفعل؟ وأين بل كيف أخفى مكان رجلى التى قطعت ؟ كنت أعرف أن على أن أقضى بقية حياتى فى هذا البيت ، كان هذا أمرا مقررًا ومفهوما لدى زوجة أخى ، ولهذا كنت أسكت ولا أرد ولو بحرف على ما تقوله ، وتناسيت بل أقلعت عن التفكير فى كل ما كنت أرغب فيه وأتمناه ، ومع هذا فقد كانت زوجة أخى دائمة الشكوى منى ، وراحت أحيانا تذكرنى بتقصيرى وبأخطائى فى الماضى مما جعلنى عصبية سريعة الغضب ، وزاد هذا بالتالى من توترى ، أما أخى فقد رزقه الله بالكثير من الأولاد .. واحدا تلو الآخر مما جعله أكثر انشغالا وانفعالا أيضا ، وكانت زوجته تعرف أن أخى

يتحمل مسئوليتى طوال العمر ، ولم تكن هى على استعداد
ذهنى لتقبل هذه الفكرة ..

ذات يوم وبعد أن ذهبت زوجة أخى إلى بيت أهلها خرجت
مستندة على "عكازى" إلى حديقة بيتنا .. حديقة جميلة رغم
مساحتها الضيقة ، تملؤها الورود الزاهرة من كل نوع ، لكن ماذا
حدث ؟ ألوانها صارت فى عيني باهتة وعيبرها لم يعد له تأثيره
السحرى القديم الذى اعتدت عليه من قبل .. جلست على أحد
الكراسى الموجودة بالحديقة ورحت أفكر فى تلك الأيام التى مضت
.. هل تعود ؟! ومن بعيد شاهدت جمال - أحد أقاربنا - قادم ،
وجمال كان يكبرنى بعدة سنوات ولم يكن قد تزوج بعد .. لكن من
الآن أقل عمرا منى .. ؟ لقد اقتربت الآن من الثلاثين ونظرا لجمالى
الفتان كان من الصعب ملاحظة كبر السن فى ملامحى .. كان جمال
من ناحية الشكل والصورة إنسانا عاديا بوجه عام ، وكان بطبيعته
إنسانا شريفا عزيزا وابنا مطيعا لوالديه ، وكان فى زمن مضى يسرح
شعره بالزيت ويرتدى ملابس زاهية الألوان فضفاضة لا يهتم بكيها أو
ترتيبها ويروح يتجول هنا وهناك ، لكنه الآن يرتدى ملابس يبدو منها
هندامه واضحا ، كما يلبس حذاءه الذى يلمع دائما نظرا لمسحه
« بالورنيش » ، وبصفة عامة لم يحدث أن دار بينى وبينه أى حديث ،
لكنه وبعد فترة طويلة ، وفى ذلك الوقت بالذات ، يأتى إلى بيتى ..
وفى غير وجود زوجة أخى ، فلم يكن هناك بد من الترحيب به ..
جلس جمال على الكرسي المواجه لى وسألته - وكالعادة - عن
أحوال والديه ، وبعد حديث استمر فترة ليست بالطويلة إذا به يقول :

نائلة ! عندي لك كلام ..

نعم ! هل هناك شيء تفضل قل ؛ « قلت هذا بمتهى الرزاة
والاتزان لا .. لا شيء بالتحديد لكن لدى اقتراح ..

أنا لا أفهم ولم أفهم حقيقة ما قال .

فى الواقع أننى أتألم وأنا أراك هكذا وحيدة ، وأننى قلق فى
معظم الأحيان من أجلك .

أخى جمال .. هذا هو القدر المكتوب .

نائلة ! أود .. أعنى .. أقصد أننى أريد أن أطلب يدك ..

ولا اعتراض عندي على .

سمعت كلام جمال فشبت النار فى جسمى وسرت فى عروقى ،
هذا الشخص الذى لم أكن حتى أميل إلى أن أبادله أى كلمة .. يأتى
اليوم .. يعطف على .. يطلب يدى ، فقلت ولنا أخفى غضبى
بداخلى :

أتدرى ماذا تقول ؟

« نعم نائلة » ، وصار أكثر حساسية وانفعالا واستطرد قائلا :
فكرت دائما فىك .. أحببتك لكنى لم أجرؤ أبدا على الإفصاح
بذلك ، فقد اعتبرت نفسى غير جدير بك ، وبعد هذه الحادثة أيضا
لم أجرؤ على التحدث إليك لأن وظيفتى كانت متواضعة ، أما الآن
فقد رقيت إلى وظيفة أحسن وتحسنت ظروفى المادية ، وأنت الآن
وحيدة ، ولذلك فقد جئت اليوم حاملا آمياتى الكامنة فى قلبى منذ
سنوات فإن رضيت وقبلت حدثت أمى فى الأمر .

يالزمانى ... إنسان مسكين كالحال الوجه يعطف على ؛ فيطلب
يدى .. لم أدر كيف سيطرت على أعصابى وكتمت غيظى وغضبى
على غير العادة فقلت له :

« أخى جمال ! لا أود سماع هذا الكلام الفارغ ؛ أننى أتعجب بل أجدنى فى حيرة كيف وائتك هذه الجرأة .. من الأفضل لى أن تغادر قبل أن تأتى زوجة أخى ، وإلا فلإن ما بى سيفيض ، ولا يمكننى أن أتمالك أعصابى » .

لم يكن جمال يتوقع أن يصدر عنى هذا الرد ، فنظر إلى دهشا متحيرا وقال : " نائلة فكرى مرة أخرى .. كان فى قلبى لك حبا طاهرا ، ولا يزال وسوف يبقى " .

« وتحاملت على نفسى وأخذت " عكازى " ، واندفعت لأدخل البيت ، وجعلنى الغضب فى حالة يرثى لها ، ورأى جمال أنه ليس من اللائق أن يظل جالسا ، فنهض وعاد من حيث جاء .

فى تلك الليلة رحت أذرف الدمع غزيرا ، هكذا كتب على قدرى ورحت أنال جزاء غرورى ، وأتجرع الألم علقما ، لم أكن قد فكرت أبدا فى الوجه الآخر للحياة ، لكن لماذا كل هذا يحدث لى ، على وجه البسيطة آلاف وآلاف من الناس ارتكبوا أيضا أخطاء وأغلاطا بطريقة أو بأخرى ، ولم يأت يوم حسابهم أبدا ، فلا يزالون ينعمون وينالون نصيبهم من السعادة ، ولا يزال حبل سعادتهم ممتدا ، لكن حبل سعادتى انقطع ؛ فسقطت من علياء السماء إلى الدرك الأسفل من هذه الأرض ، ثم إننى قرأت فى الكتب : إن الله يبتلى عباده الصالحين ، وأنه ينعم عليهم برحمته بعد هذا البلاء ؛ فهل أنا يا ترى من عباد الله الصالحين ؟ ! هل أنا الآن فى مرحلة البلاء والاختبار ؟ !

ومتى تنزل على رحمة الله ؟ ... ! بدأت هذه التساؤلات تدور
فى عقلى ، وهى تساؤلات لم توجد لها إجابة واضحة عندى .
ومضت أيام شعرت خلالها بأن حديثا جادا يدور بين أخى
وزوجته يتعلق بالتأكد بأمر يهمنى ؛ لأننى كنت كلما اقتربت منهما
انقطعت سلسلة الحديث ، لم تكن لدى رغبة بأى موضوع يتحدثان
فيه ، فقد كنت أعرف أن أمير أحلامى لن يأتى أبدا ، كما لم أكن
أبدا على استعداد - ذهنيا - لقبول شخص مثل جمال ؛ فقررت من
داخلى قرارا لا رجعة فيه ، وهو أن أعيش حياتى وحيدة ،
فلا ضرورة مطلقا للزواج ، وكم من الفتيات يقضين حياتهن هكذا بدون
زواج ؛ فلاكن واحدة منهن .. إلا أن جميع أفكارى ونظرياتى وقراراتى
ذابت بعد أن أجلسنى أخى - وحضرت زوجته بالقرب منه ثم قال :
" نائلة ! لقد رتبنا لك أمرا من أجل مستقبل طيب ، وكان الله
معنا وأعاننا على هذا الأمر " .. نعيم " إنسان طيب ، فهل لديك
اعتراض على قبول الزواج منه ؟ " لفنى صمت أخرجنى منه ما قالته
زوجة أخى :
" نعيم ابن عمى إنسان شريف عزيز ، كما أنه رأى مرة أيضا " .
رفعت ناظرى تجاه زوجة أخى ، كانت فى نظراتى إليها
تساؤلات تموج فى صمت .. فنهضت واقتربت منى وجلست
بجوارى ثم راحت تربت على ظهرى قائلة :
" لا تقلقى نعيم يعرف مأساتك ، أنت من ناحية الشكل
والصورة جميلة .. وافقى على مقابلته "

" لكن يا زوجة أخى .. لا بد أن يكون هناك سبب ما يجعله يقبل الزواج من فتاة معوقة مثلى " ... وكان نطقى بكلمة فتاة قد جعلنى أتلعثم ، فسكت ولم أكمل عبارتى ، فعاجلتنى زوجة أخى بقولها :

" لا تقلقى نفسك ولا تفكرى بشئ فقط قابليه " .

" لا .. أريد أولا معرفة أصل الحكاية .. ماذا قلتم له ؟ " راح أخى وزوجته يتطلعان إلى بعضهما ، وكأنهما يحاولان إخفاء أمر ما لا يريدان أى داع لإخفائه وعدم الإفصاح عنه .. فقلت :
" يا زوجة أخى .. يجب أن تكون الأمور واضحة تماما ، وأنا لست بهذا الضعف ، ثم إن الزواج ليس بالأمر الضرورى أيضا " .
لزواج أمر ضرورى جدا يا نائلة .. أنت لا تدريين حالة أخيك وكم هو قلق من أجلك !؟

" لهذا رحتم تبحثون لى عن أمثال نعيم .. لكن على أى شرط ؟ إذا لم تخبرانى بالحقيقة فلن أستمع لكما ، قلت هذا ، وحملت " عكازى " وشرعت أترك المكان إلا أن أخى استوقفنى قائلا :

" اجلسى يا نائلة .. سوف أخبرك .. ما سأقوله لك صحيح مائة بالمائة .. نعيم إنسان شريف له محل تجارى ، تعيش معه أمه وأختاه ، وهو مسئول عن إعالتهم ، وحدث أن تعرض متجره للسرقة وهو الآن فى ضائقة مالية شديدة ، وهو لم يتزوج حتى الآن .

كانت أمة تبحث له عن فتاه ثم حدث ما حدث لمتجره فتوقف التفكير فى مسألة زواجه ، لكنه إذا وجد عوناً مالياً وتحسن وضعه التجارى والمالى فلن يكون هناك أى مانع فى التفكير فى مسألة الزواج من جديد .. نائلة لا حرج ولا مضايقة فى هذا الأمر ، سوف نساعد مادياً فتتحسن أوضاعه التجارية ، وأنت سوف تذهبين وتعيشين فى بيت رجل شريف " .

" هكذا الأمر .. جعلتمونى سلعة تقيمونها فى البورصة " ؛
وتحطمت بداخلى أشياء ؛ فقلت وأنا أحاول وإخفاء ما بداخلى من مشاعر :
" كم المبلغ الذى اتفقتم عليه ؟ "

" سوف نعطيه مائتى ألف " .

وقالت زوجة أخى بسرعة :

" هذا هو المبلغ الموجود فى حساب المرحوم الوالد " .

" اسمعى يا زوجة أخى .. أنا لا أوافق على هذا الزواج "

" لكن لماذا ... ؟ "

" أنتم تبيعوننى بمائتى ألف روية .. هذا هو قدر محبتكم لى ؟
أنا لست سلعة تباع بمال ، ولن أسمع لأن أكون كذلك ، وزواجى
لن يكون لقاء أى مبلغ مهما كان " .

" نائلة ! لا تأخذى الأمر بهذه الحساسية الشديدة " ، قال أخى
هذا وهو يحاول إفهامى :

" نعيم رجل شريف لن يجلب لك سوى السعادة على الدوام " .
" أخى على الأقل أنت لا تكرهنى إلى هذه الدرجة ؛ فلا
تجعلنى لا أرى أمامى سوى الموت " .

اغرورقت عيناى بالدموع ، كانت دائما تقدح فى حقى قاعدة
ذاهبة عائدة ، ولم يكن أمامى من سبيل إلا الصمت .. وبعد فترة
عرفت أن نعيما تزوج من أرملة غنية ، وأنهما يعيشان حياة هادئة
مطمئنة ، ولم يكن لهذه الأخبار أى أثر يذكر فى نفسى ، وخاصة
حين كانت زوجة أخى تعتمد إلى سرد حكاياتهم أمامى .

فى تلك الأيام سافر أخى إلى ألمانيا لمدة سنة ، وكانت زوجته
تقضى معظم وقتها فى بيت أهلها ، وفى بيتنا فى الركن الخاص
بالخدم قدمت أسرة لتقيم فيه فاطمأنت زوجة أخى ؛ إذ لم أكن وحيدة
فى البيت .. لكن الوحدة كانت قدرى المكتوب ، لم يكن لدى سوى
ذكريات الأيام الخوالى أجترها بين حين وآخر .. ماذا كنت ؟ وكيف
صرت إلى ما أنا فيه ؟ الظلمة من حولى ، أبحث عن شعاع من نور
وسط الظلمة الحالكة .. فلا أجد .. لكن .. فجأة .. وجدت أشعة
النور تتجمع .. وتنقشع سحب الظلام !

فى ذلك اليوم وكعادتها دائما أخذت زوجة أخى الأولاد وذهبت
إلى بيت أهلها ... وكعادتى أخذت " عكازى " واتجهت إلى حديقة
البيت ، ورحت أتفحص تلك الورود التى كانت بالنسبة لى حياتى
واهتماماتى .. وإذا بى أرفع نظرى إلى البيت المقابل لبيتنا .. فتحت
نافذة فى الطابق العلوى .. وخلفها وقف رجل غريب عن الحى ،
بدا وكأنه يلحق من بعيد فى السماء ، وشاهدت السحب وكأنها تغطى
وجهه حيناً وتكشف عنه حيناً آخر .. كنت أعرف أن بعض الناس قد
استأجروا هذا البيت منذ أيام ، لكن لم أعرف عنهم شيئا على الإطلاق ..

نعم كان هذا هو وجهه الذى طالما تصوريته فى مخيلتى وطالما تخيلته فى أحلامى ، كان هذا هو وجه الأمير القادم من موطن الحور الذى طالما حلمت بالتحليق معه فى السماوات .. انتابتنى الحيرة ولفتنى الدهشة .. هل يصل الخيال فى العالم إلى هذه الدرجة فأرى ما أتخيله هكذا أمامى فى النافذة ؟!

لكن الأمور تتغير مع الأيام ، لم أعد أنا التى كنت .. ولعله أيضا وجد بغيته .. وغرقت فى بحر الحيرة وأنا أطيل النظر ناحيته حتى وقع نظره على بينما كنت أقف متكئة على " عكارى " وشعرى الطويل ينساب على كتفى يصل إلى أردافى ، على وجهه الحزين ارتسمت علامات الحيرة للمحة ، ثم ارتسمت فجأة على شفتيه ابتسامة ساحرة .. فتراجع عن النافذة ؛ أما أنا فعدت إلى داخل البيت أحاول أن أتمالك قلبى المضطرب التى تسارعت دقاته . رحت أفكر لفترة فى هذا الأمير الغريب ، لكن ذهنى اضطرب .. كم تمنيت أن أعرف عنه شيئا .

فى اليوم التالى رحت أطيل النظر مرات ومرات ناحية النافذة لكنى لم أر أحدا ، وعندها أدركت حماقتى .. كيف يظهر فى النهار ؟ لكنى كنت كمجنونة تنظر ناحية النافذة ، وحين جاء المساء شاهدته خلف النافذة .. كانت عيناه لا تتجهان ناحية السحاب فى السماء بل كانت تتجه نحوى .. راح ينظر إلى .. فى نظراته شوق وهيام .. بدا لى مختلفا عن بقية البشر .. على وجهه ارتسمت براءة الملائكة وازدادت دقات قلبى ، لم أستطع الوقوف طويلا فى الحديقة فتحاملت على عكارى ودخلت البيت .

بدأت لعبة « الاستغماية » هذه بيننا فى صمت ، لم أكن أعرف عنه شيئا ، واعتقد أنه أيضا لم يكن يعرف عنى أى شىء ، ورغم هذا شعرت وكأننى قابلته منذ سنوات طوال . . كان يسكن فى قلبى ، وكان هو من تصورته فى أحلامى ، وبدأت أهتم بملابسى وبمظهري وخاصة وقت المساء رحت أخرج ثيابى التى خزنت فى « دولاب » الملابس لمدة طويلة أردت أن أزين بها جسمى . . فقد كنت أشعر أنه ينتظرنى كل مساء ، وكانت أزهار السرور تتفتح فوق وجهه الحزين إذا ما رأتى أخرج إلى الحديقة . . لكن لماذا هذا الحزن المرتسم على وجهه دائما ؟ لماذا يبدو الألم على وجه هذا الرجل الجميل ؟ لم أدر حقيقة الأمر إلا أن السعادة عرفت طريقها إلى فى تلك الأيام ، وصارت الحياة جميلة فى عيني ، وعادت البهجة إلى روحى . . وحين رجعت زوجة أخى من بيت أهلها توقفت عن الخروج إلى الحديقة فى المساء من باب الاحتياط والحذر .

ومرت عدة أيام لم أره فيها ، لم أكن أدري هل ينتظرنى على أحر من الجمر أم لا . . لكننى بنفسى كنت متوترة أتوق شوقا إليه . لم أعد أتبادل الحديث مع زوجة أخى إلا نادرا ، خاصة بعد أن رفضت الزواج من نعيم قريبها ، فقد أثر هذا فيها ، وكان جرحا فى صدرها سيستمر على ما يبدو طول العمر . على كل حال وفى ذلك اليوم دقت باب بيتنا فتاة جميلة جاءت من البيت المقابل لبيتنا ، بهدف التعرف علينا ، فجلست زوجة أخى معنا ، كان اسمها « روبى » ، وكانت جميلة جدا عمرها على أكثر تقدير عشرون عاما ،

ذكرنى شكلها بالأيام الماضية حين كنت فى مثل عمرها ، أخبرتنا أنها انتهت من توها من امتحان البكالوريوس وبدأت الإجازة ، ولهذا فكرت فى زيارتنا للتعرف علينا .

عرفت كل شىء عن جيراننا من روى ، فهى تعيش مع أخيها الأكبر «نديم» الذى فقد زوجته أثناء وضعها طفلها الثانى ، وكان لهذه الحادثة وقعها السيئ على روى ونديم ، والآن عمر بلال ثلاث سنوات وبلغ الطفل عامه الأول .. عرفت من روى أيضا أن أخاها نديم لم يخرج من هذا الحزن أبدا ..

سمعت أحوال هؤلاء الناس وحزنت كثيرا ؛ إذ عرفت سر الحزن الواضح على وجه نديم . . . بعد أن أدت زوجة أخى واجب الضيافة لروى راحت تتحدث معها لفترة ثم تركتنا وذهبت ، وإذا بروى تقول لى :

« يا اختاه إنك جميلة جدا ، كنت أراك من النافذة ، أعجبت بك كثيرا ، وأخى أيضا يمتدحك كثيرا . . معذرة فربما كان هو أيضا يشاهدك من النافذة » .

سمعت كلام روى ، فراح قلبى يخفق ويدق بسرعة وراحت تذكر لى مدى إعجاب أخيها بى ، ولم تقل شيئا غير ذلك ، ووعدت بأن تزورنا ثانية .

جاءت روى ثانية ، كان معها بلال والطفل ، كانا ما شاء الله جميلين ، حملت الطفل إلى صدرى فالتصق بى فى حنان ، ورغم أن بلالا كان فى الثالثة من عمره إلا أنه قليل الكلام ؛ فقد

جعلته وفاة الأم المبكرة من النوع الذى لا يتكلم كثيرا .. راحت روى فى ذلك اليوم تختلق الأسباب لتمتدح أخاها : وسامته .. ذكاؤه .. أحاديثه عن الحياة السعيدة ، ثم قالت :

« يا ليت هناك من تأخذ بزمامه فتحول حزنه إلى مسرات » ..

بعد ذهابها بقيت ساعات أفكر فى نديم وبلال والطفل ..

بدأت روى تكثر من زيارتها لنا وكانت تأتى دائما ببلال والطفل ، كانت زوجة أخى تجلس معنا أحيانا ثم تتركنا وتذهب ، وقامت روى بطريقة لا شعورية بالتقريب بينى وبين نديم ، كانت تحدثنى أحاديث لا حصر لها عن نديم ، ولم أكن أدري ماذا كانت تقول عنى لنديم ، فقد أخبرتنى أنها تحدثه عنى .

وفى يوم من الأيام حملت " ألبوم " الصور الخاص بهم ، وجاءت كعادتها لزيارتنا ، لم تكن زوجة أخى فى البيت آنذاك شاهدت كل الصور : صور والديها وصورة زوجة نديم كثيرة رحمة لله عليها .. كانت امرأة جميلة ، لكنها لم تكن بمثل جمالى ، وشاهدت صوراً كثيرة لنديم .. شخصيته جذابة .. طلعت بهية .. وعيناه تشعان بالذكاء .. كان هو النموذج الذى أتمناه فى فتى أحلامى ، كان وجهه هو الوجه الذى طالما حلمت بصاحبه ، لقد وهبنى الله قريبا ممن كنت أحلم به .. وفهمت جيدا مرام روى والهدف من كلامها معى ، فقد كانت تود أن أقترن بأخيها ، وأن أمنح ولديه الحب والعاطفة ، وذلك لأن موعد زواج روى نفسها قد تحدد ، وبعد ذهابها من البيت لن يكون هناك من يرعى بلالا والطفل

الصغير .. وقبلت هذه الصفقة التي تمت في صمت ودون إعلان .. قبلتها وتمنيها من كل قلبي ، فنديم لم يكن لديه أى اعتراض على «عكازي» هذا ، ولماذا لا أشرف على رعاية أولاده ، كان نديم ثريا وله مكانته في المجتمع ، يملك مصنعا يديره بنفسه ، لم يكن ينقصه شيء من أمور الحياة ومستلزماتها .. وشعرت أن هذا من حسن حظي .. أن تأتي إلى بيتي المحبة والثروة والجمال ...

لكني كنت أريد تطبيقا عمليا لكل هذه الأفكار ، فلم أكن قادرة على أن أفصح عما في داخلي .. وحين تأكدت روبي أنني لن أرفض أخاها زوجا لي تحدثت مع زوجة أخي وأحضرت معها صورة لنديم .

لم أعرف ما دار من حديث بين روبي وزوجة أخي ، لكن بعد ذهاب روبي جاءتنى زوجة أخي :

" نائلة ! اليوم بلغتك روبي رسالة أخيها ، هؤلاء الناس يريدون عقد الزواج فورا ، لكنني رأيت أنه ليس من المناسب إعطاءهم الرد الآن ؛ فأخوك ليس هنا وهو الذي يمكنه اتخاذ القرار " .

" يا زوجة أخي أنا لست طفلة " هكذا كان ردى عليها فورا بل تابعت كلامي :

" فأنا بنفسى أستطيع أن أتخذ قرارا يتعلق بي " .

سمعت زوجة أخى حديثى ، ونظرت إلىّ بتهكم وقالت :
«نائلة ! انك تعتبرينى عدوة لك بينما كنت دائما - والله شاهد
على ما أقول - حريصة على سعادتك ، كان فى زواجك من نعيم
سعادتك لكنك رفضت ، وهو الآن يعيش مع زوجته حياة نموذجية ،
ونعيم لم يكن على الأقل متزوجا من قبل ، ولم يكن له أولاد » .
وفار الدم بداخلى :
«لم يكن بلا شك متزوجا ، لكنه كان إنسانا قبيح الخلقة ،
وأنت تعرفين أننى أفضل فى هذه الدنيا كل ما جميل » .
«لم يكن قبيح الخلقة يا نائلة» .. نطقت هذه العبارة بلهجة فيها
عنف شديد «لك أن تقولى ما تشائين .. كان قبيح الصورة وطماعا ..
كان يريد أن يشتري عجزى مقابل مائتى ألف روية» .
«هذا هو تفكيرك يا نائلة .. على كل حال أنا أقوم بواجبى ..
لن أقول شيئا ضد رغبة أخيك» .
«لابالله عليك يا زوجة أخى .. لن تفعلنى هذا .. لن ترفضى
زواجى من نديم .. لو كان عنده أولاد فهو رجل جميل الوجه
جذاب .. لقد رأيت صورته «ولم أخبرها أننى كنت أشاهده لعدة
أيام » إذن هذا يعنى أنك اتخذت قرارك» .
«نعم ، افهمى الأمر هكذا» .
«إذن ، اذهبى وانهى أمر زواجك بنفسك ، لن اتدخل فى هذا
الأمر» .

قالت هذا ، ونهضت من جانبي ، وبقيت أبكى لفترة طويلة ،
ورأت زوجة أخى عيني الحمراءوين فقالت :
«حاولى أن تفهمى الأمر ، إنه يتحدث فى أمر الزواج السريع ،
يريد أن يتمم الزواج خلال أسبوع ، وفى صمت دون احتفال ،
فكيف لى أن أتحمل هذه المسئولية بينما أخوك غير موجود هنا ؟» !
«لا تتحملى هذه المسئولية أبدا يا امرأة أخى .. أنا مستعدة
لتحمل هذه المسئولية .. سوف أتحمل مسئولية أى أمر سيئ قد
يحدث .. فقط أتمنى أن تتعطفى على وتكرمنى بالموافقة .. فقط
كلمة واحدة .. نعم» .
وربما تراجعت زوجة أخى أمام إلحاحى فأبلغت روى بالموافقة
وتحدد يوم الخميس التالى للزواج ..
وبدا الأمر عجيبا بالنسبة لى .. الحلم الذى رأته طوال حياتى
يتحقق .. يصبح حقيقة بعد أن كان خيالا .. وأمير بلاد الحور
سيصبح من نصيبى .. الأمير الذى أعجب بى رغم عجزى ، ورغم
عكازى ، ثم إنى فتحت أبواب قلبى لولديه ، وبدأت أشعر بحب
جارف تجاههما ، شعرت كأنهما ولدائى ، ولدا من رحمى ، كانا
يظنان بجوارى لساعات فأضمهما إلى صدرى أطفئ بهما ظمأ
قلبى .. وكانت السعادة تغمر روى فى تلك الأيام ؛ فراح
تسمعن حكايات السعادة التى تغمر نديما أخاها ... فقد كانت تقوم
بعمل الوسيط بيننا ...

لا ينبغي أن أنتظر أكثر من هذا .. وحل يوم الخميس السعيد .. اشترك في عقد القران بعض الأقارب وبعض أهل الحى .. جعلوا منى عروسا بحق ، وكما قال الناس كان جمالى فتانا ، وكان عرسى عرضا لجمال الحوريات .. وجلست فى «الكوشة» لفترة ثم خرجت لأجلس فى الكرسي المعد لى بجوار نديم بين باقات الورد .. التقطوا لنا الكثير من الصور التذكارية ، وأثناء ذلك سمعت عبارة : «القمر مع الشمس لكن» ..

وقرات الفاتحة على (مأتم عقلية) أولئك الناس الذين لا يعرفون كيف يتعاضون عن مواطن العجز لدى الآخرين .. ماذا لو فقدت رجلى اليمنى .. وماذا لو كانت لنديم زوجة سابقة توفاه الله .. وماذا لو كان عنده طفلان ..

انتقلت بعد ذلك إلى غرفتى فتناولت طعامى ، ولما كان ذهابى إلى بيت العريس لن يكلفنى الكثير ؛ إذ سأنتقل إلى البيت المقابل لبيتنا ؛ لهذا لم يكن الأمر مقلقا أو متعبا بالنسبة لى ، فقد انتقلت ماشية من بيتنا إلى بيته مع روبى وزوجة أخى ..

مشينا بخطوات وثيدة ، أمسكت روبى وزوجة أخى «بفستان الفرح» أقصد ثوب الزفاف .. ثم تركتني زوجة أخى فى غرفة نديم وذهبت ، تحدثت روبى معى لفترة ثم أغلقت الباب وذهبت هى الأخرى رفعت عينى أنظر إلى الغرفة التى أجلس فيها .. كم كانت رائعة .. الأثاث الفخم .. آه هذه الستائر الجميلة .. كم هى جميلة هذه الغرفة .. غرفتى تتوسطها السجادة الكشميرية الرائعة بنقوشها

المنمنمة الدقيقة ثم الزخرفة التى زينت الجدران .. عشت لحظة سحرية
ورحت أغبط نفسى على ما أنا فيه من سعادة وحظ ، وجاء نديم .

فأخفيت وجهى بين ركبتى .. إلا أننى وجدت نفسى أرفع
وجهى على الفور ! .. لقد وصل إلى أذنى وقع دقات عكازين
فأذهلنى ذلك .. ونظرت فرأيت تحت إبطى نديم عكازين وهو يقف
أمامى برجليه الاصطناعيتين !! ..

كانت الصدمة الأولى صدمة شديدة بالتأكيد فقدت فيها أُمى
وأبى وفقدت فيها رجلى اليمنى .. لكنها كانت رغم ذلك صدمة
تحملتها .. أما الصدمة الثانية فقد كانت من الشدة بحيث ربما لا
يمكننى تحملها ..

أعرف أن روى كانت ستزوج خلال أيام وستذهب ، وأننى
سوف أقضى بقية عمرى فى بيت إنسان حسن الطلعة عاجز ..
ناقص الأعضاء .. أرعى أطفاله ..

أين ذهب الحب الذى ملأ قلبى لبلال والطفل ؟ !

لماذا لم أعد أشعر بجمال طلعة نديم ؟ !

لماذا صارت الدنيا فجأة قبيحة فى نظرى ؟ !

راحت هذه الأسئلة وعديد من الأسئلة الأخرى تدور وتدور فى
ذهنى .. لكنى لم أجِد جواباً لآى منها ، فقد اضطرب عقلى
وأحاطتنى الظلمة من كل جانب ، ورحت أغرق فى بحر من
الظلمات سحيق !!

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مانهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٢ - التراث المصري	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريكتوكفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل نصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفييتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو العرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أنثرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مختصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبيريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المولين
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمني طريف الغولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مشوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - بين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر النيب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مانهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحدائق	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

- ٣٦ - نظريات السرد الحديث والاس مارتن ت : حياة جاسم محمد
- ٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر ت : جمال عبد الرحيم
- ٣٨ - نقد الحداثة آلن تورين ت : أنور مغيث
- ٣٩ - الإغريق والصد بيترو والكوت ت : منيرة كروان
- ٤٠ - قصائد حب أن سكستون ت : محمد عيد إبراهيم
- ٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران ت : عطف لحد / إبراهيم قنحي / محمود ملج
- ٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير ت : أحمد محمود
- ٤٣ - اللهب المزوج أوكتايفو پاث ت : المهدي أخريف
- ٤٤ - بعد عدة أصياف ألكس هكسلي ت : مارلين تادرس
- ٤٥ - التراث المغنود روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين ت : أحمد محمود
- ٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا ت : محمود السيد علي
- ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا بوما ت : ماهر جويجاتي
- ٤٩ - الإسلام في البلقان ه . ت . نوريس ت : عبد الوهاب علوب
- ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ ت : محمد برادة وعثمانى الللود ويوسف التملكى
- ٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية داريو بيانوييا وخ . م بينياليستي ت : محمد أبو العطا
- ٥٢ - العلاج النفسي التدعيمى بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . ت : لطفى فطيم وعادل بمرdash
- ٥٣ - الدراما والتعليم ا . ف . ألنجاتون ت : مرسى سعد الدين
- ٥٤ - المفهوم الإغريقى للممرح ج . مايكل والتون ت : محسن مصيلحى
- ٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم ت : على يوسف على
- ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا ت : محمود على مكى
- ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
- ٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا ت : محمد أبو العطا
- ٥٩ - المحبرة كارلوس مونييث ت : السيد السيد سهيم
- ٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين ت : صبرى محمد عبد الفنى
- ٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث ت : مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
- ٦٢ - لذة النص رولان بارت ت : محمد خير البقاعى .
- ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود ت : رمسيس عوض .
- ٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل ت : رمسيس عوض .
- ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا ت : عبد اللطيف عبد الحليم
- ٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا ت : المهدي أخريف
- ٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالتين راسبيوتين ت : أشرف الصباغ
- ٦٩ - العلم الإسلامى فى أول القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
- ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينييو تشانج روبريجت ت : عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد
- ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى داريو فو ت : حسين محمود

٧٢ - السياسي المعجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التطيل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العزلة : نظرية اجتماعية وثقافة لكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبينسكى	ت : سعيد الفانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الفمري
٨١ - الجماعات المتخيلة	بنديكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مصرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صانقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ - الابتلاء بالتغريب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيننز	ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	بارير الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح		
الإسبانيون أمريكي المعاصر	كارلوس ميغل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محادثات العزلة	مايك فينرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصعبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بايخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إيوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساطة العزلة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليت	ت : رشيد بنحو
١٠٢ - المياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإبريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤيد	ت : محمد بنيس
١٠٤ - لويرا ماهوجنى	برتوات بريشت	ت : عبد الفقار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيب
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبيرامتى	ت : أشرف على دعور
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث نوازل عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنه بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس فيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات صناد كونجى وسكان المستع	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث يارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - اللبليل الصغير في كتلة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظم العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسنندر وفنانولين	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحة الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الألب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الأسبانية المعاصرة	ماريا بولورس أسيس جارتو	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوند فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فينرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاث أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كوني	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحلة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيقلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريس فيال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنوير في البحث الاجتماعى	بيريك لايدار	ت : عطى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليس	ت : على عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدارة الطويلة	تاتكريد نورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وألونس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراخنة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكتوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	الخانندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوجنا الاسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لوكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصانفة
١٦٦ - العلاقات بين المثنيين والعلانيين فى إسرائيل	يشعيا هو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التلفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نمو مفهوم للاتصاليات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر البيئى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جالويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنستنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
١٨٢ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه جيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تمام هانز إيندورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنود
١٨٧ - الأرضة بَرُوجْ علوى
١٨٨ - موت الأنثى الفلين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك زين العابدين المراغى
١٩٣ - عامل النجم بيتر أبراهامز
١٩٤ - مخبرات من نقد الأجلو- أمريكى مجموعة من النقاد
١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالنتين راسبوتين
١٩٧ - الفاروق شمس الطماء شبلى النعمانى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إيونى إمري وآخرون
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندوى
٢٠٠ - ضمايا التنمية جيرمى سيبوك
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـا رينيه ويليك
٢٠٣ - الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شاراز
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفورزا
٢٠٦ - الهيلولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
٢٠٧ - ليل إفريقيا رامون خوتاسنديز
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
٢٠٩ - الصرد والمصرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠ - مثويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
٢١١ - فريديان دوسومير جوناثان ككر
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣ - مصرقة قوم تلحين حتى رجل جد قاصر ريمون فلاور
٢١٤ - قواعد جديدة المنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيننز
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـا زين العابدين المراغى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧ - مسرحيتان طليصيتان صمويل بيكيت
٢١٨ - رايولا خرايو كورتازان
- ت : يامين طه حافظ
ت : فتحي العشرى
ت : دسوقي سعيد
ت : عيد الوهاب علوب
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بدر الديب
ت : سعيد الفانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد عبد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصباغ
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
ت : فخرى لبيب
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : أحمد محمود هويدى
ت : أحمد مستجير
ت : على يوسف على
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : محمد أحمد صالح
ت : أشرف الصباغ
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : محمود حمدي عبد الفنى
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : محمد محمود محي الدين
ت : محمود سلامة علاوى
ت : أشرف الصباغ
ت : نادية البنهاوى
ت : على إبراهيم على متوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيش	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرائز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - بمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارثيا ماركت	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإيماني في القرن السابع عشر	موسى مارييا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - ملقى البطل الوحيد	نورمان كيماي	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	ارثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تيريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى مديولى أحمد
٢٣٩ - العريى في الأدب الإمبرائلى	جيلزافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أنيس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرثيا ماركت	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدثة في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبيوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	بومنيك فيتك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورنون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينولا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكارت	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : ياشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إيوارد مندوتا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وسموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الفريية	توماس سى . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - س. س. إليوت شاعرًا وثقافيًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الهيئات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهنئى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٨٦٢٣ / ٢٠٠١



هذه المجموعة القصصية المترجمة عن اللغة الفارسية تصدر للمرة الأولى بالعربية، مع دراسة مختصرة عن فن القصة القصيرة في الهند، وقد عمد المترجم إلى اختيار هذه المجموعة القصصية المختارة لثلاثة أدباء هنود: أديبان لهما مكانتهما في الأدب الحديث، هما "بريم تشند"، و"كرشن تشندر" اللذان يعدان - في نظر النقاد - من عمالقة هذا الفن في الأدب الهندي والأردى، كتباً باللغة الأردية والهندية، فأبدعا في فن القصة؛ وأدبية معاصرة، هي "ذكية بلكرامى" التى لا تزال تثرى فن القصة فى الهند بما تكتبه وتنشره فى المجلات المعاصرة. ظهر الأديب الأول فى النصف الأول من القرن العشرين، بينما الأديب الثانى ظهر فى النصف الثانى من القرن نفسه، أما الأدبية ذكية بلكرامى فهى تعيش اليوم بيننا، ولهذا فإن ما يقترحه مترجماً إلى العربية من قصص فى هذا الكتاب يعد فرصة عظيمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات المقارنة، وبخاصة فى أدبنا العربى الذى مرت القصة القصيرة فيه بظروف تكون شبيهة بالظروف التى مر بها هذا الفن الأدبى فى الهند سواء من ناحية العوامل الخارجية المتمثلة فى الظروف الاجتماعية أو العوامل الداخلية المتمثلة فى طبيعة الأدباء أنفسهم.